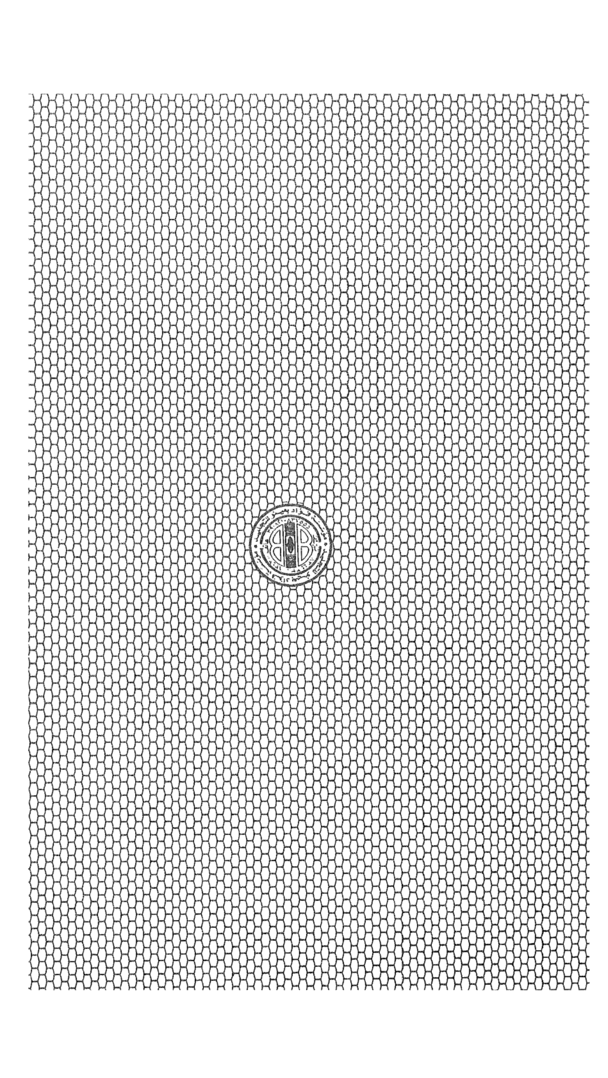
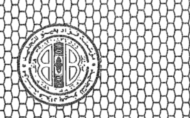
الدكتور علي القائمي

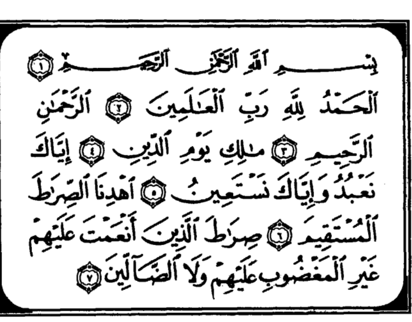


دار النبلاء





دور
الأب في التربية



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

دور
الأب في التربية

الدكتور علي القائمي

دار النبلاء

الطبعة الأولى
١٩٩٤

دار النبلاء

بيروت ـ لبنان ـ ص.ب: ٨٦٠١ .
تلفون : ٨٢٣٣٧١ ـ ٨٣٦٩٠٢ يطلب رقم ٢٥ .
فاكس : ٢٥٨٤٨ ـ ٤٦ ـ ٣٥٧ .

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لا يخفى على أحد ما للتربية من دور مهم ومباشر في بناء الإنسان وتوجيه أفكاره ومشاعره وتحقيق نموّه وتكامله، وبالتالي ليكون عضواً مفيداً في مجتمعه، ومواطناً صالحاً قادراً على أداء مسؤولياته الفردية والاجتماعية.

وأوّل مكان تتم فيه العملية التربوية هي الأسرة التي تحتضن الطفل وتتبنّىٰ جميع مستلزماته المادية كالمأكل والملبس والنوم والاستراحة أو المعنوية كحاجته للحب والعطف والحنان وغير ذلك.

لذا كان لزاماً على الوالدين أن يقوما بأداء حق الطفل وتوفير مستلزماته والاهتمام بأمره ورعايته في شؤونه ومراقبته في تحركه حتّى ينشأ سليماً، وأن يكونا واعيين ومثقفين وكفوءين لأداء هذه الوظيفة لا سيما الأب الذي يقع على عاتقه الجانب الأكبر من المسؤولية في بناء شخصية الطفل وفكره وسلوكه ونفسه وذهنه وأن يؤهله لحياته المستقبلية.

فالثقافة الوالدية ضرورية لجميع الآباء، وينبغي بهم أن يتسلّحوا بها منذ مرحلة التفكير بموضوع الزواج وانتخاب الزوجة وانعقاد النطفة.

وإنّ أي تفريط بهذا الأمر أو تسامح يؤدي ـ لا سمح الله ـ إلى انحلال

الأسرة وانحراف الأولاد وممارستهم لمختلف الجرائم والجنح وابتعادهم عن الأب وسقوطهم في أحضان الآخرين وتأثرهم بهم مما يكون له عواقب وخيمة على حياتهم الحالية والمستقبلية.

ولكي نفهم الطفل كما يجب لا بدّ من دمج التربية مع علم النفس حتى يمكن ترجمة الأهداف التربوية العامة والخاصة إلى أساليب لتقويم السلوك الفردي والاجتماعي.

وبذا يمكننا أن نربي النشيء على عادات ومهارات وأفكار ومعلومات تنفعه ليكون مواطناً صالحاً وقادراً على بناء نفسه ومجتمعه وعالمه.

والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارىء إنما هو معالجة تربوية ونفسية لمسؤولية الأب ودوره في الأسرة وعلاقته مع أولاده والوظيفة الملقاة على عاتقه وذلك من منظور إسلامي. فنحن ـ كمسلمين ـ علينا أنْ نفهم دورنا بشكل جيد ونعي ما هو مطلوب منا، لأنّ الدين الإسلامي الحنيف أكد كثيراً على موضوع الأسرة وتربية الأولاد وبنائهم، وثمة أحاديث وروايات عديدة عن النبي (ص) والأئمة المعصومين عليهم السّلام أشارت إلى هذا الجانب المهم، ورسمت لنا منهجاً واضحاً في كيفية القيام بالعملية التربوية ومراحلها وجوانبها المختلفة.

كما وتناول العديد من العلماء والمفكرين والكتّاب موضوع التربية الإسلامية، وأسهبوا في شرحها والتحدث عنها من خلال مؤلفات عديدة تملأ أدراج المكتبات الإسلامية وقد لا يخلو منها بيت أيضاً.

لكن هذا الكتاب ـ وكما قلنا ـ فإنه مزج بين التربية وعلم النفس، وذلك بسبب الأهمية القصوىٰ للطبائع والعادات والسمات النفسية عند الإنسان وتأثيرها المباشر على سلوكه وانضباطه وخلقه.

وثمة ملاحظة أخيرة عن الكتاب وهي أنّه يمتاز بفصوله القصيرة والمبوّبة تحت عناوين مختلفة لمواضيع مهمة تمر في حياتنا اليومية مع ذكر بعض المشاكل والصعوبات والحالات التي تواجه الأطفال والحلول الناجعة لها.

نأمل أن يساهم هذا المجهود في تنمية الثقافة الوالدية الإسلامية لدىٰ أسرنا لتتمكن من تربية أجيال المستقبل بالشكل المطلوب، ولكي تكون تلك الأجيال قادرة وبجدارة على تحمل مسؤولياتها الخطيرة في دفع عجلة التقدّم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي نحو الأمام ونشر الخير والصلاح والفضيلة في أرجاء المعمورة، وإنقاذ البشر من الأخطار والمهالك التي تهددها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عباس رجاء

مقدمة المؤلّف

إن هذا الكتاب الذي بين أيديكم ما هو في الواقع إلاّ مجموعة من البحوث والدراسات والمحاضرات التي ألقيتها في اجتماعات مختلفة أو نُشِرَ البعض منها على شكل مقالات في الصحف المحلية. وقد طُبِعَ هذا الكتاب بعد كتاب آخر لي بعنوان دور الأم في التربية.

وجاءت فكرة هذا الكتاب عندما كنت أتعرّض لاستفسارات عديدة وأسئلة متكررة خاصة من الأمهات عن دور الأب ومسؤوليته ووظيفته، وذلك بعد أن نشرت كتابي السابق مما أشعرني بضرورة تدوين كتاب بهذا الشأن خاصة وأن للأب دوراً خطيراً في العملية التربوية وتأثيراً مباشراً على نمو الطفل وتكامله.

وهكذا فقد بذلتُ جهداً في جمع البحوث وتنظيمها وتبويبها وإضافة بعض الفصول الأخرىٰ فكان الكتاب الذي بين أيديكم.

ومما دفعني أيضاً لتحقيق هذا الإنجاز هو ما شاهدته في بعض الأسر من الممارسات والحالات والتصرفات الغير لائقة وخاصة الأولاد وأخصّ منهم الأحداث والبالغين حديثاً، فكان ذلك دافعاً آخر لتأليف هذا الكتاب.

ومع الأسف أقول أن بعض الأسر تعيش في وضع مأساوي بسبب فقدان التربية، فنشاهد مثلاً أن الآباء غافلون عن أدوارهم ومسؤولياتهم، وان البعض منهم لا يملك من القدرة شيئاً ليؤثر على أولاده وينفذ إلى أعماقهم.

ويقف الكثير من الآباء حيارىٰ في التعامل مع أحداثهم ولا يدرون ماذا يفعلون. فهل يمارسون سياسة اللاإبالية معهم وعدم الاكتراث بهم أو

يستخدمون أسلوب العنف والقوة! وتكون نتيجة هذا الغموض وعدم الوعي ضياع الأولاد ولجوءهم أحياناً إلى التحلل وابتعادهم عن الأب وانفصالهم عنه مما يكون له آثار سيئة وعواقب وخيمة.

علينا أنْ ندرك أنّ الأولاد في هذا العصر يرتبطون بشدّة بآبائهم بسبب طول الفترة الدارسية. ومن ناحية أخرىٰ فإنّهم سرعان ما يبتعدوا عن البيت وتأثيراته التربوية بسبب وجود المدرسة والأصدقاء الذين يمارسون نفوذاً كبيراً على الولد. لذا فإن غفلة الأب وتساهله تهدد موقعه ومكانته وتضطره لمواجهة عقبات عديدة في عملية هداية الطفل وإرشاده.

وقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أتناول مواضيع عدّة منها موقع الأب ومكانته ووظائفه الأساسية في الأسرة وحقوق الأطفال التي ينبغي أداؤها، وأشرتُ إلى أدواره المتعددة ونوع السلوك الذي يجب أن يمارسه مع ولده. فالأب يبني أفكار أطفاله وشخصياتهم. وتحدثت أيضاً عن المراحل المختلفة التي يمرّ بها الطفل وخصوصيات كل مرحلة والموقف الذي لا بدَّ للأب أن يتخذه.

كما ويحمل الأطفال إنطباعات عديدة عن آبائهم ويتوقعون منهم أموراً كثيرة. لذا عليهم أن يهتموا بهذه الانطباعات والتوقعات ويمارسون دورهم الانضباطي والأخلاقي حسبما تقتضيه المرحلة.

وتحدث أحياناً بعض الحالات المستجدة في الأسرة كغياب الأب أو موته أو لجوئه إلى طلاق زوجته وتزوّج أخرىٰ وغير ذلك مما يؤكّد ضرورة الاهتمام بالأولاد والحذر في نفس الوقت.

وبشكل عام فقد حاولت أن أشرح هذه المواضيع وأتناول أبعادها المختلفة وألج أغوارها وأقدم الموقف الإسلامي في هذا الشأن.

وأرجو أن يكون عملي هذا نافعاً في إعانة الآباء ومساعدتهم لتحقيق مسؤولياتهم. وعندي أمل كبير أن يقبل الباري جلّ وعلا هذا المجهود المتواضع بفضله ومنّه. وأدعوه أيضاً أن يوفق جميع الآباء لتحقيق التربية المطلوبة. إنه سميع مجيب...

الدكتور علي قائمي

الباب الأوّل

الزواج والأبوة

الإنسان كائن مسؤول، وتأتي هذه المسؤولية بسبب هدفية الخلق ومكانة الإنسان ومنزلته لامتلاكه العقل. وحري به أن يدرك مسؤوليته ويعيها ويعمل بها.

تقع على الإنسان وظائف عديدة منها تشكيل الأسرة والانصياع لمسؤولية الأبوة والأمومة التي تبدأ عادة من خلال الزواج الذي لا بدَّ أن يستند على الأهداف والمعايير الدينية. وسيولد جيل جديد من خلال استمرار عملية الزواج والتكاثر ليصبح أباً وأُمّاً في المستقبل.

يؤكد الإسلام كثيراً على منزلة الأب ويحترمه ويضعه في المرتبة الثانية بعد الخالق جل وعلا. والسبب في ذلك حتى يكون جاهزاً لأداء وظيفته. ويرتبط الأب بولده من خلال طريقين هما الوراثة والمحيط، ولا بدّ أن يكون حذراً جداً، لأهمية هذين الأمرين والصفات التي ستنتقل بواسطتهما إلى الولد.

يحمل الطفل تصوراً خاصاً عن والده. فهو ينظر إليه على أنه الوجه الأبرز في الأسرة الذي يوفر المأكل والملبس والأمن ويعلم بكل شيء، ولذا فهو يحترمه كثيراً ويرغب بأن يكون مثله.

ولهذا السبب ينبغي على الأب أن يحذر كثيراً ويهتم بتصرفاته.

وسوف نسعىٰ في هذا الباب أن نشرح ما ذكرناه أعلاه من خلال خمسة فصول لها عناوينها الخاصة التي ترتبط بشكل عام بموضوع الزواج والأبوة مع مراعاة الإيجاز في ذلك.

الفصل الأول
الإنسان والمسؤولية

مقدمة:

إن الهدفية هي من سمات الخلق الذي يقوم على القانون والنظام، فكل شيء له نظام معين. وتكشف دراسات الباحثين والمحققين في شرق هذا العالم وغربه وبوضوح أنه لا توجد أية ظاهرة بدون قانون وحساب، ولم يُخلق أي كوكب أو كائن حيٍّ دون قاعدة أو نظام.

فمثلاً تخضع حركة النجوم التي تبعد عنا مسافات تقدّر بالسنوات الضوئية لضوابط معينة. ويبدو أنها ملتزمة بعدم الانحراف والابتعاد عن مسيرها وعن تفاصيل البرنامج المرسوم لها أبداً.

وتكشف هذه الظواهر من خلال التزامها بأنظمتها الخاصة والدقيقة، عن الهدفية والسير نحو التكامل. وندرك نحن أيضاً من خلال هذا القانون والنظام الدقيق أننا لم نُخلَق عبثاً ولم نوجَدْ صدفةً، بل إن الذي خلق هذا الوجود هو الذي خلقنا.

دائرة الخلق:

فدائرة الخلق واسعة جداً وليس لها حدود معينة. والدليل على سعتها أن المسافة بين كوكبين لمجرتين مختلفتين تقاس بالسنوات الضوئية. ويقال أن كل ثانية من هذه السنوات تعادل ٣٠٠ ألف كيلومتر! فما أكثر النجوم التي اندثرت وانفنت منذ سنوات عديدة لكن ضوءها لم يصل إلينا حتى الآن؟! وما أكثر الظواهر التي خُلقت حديثاً لكننا لا نعلم بها ولا يمكننا الإلمام بها؟!

فعالم الوجود هذا لا يقتصر على زقاقنا ومدينتنا وبلدنا، وبالنتيجة على كرتنا الأرضية والقمر والنجوم فقط، بل يقف خلف هذا الوجود عالم واسع جداً لا يمكننا أن نتصوره أبداً فكيف بإدراكه ولمسه؟!

وتختلف الظواهر فيما بينها كثيراً وقد ذكر مثلاً ٥٠٠ ألف نوع من الحشرات تقريباً تعيش على سطح الكرة الأرضية عدا تلك التي لم يتم التعرّف عليها لحد الآن. وما أكثر النباتات والحيوانات التي لم تدخل كتب وتصانيف العلماء؟!

الإنسان والعالم:

يمثّل الإنسان ظاهرة فريدة من بين هذا العدد الواسع من الظواهر. وقد قيل الكثير عن تاريخ خلقه وظهوره على هذه الكرة الأرضية.

فالإنسان هو الإنسان لكنّه مخلوق على صور عديدة بحيث تصل الاختلافات في الخلق بين البشر بمستوىٰ الإختلاف بين الإنسان والحيوان.

إنظروا إلى الأقوام العديدة والوجوه المختلفة والألوان واللغات والصفات والعادات والثقافات وستدركون عندها مدىٰ التنوع والاختلاف.

قارنوا بين الإنسان والحيوانات المختلفة لتشاهدوا أوجه الشبه والاختلاف بينهما. وقد أطلق البعض على الإنسان تسمية الحيوان الناطق أو الحيوان الضاحك أو الحيوان السياسي لشدة الشبه بين الإثنين.

ولكن أين الإنسان وأين الحيوان؟ إنهما عالمان منفصلان عن بعضهما البعض ولكل منهما خصوصياته في مجال العقل والفكر والأسلوب والمسؤولية.

فالإنسان هو الذي أوجد كل هذا الإبداع، والحيوان لا يمكنه أن يتعدىٰ ما تأمره غريزته أبداً.

قيمة الإنسان:

للإنسان قيمة كبرىٰ ومنزلة عظيمة. وجاء في القرآن الكريم:

﴿وفضلناه على كثير ممن خلقنا﴾[1] وكرمه الخالق أيضاً. ويمكنه أن يترقىٰ ليكون خليفة الله في الأرض الذي سجدت له الملائكة.

وفتح الخالق جل وعلا الطريق أمام الإنسان ليتكامل، ولم يوفر هذه الإمكانية لمخلوقاته الأخرىٰ. ويمكنه أن يسمو ويرتفع من أسفل سافلين إلى أعلىٰ عليين. ويرتبط هذا بقابليته ومستوىٰ بنائه ورشده.

حدد الماديون قيمة الإنسان ووصفوه بأنّه ثروة مادية للمجتمع. ولكنّ الإلهيين ذكروا إضافة إلى ذلك بأنّه يمتلك مقاماً معنوياً بحيث يكون قادراً علىٰ تغيير الفرد والمجتمع. واهتم الإسلام كثيراً بالإنسان وقيمته الوجودية، ولا يمكن المقارنة بينه وبين منزلة السماء والعرش. ولا تعرف هذه القيمة إلاّ الجنة، وجاء عن الإمام الحسين (ع) في وصيّةٍ له أنه ينبغي علىٰ الإنسان أن لا يبيع نفسه إلاّ بثمن مقداره الجنة.

العقل وأهميته:

إن قيمة الإنسان وأهميته تعود إلى عقله، والعقل وسيلة للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر. ويهتدي الإنسان بواسطة نور العقل إلى طريقه.

والعقل جسر للوصول إلى الكمال، ويُعبَدُ الله جلّ وعلا به وبهدايته، وهو الوسيلة لنيل الجنة والسعادة الأبدية. وجاء في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم (ص) أن الخالق جلّ وعلا قال للعقل لمّا خلقه: «بك أعاقب وبك أثيب».

وهكذا تبرز قيمة الإنسان ومنزلته ومقامه من خلال عقله. ويقوم العقل بكبح جماح الأهواء عندما تريد أن تسرق إرادة الإنسان، ويحدد العقل أخيراً مصير الإنسان ليكون من أصحاب الجنة أو النار.

مسؤولية الإنسان:

الإنسان كائن عاقل ومسؤول ومكلّف بسبب عقله ولا يمكنه التهرّب

(١) سورة الاسراء: آية ٧٠.

من ذلك. وسبب هذه المسؤولية هو الفهم، إذ يمكنه الفصل والقضاء في الحوادث والظروف المختلفة وإدراك الأمور.

وتنبع مسؤولية الإنسان من أعماقه ولا يمكنه أن يرفضها، فهو يدرك في باطنه أنه لا يوجد أي عمل أو سلوك دون حساب، ولا يمكنه العيش كيفما يشاء أو ينساق خلف الأحداث والوقائع المختلفة مهما كانت خصوصياتها.

وجاء في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرىٰ أن الإنسان لن يُترك وشأنه ولن يُعامل كما الحيوان وهذا ما ندركه جميعاً. وقد وُصف الإنسان بأنّه صاحب عهد مع خالقه: **﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم...﴾**[1] ومسؤول في نفس الوقت **﴿وقفوهم إنهم مسؤولون...﴾**[2] **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولا﴾**[3]، وتدلّ ظواهر الأمور أن هذه المسؤولية ثقيلة للغاية ولا يمكن للإنسان الاستهانة بها.

ضرورة وعي المسؤولية:

لكن الشيء المهم هو أن نعي هذه المسؤولية وحدودها وأبعادها في حياتنا الفردية والاجتماعية، وحري بنا أيضاً أن ندرك مسؤوليتنا في يومنا هذا والوظيفة التي ستطغى على الوظائف الأخرىٰ.

نعم، إن ما نفهمه من الإسلام هو أنّ السعادة تكمن في إدراك الإنسان في كلّ زمان لمسؤوليته ووظيفته وأن يعلم بالذي عليه أن يفعله في يومه حتىٰ يتحرك ويتقدم بوعي. فالمسؤوليات والوظائف تتغيّر مع مرور الأزمان، إذ قد تجب الدعوة مثلاً أحياناً والجهاد في أحيان أُخر، أو الصراخ والسكوت في فترات أُخرىٰ.

كما يجب علينا ونحن نمارس مسؤوليتنا، أن نعي الجوانب الخاصة بالدين وقيمه والتفاسير المتعددة وغير ذلك حتىٰ يمكننا اتخاذ المواقف

---

(١) سورة يس: آية ٦٠.
(٢) سورة الصافات: آية ٢٤.
(٣) سورة الاسراء: آية ٣٦.

المناسبة حيال الوقائع المختلفة. وينبغي إتباع أساليب وطرق مناسبة. وأخيراً استخدام العقل الذي سيرشدنا في فهمنا ويعيننا على إنجاز وظائفنا بأفضل وجه.

دائرة المسؤولية:

إن دائرة مسؤولية الإنسان واسعة جداً، فهي تتسع من جانب بمستوىٰ عروج الإنسان وسموّه وتتحدد من جانب آخر بمقدار استعداده وإمكانياته؛ وتكبر دائرة المسؤولية كلما زادت كفاءة الإنسان ولياقته، ويتضاعف التكليف كلما زادت إمكاناته. تمثل قدرتنا واستطاعتنا من المسائل التربوية المهمة، إذ ليس بمقدور الجميع العمل كما كان الرسول الأكرم (ص). ولا يمكن الاستهانة بأدوارنا في نفس الوقت أيضاً واحتقار أنفسنا. ولا بدَّ من الأخذ بنظر الاعتبار مستوىٰ الإدراك والفهم والقابلية والاستعداد في الثواب والعقاب. وأن يكون المبدأ في قبوله أية مسؤولية هو عدم استصغار أنفسنا والاستفادة من طاقاتنا وقدراتنا بأقصىٰ ما يمكن.

وتشمل المسؤولية أنفسنا أيضاً **﴿قو أنفسكم﴾** **﴿عليكم أنفسكم﴾** وأهلينا **﴿وأهليكم ناراً﴾** ثم مجتمعنا وأمتنا والبشرية جمعاء **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾** ولا بد من المضي بوعي وفهم في جميع هذه الموارد والالتزام والتنفيذ.

ثمة ضمانات عديدة تسهّل للإنسان تطبيق هذه المسؤولية وتنفيذها عملياً وأهمها:

١ ـ الضمير الإنساني الذي يستقرّ في أعماق الإنسان، ويقوم بتأنيب الشخص متىٰ ما انحرف وتعدىٰ الحدود المرسومة له فيقف كالسدِّ أمامه.

٢ ـ قابلية التمييز بين الحق والباطل ويقوم به العقل الذي يتعرّف على حسنات الأمور وسيئاتها فيجعلنا نقف بعيداً عن الخسّة والدناءة ونقدّر جهود الآخرين ونشترك معهم في المسؤولية ونستفيد من خدماتهم دون إنتظار للأجر.

٣ ـ اعتقاد الإنسان بالحساب والكتاب والثواب والعقاب وهذا ما تؤمن به أغلب الأديان.

٤ ـ الشعور فطرياً بقيمة أداء المسؤولية وقداستها وينطبق هذا على الجميع وهو بمثابة الدافع الداخلي للإنسان ويجب عليه أن يهتم به.

٥ ـ الإشراف والمراقبة الإجتماعية التي تفرِضُ على الإنسان التحرك وبذل الجهد وأداء الوظائف الإجتماعية كما الآخرين.

بشكلٍ عام فإن ما ذكرناه يوفّر الأرضية ويحدد مسار أداء المسؤولية وتنفيذها ويفرض على الإنسان التفكير بصورة سليمة والتخطيط بشكل أحسن.

الثواب والعقاب:

يمثل الثواب والعقاب والإيمان بهما أهم العوامل التي تدفع الإنسان نحو العمل والنشاط وأداء مسؤوليته. فالعقل يقضي بعدم التساوي بين العامل بمسؤولية والتارك لها، إذ سيثاب الأوّل ويعاقب الثاني حتماً.

ويدرك الإنسان فطرياً أن الخالق الذي خلقه قد وضع له ضوابط وقوانين تحدد تصرفاته حتى لا تكون عبثاً؛ وثمة أرضية عقلية للثواب والعقاب يؤمن بها العقلاء.

فالاعتقاد والتصديق بهما، بأنهما يمثلان قوة تنفيذية جيدة لتحديد مسار العمل. كما وإنهما يمثلان أيضاً جانباً من نتيجة العمل وتجسده بينما تمثل المكافأة والعقوبة الجانب الآخر الآني (الدنيوي) منه. وهذا كلّه يرتبط بنوع التعامل مع أوامر الباري جلّ وعلا.

الفصل الثاني

مسؤولية بناء الأسرة

الزوجية في الخلق:

يؤكد القرآن الكريم أن جميع الكائنات خلقت أزواجاً، فالحيوانات والنباتات خلقت من ذكر وأنثىٰ رغم أنواعها العديدة. حتىٰ تلك التي لا تبدو للعيان أنها على شكل أزواج.

وكشفت البحوث في مجال الجمادات والجزئيات والذرات عن حقائق بهذا الشأن، ونحن لسنا بصدد إثباتها أو نفيها، لكنّ موضوع الزوجية واضح للعيان خاصة في عالم الحيوانات والنباتات ولا توجد أية صعوبة في إدراك ذلك وإثباته.

إن الهدف من الزوجية هو التكامل، أي أن عملية الخلق ستبقىٰ ناقصة فيما لو خُلقت الكائنات على شكل فرد إذ لا يمكنها طي طريق التكامل.

فالتكامل لا يتحقق إلاّ في ظل توحيد الأزواج، ولا يمكن الوصول إلىٰ تكامل المجتمعات إلاّ من خلال توحيد الكلمة وهي من إحدىٰ مظاهر الزوجية. ولا يمكن للإنسان والحيوان والنبات مواصلة الحياة إلاّ في ظلّ هذا الأمر.

مسؤولية الزواج:

لا بدّ أن نعرف أنه لا معنىٰ للفردية في عالم البشرية، ولا يمكن للإنسان أن يسلك طريق السعادة بمفرده أبداً. فالبشر خلقوا أزواجاً، ويجب على الإنسان أن يذعن لمسؤوليته في بناء أسرة بعد أن يصل إلى مرحلة

البلوغ الجسمي والجنسي أو لنقل البلوغ العقلي والجنسي.

وتشير الفطرة إلى هذا الأمر أيضاً، ولا يمكن توفير ما يحتاجه الجسد أو الروح أو تدبير الحياة اليومية إلاّ من خلال الأسرة. فالإنسان مضطر لتشكيل أسرة من أجل أن يحقق أهدافه في الخير والسعادة والكمال.

يمثّل كلٌّ من الرجل والمرأة مشروعاً مكمّلاً للآخر في ظل الزواج، إذ سيتمكنان من طي طريق السعادة. وسوف يتعاونان معاً على رفع عيوبهما وليكونا سكناً لبعضهما البعض، والملاذ والملجأ عندما تواجههما المشاكل والصعوبات. كما ويكون الزواج سبباً لاستمرار النسل وبقاء الأجيال إضافة إلى دوره في منع العديد من الانحرافات.

أعراض العزوبة:

لا يمكننا أن ندرك أهمية بناء الأسرة ومسؤوليتنا في هذا الجانب إلاّ متى ما عرفنا المصائب التي تجلبها العزوبية.

فما أكثر الانحرافات التي تسببها العزوبة، وما أكثر الأمراض الجسمية والروحية التي تظهر بسببها، وتدلّ الإحصاءات أن ٧٠٪ من الإنحرافات الجنسية تحدث بين الأعمار من ١٨ ـ ٢٥ سنة. ومن الطبيعي أن تنخفض هذه النسبة فيما لو تم الزواج خلال هذه السنوات.

فالعزّاب مهيأون للإنحراف وارتكاب الجرائم، ويمثلون أهدافاً جيدة للمجرمين والمنحرفين الذين يبحثون عادة عن مثل هؤلاء الأشخاص.

يلجأ المنحرفون عادة إلى الجنس لإحساسهم بآلام العزوبة ومشاقها. والآن لنرَ ما هي تأثيرات الإنحراف الجنسي على المجتمع.

لو طرحنا هذا السؤال: مَنْ هم الذين يبحث عنهم العزاب المنحرفون من أجل إشباع غرائزهم؟ أليس هم النساء والفتيات؟

لقد أكّد الإسلام كثيراً على الزواج وترك العزوبة، وقد جاء في الحديث الشريف «رذّال موتاكم العزّاب»، وجاء في حديث آخر عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «أكثر أهل النار العزّاب».

حق الزواج:

لقد ذكر الزواج بأنّه حق من حقوق الفرد ولا يمكن لأي شخص مهما بلغ أن يمنع هذا الحق وذلك سبب أهميته ودوره في سلامة النفس والجسم، ويمكن أن يكون هذا الحق جماعياً لأن المجتمع سيعيش بأمن وسلام في ظله، وتزول عنه مخاطر العزوبة والعزّاب وتتحقق عملية المحافظة عى كرامة المجتمع وشرفه.

وطالب الإسلام ـ في ظل هذا الحق ـ الوالدين بتوفير الأرضية اللازمة لولدهما ـ سواء كان ذكراً أم أنثىٰ ـ للزواج عندما يصل مرحلة البلوغ. وذكرت الأحاديث الإسلامية عدداً من حقوق الأولاد على آبائهم منها «ويزوجه إذا بلغ».

ومن الطبيعي أن يؤدي منع هذا الحق إلى ظهور عدد من الأمراض الجسمية أو النفسية وحرمان الشخص من اللذات الدنيوية المشروعة والقضاء على النسل والحرمان من حياة شريفة، وهذا ما لا يرضىٰ به الإسلام أبداً.

التأكيد على الزواج:

ثمة روايات وأحاديث إسلامية عديدة تؤكّد علىٰ الزواج وبناء الأسرة وقبول المسؤولية. جاء عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «يا معشر الشباب مَنْ استطاع منكم البأة فليتزوّج».

وهناك أحاديث كثيرة أخرىٰ ترغّب الناس بالزواج منها مثلاً:

- قال أمير المؤمنين (ع): «تزوجوا فإن رسول الله (ص) قال مَنْ أحب أنْ يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج».
- قال رسول الله (ص): «من تزوّج أحرز نصف دينه».
- قال الصادق (ع): «ركعتان يصليهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب».

كما وأشارت بعض الأحاديث الأخرىٰ إلى أن الإمتناع عن الزواج خوفاً من الفقر يمثل نوعاً من الشرك: «من ترك التزويج مخافة العيلة فقد ساء

ظنه بالله عزّ وجل، إن الله عزّ وجل يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾[1].

وأوصت الأحاديث أيضاً ذلك الشخص الذي لا يقدر علىٰ الزواج بالإستعانة بالصوم لكبح جماح غريزته أو السيطرة عليها.

ضرورة الحذر:

يمثل الزواج نوعاً من المسؤولية التي لها أكبر الأثر في حياة الإنسان الحالية والمستقبلية.

وثمة محاذير عديدة أشارت إليها الأحاديث الإسلامية في باب الزواج منها مثلاً:

- خطب رسول الله (ص) يوماً في المسلمين فقال: أيّها الناس إيّاكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

- وجاء عنه (ص): «اختاروا لنطفكم فإن العرق دسّاس».

وهذا دليل على انتقال الصفات الوراثية وأخلاق الوالدين إلى أولادهما.

- عن أبي عبد الله الصادق (ع): «إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو لمالها وكُل إلى ذلك، وإذا تزوّجها لدينها رزقه الله المال والجمال.

- قال ابراهيم الكرخي: قلت لأبي عبد الله الصادق (ع): إن صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة وقد هممت أنْ أتزوج. فقال لي: انظر أين تضع نفسك ومن تشركه في مالك وتطلعه على دينك وسرّك..

المعايير في الزواج:

حدد الإسلام معايير معينة في الزواج وطالب الإلتزام بها حتماً، منها العقيدة والإيمان والكفاءة والأخلاق والعائلة ... وتمثل هذه المعايير ضرورة ملحة من أجل حياة سليمة وشريفة.

---

(١) سورة النور: آية ٣٢.

كما رفض الإسلام العديد من المعايير السائدة عن الأمم الأخرىٰ والتي منها إختيار الزوجة لمالها وثروتها أو موقعها ومنصبها أو جمالها أو من أجل مصلحة معينة أو بسبب الإكراه أو الترحم والعطف عليها وغير ذلك، ووصفها بالأخطار التي تهدد حياة الأسرة في المستقبل.

وذكر الإسلام أيضاً بعض المحرمات على الرجل من أفراد عائلته وأسرته ومنع الزواج منهن واعتبر ذلك أمراً شرعياً ينبغي على المسلم الإلتزام به وحذّر التزوج من المحارم.

كما حذّر الإسلام من تزويج الزناة وطالب باختيار الأصحاء لعملية الزواج والإبتعاد عن المرضىٰ خاصة أولئك المصابون بالأمراض النفسية والخلقية كالفساد وسوء الخُلق. وأن يكون المتقدمون للزواج أسوياء من الناحية الفكرية والروحية.

هدف الزواج:

ينظر الإسلام إلى الزواج بأنّه عمل هادف يريد تحقيق بعض المقاصد كالاستجابة للفطرة والغريزة، والعمل بسنة الرسول (ص)، والشعور بالسكن والراحة، والتكاثر واستمرار النسل والأجيال والوصول إلى مرحلة التكامل، وتحقيق المودة والحب والرحمة وغير ذلك.

إن أهداف الزواج عديدة وكثيرة للغاية رغم تحديد البعض لها في نقاط معينة كالعفة والطهارة مثلاً وصون الإنسان بعيداً عن مختلف الأمراض. ولا بدَّ أن تؤخذ جميع تلك الأهداف بنظر الإعتبار.

وبشكل عام لا بدَّ أن نفرق بين الزواج والتجارة وهذا هو السبب المهم للعديد من المشاكل التي تحصل في الحياة الزوجية.

كما أن الزواج ليس وسيلة للتفاخر والتباهي وإلاّ فإنّ عاقبته الذلة والمهانة. وقد أشارت الأحاديث الشريفة إلى هذا المعنىٰ أيضاً.

أهمية الأسرة:

ينظر الإسلام باهتمام بالغ إلى الأسرة ويعتبرها الحجر الأساس

للمجتمع. ولا بدّ أن يحصل البناء والتكامل الإجتماعي في ظل هذه الأسرة التي هي أساس ثبات المجتمع واستقراره ومسؤولة إلى حدٍّ كبير عن سعادته.

وتتآلف القلوب وتتوادد بسبب الزواج وتشكيل الأسرة، ويتم القضاء على الإنزواء والإنعزال ليحلّ مكانه البناء والإبداع.

فالأسرة هي أول مدرسة تربوية وأخلاقية، والمركز لنشوء العادات واكتساب المعلومات والتجارب، والوسط الذي يتم خلاله بناء عقل الطفل ونفسيته. والأسرة هي المسؤولة عن التوجيهات الصحيحة والخاطئة، والوالدان هما أوّل مَنْ يقوم بتعليم الطفل وتوجيهه وبناء أفكاره الأساسية.

كما أن الزواج وتشكيل الأسرة يعتبر نوعاً من العبادة، ووصفه البعض بأنّه من المستحبات المؤكّدة للأشخاص العاديين وأوجبوه علىٰ من يشعر أن عفته في خطر. وورد عن الرسول الأكرم (ص) قوله:

«ما بُني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله عزّ وجل من التزويج». وفي الحقيقة فإن الإنسان يقوم من خلال بناء الأسرة بأهم وظيفة وأخطرها وأكثرها نفعاً ألا وهي المساهمة في إيجاد التمدن البشري وتطويره.

ضرورة حماية الأسرة:

تقع علىٰ الوالدين أولاً مسؤولية حماية الأسرة ثم على المجتمع والدولة فيما بعد. ويجب أن توضع القوانين الخاصة بحماية الأسر من الأخطار. وإنه لخطأ كبير أن تفقد الأسرة مكانتها وموقعها لتسير في طريق الإنحراف والضلال.

ينبغي على الحكومة الإسلامية أن تهتم بالأسرة وتوفر لها عوامل الإستقرار والبناء والإزدهار. وأن تطلب في هذا الطريق من أصحاب الرأي والفكر توفير كل ما يعزز مكانة الأسرة وتقضي في نفس الوقت على كلّ ما يهدد أمنها واستقرارها.

الفصل الثالث

منزلة الأب

مقدمة:

لا يوجد شك أن طلب الولد واستمرار النسل هو من أهم أهداف الزواج وبناء الأسرة. وعندما نتمعّن في الروايات الإسلامية نراها تذكر شروطاً معينة، على الزوج والزوجة بأن يطلبا الولد لدىٰ إقامة العلاقة الزوجية بل ذكرت أدعية خاصة لدىٰ ممارسة العلاقة الجنسية.

ويذكر الإسلام في مجال إختيار الزوجة شروطاً معينة منها التزوج من الوَلود والإبتعاد عن العقيمة، فالأصل هو طلب الولد، ويجوز الطلاق - رغم كراهته - فيما لو كان أحد الزوجين عقيماً.

وتؤكد الأحاديث التي تُقرأ عادة في مراسم الخطبة والزواج علىٰ تكثير النسل: «تناكحوا، وتناسلوا، وتكاثروا...» وجاء في القرآن الكريم على لسان زكريا دعاؤه: ﴿**ربِّ هبْ لي من لدنك ولياً يرثني...**﴾[1].

وأخيراً فثمة أحاديث كثيرة توصي الرجال الصالحين والنساء الصالحات بتوفير المقدمات للحصول على الولد، حتىٰ أنّ القرآن الكريم عبّر عن موت الرجل الذي لا يملك ذرية بالهلاك.

أشارت دراسات علماء النفس أنه لا توجد غريزة تسمّىٰ بالأبوّة، فعلاقة الأب مع ولده والدفاع عنه لها بُعداً ثقافياً ودينياً وأخلاقياً لكنه يبقىٰ هناك شعور لدىٰ الرجل بأنه أصبح أباً.

---

(١) سورة مريم: آية ٥.

فالأبوة هي شعور لدىٰ الفرد، والطفل هو كالغذاء الروحي لوالده. حيث يدرك الشخص الذي أصبح لتوّه أباً بأنه أصبح الآن ذي مكانة خاصة لم يكن يملكها من قبل ولا يملكها العزّاب أيضاً.

ويتجلّىٰ له هذا الشعور أنه أصبح إنساناً كاملاً وقادراً على العيش مرفوع الرأس.

فالأبوة تهب الإنسان شعوراً بالقوة بحيث يرىٰ في نفسه الكفاءة الكاملة لنيل إحترام الآخرين. ولا يصبح الرجل رب أسرته إلاّ في ظل الأبوّة، ويرىٰ في نفسه القابلية واللياقة والجرأة والشجاعة للتخطيط للحياة من أجل سعادته شخصياً وأفراد أسرته.

أهمية الولد للأسرة:

من جانب آخر، فالولد يمثل نعمة للأسرة لقيامه بالتقريب بين الأب والأم وزيادة الإلفة بينهما ورفع منزلة كل طرف لدىٰ الآخر. كما أنه يهب الدفء والنشاط إلى الأسرة ويُبعد عنها المشاكل والإختلافات ويقصّر الأيام الطويلة بسبب تسلّي الوالدين بطفلهما.

ويعزز الولد مكانة الأسرة ويكون سبباً في استمرار الحياة، وبواسطته تتقوّم الأسرة، ويبرز هذا بوضوح عندما يتجاوز عدد الأولاد الواحد والإثنين لاستئناس الوالدين بهم.

وتطرأ تغيرات معينة في شكل الحياة ومحتواها بسبب ولادة الطفل الذي سيلفت الأنظار إليه. فما أكثر الصعوبات الحياتية التي ستختفي بسبب حضور الأطفال، وما أكثر المشاكل التي ستحل بسببهم أيضاً، والتجارب والخبرات التي ستكتسب.

جاء عن أحد العظماء قوله: «لقد عرفت الخالق جيداً عندما أصبحتُ أباً».

يفرض وجود الطفل على الوالدين بذل الجهد ويهبهما الأمل والدفء والنشاط. فما فائدة سعي الوالدين لو لم يملكا ولداً؟ لاقتصر جهدهما

ونشاطهما على أنفسهما فقط مع شعورهما باليأس الدائم. فالطفل الذي هو بمثابة نتاج جهد الأبوين يُعدّ نوعاً من الأجر والمكافأة لهما.

شروط الأبوّة:

يؤدي الزواج إلى تسكين الغرائز وتنظيم الحياة وتحقيق المودة والرحمة والمحافظة على النسل. وقلنا إنه وردت تأكيدات عديدة على التكاثر وامتلاك الأولاد. لكن الموضوع ليس بهذه السهولة والبساطة، إذ لا بدّ من الحذر والإلتفات إلى ثقل المسؤولية في المرحلة القادمة.

إن ممارسة الأبوّة والقيام بالوظائف الإسلامية في هذا المجال تعتبر عملية معقدة جداً. ومن دواعي الفخر أنْ يكون الإنسان واعياً لمسؤوليته بهذا الخصوص. فالأبوة تعني أن يكون الإنسان أميناً لخالقه، وعليه أن يكشف عن مهارته وكفاءته في أداء هذه الوظيفة طبقاً لأوامره وتعاليمه جل وعلا.

إن امتلاك الولد وتربيته لهي مسؤولية ووظيفة مقدسة، ولها التزامات شرعية وثواب وعقاب وتحتاج إلى الجرأة والإستعداد أيضاً فما فائدة أن يكون أحدنا أباً لأولاد ينشأون بعيداً عن المبادىء التربوية والأصول الأخلاقية ولا يلتزمون بشيءٍ منها.

لا بدّ من الإهتمام بالظروف التي توفر سلامة النشء وتؤثر في بنائه أيضاً، فقد سأل بعض الأصحاب الإمام الباقر (ع) عن «الرجل المسلم تعجبه المرأة الحسناء أيصلح له أن يتزوجها وهي مجنونة؟.. قال: لا، ولكن إذا كانت عنده أمة مجنونة فلا بأس بأن يطأها ولا يطلب ولدها».

مكانة الأب:

للأب مكانة مهمة في الإسلام، وله مقام شامخ ومنزلة كبيرة. والأب كلمة عامة ويمكن أن نفهم منها إنّها تعني الإشراف والإحترام والهيبة والوقار والمرتبة الرفيعة، وتعني أن له كلمة الفصل وبيده فقط القرار النهائي، وتنطبق هذه المفاهيم والصفات على قائد الأمة والشعب أيضاً ويمكن تسميته بالأب.

إنّها لمنزلة عظيمة أن يكون الإنسان أميناً لخالقه، وينبغي عليه أن يربي

ولده ويوجهه لأنّه هبة الخالق ووديعته، ويا له من مقام عظيم أن يكون الأب، رب أسرته فيخضع له أفراد الأسرة في الرأي ويُهيىء لهم رزقهم.

كما وله دورٌ مهمّ أيضاً في تحديد مصير المجتمع من خلال تربيته لولده الذي سيكون إما قائداً أو مقوداً صالحاً.

فالخير والصلاح الذي يصيب المجتمع إنّما يكشف عن الجهود الخيّرة التي يبذلها الآباء لتربية أولادهم فتنشأ الأجيال الصالحة.

الإسلام واحترام الأب:

ذكر الإسلام منزلة عظيمة واحتراماً خاصاً لأولئك الآباء الذين يؤدون مسؤولياتهم الإسلامية في مجال تربية أبناء صالحين.

ونظراً لأهمية هذا الأمر فقد ذكرت الآيات القرآنية طاعة الوالدين بعد طاعة الخالق. والملاحظات التالية، إنما هي مستوحاة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة:

- لا بدّ من طاعة الأب في قراراته ولا يمكن معارضته والعمل بدون موافقته إلاّ في الموجبات الدينية.
- لا يحق للولد إهانة والده أبداً ولا أنْ يقول له حتى كلمة «**أفٍّ**».
- على الولد أن يخفض لوالديه جناح الرحمة.
- على الولد أن يدعو بالخير لوالديه، ويطلب لهما الرحمة.
- لا يحق للولد أن يقوم بالمستحبات كالزيارات والنوافل من الصلوات فيما لو منعه والده المؤمن من ذلك.
- للأب حق الأولوية في تعيين مصير ولده.
- لا يشم العاق لوالديه رائحة الجنة.
- حُرمة الأب كحرمة الخالق جل وعلا فلا يجوز الإستهانة بكرامته أبداً.

ضرورة الإستعداد والكفاءة:

لقد وردت هذ المكانة للآباء الذين يبذلون جهوداً كبيرة من أجل

الوصول إلى هذه الدرجة ويوفرون كل ما يحتاجونه في هذا الطريق. فالهدفية في الحياة الشعور بالمسؤولية يوفران للإنسان عادة الكفاءة المطلوبة ويفرضان عليه تهيئة كل ما يحتاجه مسبقاً من أجل نجاحه وموفقيته.

فالرسول (ص) عَبَدَ الله أربعين يوماً استعداداً للأبوة واحتضان ابنته فاطمة الزهراء (ع) وصام أربعين يوماً من أجل هذا الهدف وابتعد خلال هذه المدة عن جميع الأشياء التي يمكن أن تكون فيها شبهة حتىٰ أنه أفطر في الليلة الأربعين على فاكهة من الجنة ثم قارب أهله.

ينبغي على الإنسان أن يمرن نفسه ويعدّها لهذه المسؤولية، ويعزز معنوياته ويبتعد عن كلٍ ما من شأنه أن يوجد البغض والكراهية وعدم التكامل في حياته وحياة أولاده. وأن يفكّر بصلاح أطفاله ومجتمعه الذي يعيش بين أرجائه.

إن من لا يتواجد عنده ذلك الإستعداد فليعصم نفسه عن الانحرافات حتىٰ يعيش بسلام بين أفراد مجتمعه، ولا يحق له أن يكون أباً أبداً. صحيح إنّه قادر على الزواج ولكن ليس ذلك من مصلحته، أو مصلحة الأمة أن ينجب ولداً. وتشير الأحاديث التي تثني على عزوبة أشخاص آخر الزمان إلى هذا المعنىٰ أيضاً.

الأب في أسرته:

لا تعني الأبوة الكشف عن القوة وإظهار النفوذ والمكانة فحسب، بل لا بدّ من الإهتمام بالأسرة والأولاد وتدبير مختلف أمورهم. وتتضح مكانة الأب وشأنه من خلال إشرافه على عائلته وتوفير معاشها وحمايتها من الأخطار وإلاّ فلا قيمة لذلك الأب الذي لا يبالي بهذه الأمور أبداً ولا يؤدي وظيفته.

فالأب هو سيد الأسرة ومصدر افتخارهاوسرورها والمشفق عليها. وهو كملائكة الرحمة التي تنزل على البيت إذ نراه يبذل جهده وسعيه من أجل بناء ورشد أفراد أسرته وتوجيههم نحو طريق الخير والفضيلة.

يوفر الأب كل ما تحتاج إليه الأسرة ويعطف على أطفاله ويحترمهم

ويستفسر عن أحوالهم فرداً فرداً، ويحلّ مشاكلهم ويبذل جهده من أجل خدمتهم، ولا يبتغي التأثير عليهم سلباً أو الإضرار بهم.

إنّه مصدر للبهجة والرحمة قبل أن يكون مصدراً للخوف والنقمة، فلا يظلم أهل بيته أبداً، حيث يقول الرسول الأكرم (ص) بهذا الشأن: «خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ويحنون عليهم ولا يظلمونهم».

مخاطر الممارسة السيئة:

إن الأب هو المسؤول عن بناء شخصية أولاده، فيكون القدوة لهم في العمل. إنّه أول وجه سيتعرّف عليه الطفل في مهده بعد أمّه. ومن ثَمّ سينظر إليه فيما بعد انه المسؤول عن الأمن والنظام داخل الأسرة، وأنه الرازق والقوي والملاذ.

لا يقلّ دور الأب عن دور الأم بل قد يفوقه أحياناً. ولوقار الأب وهيبته وأمره ونهيه دورٌ بنّاء في الحياة. ويحسب له الطفل ألف حساب ولا بد أن يكون الأمر كذلك. فهو الذي يوجّه أطفاله وينظّم حياتهم. وسيتمكن الأولاد من الإعتماد على أنفسهم واتخاذ المواقف المناسبة حيال الحوادث المختلفة فيما لو عمل الأب بمسؤوليته ونجح فيها. أمّا لو قصّر في ذلك فإن الانحراف سيكون مصير هؤلاء الأولاد.

فما أكثر الذين لجأوا إلى الإنحراف والإجرام بسبب عدم امتلاكهم لآباء صالحين أو أولياء قادرين على بنائهم وتوجيههم، وما أكثر المجرمين والمنحرفين الذين ملكوا آباءً لكنّهم لم يمارسوا دورهم ولم يعملوا بمسؤوليتهم وفرّطوا بتربية أولادهم.

وتعود الآثار السيئة لمثل هذه التربية على الأب أيضاً بعد موته. فالولد الصالح كالصدقة الجارية إذ يحافظ على ذكر والده حياً. أما الولد الطالح فيكيل لوالده لعنات أبناء المجتمع. وهذا درس لنا اليوم وتحذير في نفس الوقت لكي ننتخب طريقنا في الحياة.

الفصل الرابع
علاقة الأب بولده

تكوّن الجنين:

يتكوّن الطفل من إتحاد بين ذرات الخلايا الجنسية في نطفة الرجل والمرأة، ثمّ يسمىٰ جنيناً ويخرج مولوداً كاملاً إلى الحياة بعد أن يمرّ بعدد من المراحل في رحم الأم.

ويمكن مشاهدة صفات وخصائص عديدة في هذا المولود الجديد أخذها من الأب أو الأم. فالوالدان ينقلان العديد من صفاتهما إلى ولدهما عن طريق الدم أو الوراثة والمحيط كالشكل والحجم وتركيب العظام والذكاء وبعض الصفات الطبيعية الأخرىٰ وحتى الأمراض وأعراضها المختلفة

ويمكن وصف الطفل بأنّه خليط من صفات وخصائص الوالدين سواء في الأمور الظاهرية أو الباطنية. ولكن ما هي الصفات التي يكتسبها الطفل من والده أو والدته؟ فهذا ما يجيب عليه علم الوراثة الذي توصل إلى نتائج جيدة في هذا المجال.

تأثير الأب علىٰ الجنين:

للأب نوعان من التأثير على الجنين ومن ثَمّ على الطفل، وسوف نشير إليهما باختصار:

١ ـ الوراثة

ونقصد بها ما يرثه الطفل من صفات وخصائص الأب والأم وأجدادهما عن طريق النطفة. ويؤثر الأب على حاضر الطفل ومستقبله، ولهذا السبب فإن الآباء مسؤولون عن تلك النتائج.

وقد ذكر الإسلام عدة وصايا وتعليمات في هذا المجال. فالأب يرسم من خلال صفاته التي سينقلها إلى هذ المولود برنامج حياته ويضع له المخطط الذي يؤهله لامتلاك سيرة خاصة وصفات معينة في الحياة. لذا يجب علىٰ الملوثين والمصابين بالأمراض الخلقية أن يحذروا كثيراً لكيلا ينقلوا هذه الصفات إلى أطفالهم فيخلقوا لهم المشاكل. وقد حرمت الشريعة الإسلامية بعض الناس من التمتع بحق امتلاك الطفل، كالمدمن على الخمر مثلاً فلا يحق لزوجته أن تمكنه من نفسها عندما يكون ثملاً.

أهمية الوراثة:

للوراثة دور كبير ومهم في حياة الطفل، ونحن هنا لا نريد التحدث عن كيفية التأثير وكميته بل إنها مؤثرة بشكلٍ مؤكد ولا بد من الإلتفات إليها. ولها تبعات ثقيلة من الناحية العملية قد تستمر مع الإنسان طيلة فترة حياته.

ويوجِدُ عامل الوراثة لدىٰ الطفل ميولاً خلقية وسلوكية مختلفة لا يمكن تغيير العديد منها إضافة إلى التأثيرات الجسمية والنفسية كالذكاء أو ما يختص ببناء جسم الإنسان.

إنّ سلامة الأب أو مرضه وذكاءه أو غباءه وحتى نموه وسنه ... تؤثر في الطفل. وتخضع هذه التأثيرات لقانون الوراثة الذي يحدد مصير الطفل ومستقبله ودوره في الحياة.

وتعود بعض المشاكل والظواهر الجسمية والعقلية إلى الخلل الموجود في الكروموسومات، ولا يمكننا أن ننسىٰ دور الأم في هذا المجال أيضاً.

والنتيجة النهائية هي سعادة هذا المخلوق أو شقاؤه طيلة فترة حياته.

الصفات الوراثية المنتقلة:

أشرنا سابقاً إلى بعض الصفات التي يمكنها أن تنتقل عبر عامل الوراثة لكننا سنشير هنا إلى مجموعات هذه الصفات وهي:

- الصفات الخاصة بشكل الجسم وهيكليته. وبموجب هذه الصفات نرىٰ أن الإنسان لا يلدُ إلاّ إنساناً والحيوان لا يلدُ إلاّ حيواناً.
- الصفات الخاصة بالجوانب الطبيعية وفسلجة الأعضاء مثل عمل القلب والرئة والغدد المختلفة والسن ولون الشعر والعين وغير ذلك.
- الصفات المرتبطة بالجوانب العقلية والنفسية كالذكأء والغباء والفهم والإدراك والإستيعاب وغيره.
- الصفات المرضية خاصة الأمراض المزمنة كالسكر وبعض الأمراض الجنسية وغير ذلك.

لذا نرىٰ أن عامل الوراثة يتدخل بشكلٍ كبير في البناء الظاهري والعصبي والطبيعي وحتىٰ في التخلّف العقلي والأمراض النفسية الأخرىٰ. وترتبط سلامة الطفل وخلقه ونموه العضلي إرتباطاً مباشراً بهذا العامل.

كما تنتقل العديد من الصفات الأخرىٰ كالإدمان علىٰ المخدرات والتخلّف العقلي والأمراض العصبية وحتىٰ بعض الصفات العاطفية من الأب إلى ولده بالإضافة إلى تأثيرات المحيط والوسط الذي يعيش فيه ذلك الطفل.

٢ ـ المحيط

وهو عامل آخر مهم لا بدّ أن نذكره في هذا المجال. ونقصد بالمحيط الظروف التي يعيشها ذلك الإنسان والوسط الذي يترعرع فيه الطفل. ويشمل المحيط مجموعة من العوامل كالغذاء والطبيعة الجغرافية والأخلاق وغير ذلك.

وبشكلٍ عام يمكن أن نقسّم العوامل المحيطية المؤثرة إلى قسمين: العوامل الإنسانية والعوامل غير الإنسانية. ونقصد بالعوامل الإنسانية،

الأشخاص الذين يمكنهم فرض طبائعهم وأخلاقهم وثقافتهم علىٰ الآخرين. ويمكننا أن نشير في هذا المجال إلى الأب والأم والأشقاء والأقرباء والأصدقاء والمعلم وأبناء المجتمع والمسؤولين والقادة، إذ يؤثّر كل واحد منهم بدرجة معينة.

أمّا في مجال العوامل غير الإنسانية فيمكننا أن نشير إلىٰ الغذاء والدواء والمشروبات والظروف المناخية والحالة الجغرافية وطبيعة العمل والضوضاء والظواهر المختلفة والغابات والصحاري والجبال وغير ذلك. وتحيط هذه العوامل بالإنسان بشكل أو بآخر وتجعله يتأثّر بها.

والحقيقة فلا يمكننا أن نكتفي بذكر الوراثة فقط، بل إنّ الإنسان هو كائن ينشأ بفعل تأثيرات المحيط والوراثة معاً.

وبخصوص الأب لا بدّ من القول إن سلوكه وأخلاقه وتعامله والتزامه وموقفه ازاء مختلف الأمور تعدّ كلها مؤثّرة في الطفل بصورة أو بأخرىٰ.

ويعتقد علماء النفس أنّ سلوك الطفل إنما هو مرآة تعكس سلوك والديه، وأنه صورة لوالده في مجال السلوك والانضباط.

أهمية المحيط:

لا تقلّ أهمية المحيط عن الوراثة. فالمحيط الجيد يلغي أحياناً تلك التأثيرات السيئة لعامل الوراثة. ويستطيع المحيط السيء أيضاً أن يلغي التأثير الإيجابي لعامل الوراثة أحياناً. ووصل الحدّ بابن نوح مثلاً أن يفرط بعائلته ووالده كما أشار القرآن الكريم، وذلك بسبب معاشرته للفاسدين.

وبخصوص المحيط لا بدّ من القول إن للأب دوراً مهماً في مجال تحديد سلوك ولده وأخلاقه وشرفه وانحرافه. فلو كان الأب نزيهاً ومؤمناً وشريفاً وعابداً فإن هذه الصفات ستنتقل إلى ولده حتماً. والعكس صحيح أيضاً.

إنّ الرغبة بالتقليد في الطفل قوية وإنّه يميل لتقليد الوالدين لاحتكاكه الكبير بهما خاصة وأن التقاليد العائلية والأخلاق والالتزامات تسوق الطفل بهذا الاتجاه. فالأب هو البطل بالنسبة لطفله الذي سيقلده حتىٰ في سلوكه

أيضاً. ولو سُئلَ الطفل لماذا قمت بهذا العمل؟ لأجاب: إن والدي قام به أيضاً. وهذا بمثابة تحذير إلى الآباء بضرورة مراقبة أقوالهم وسلوكهم.

الصفات المحيطية المنتقلة:

تنتقل جميع الصفات السلوكية من المحيط إلى الطفل سواء ما تعلق منها بشخصية الأب أو بطبيعته ومواقفه حيال الظواهر والحوادث المختلفة أو عطفه وقساوته بل وحتى نوع المشي والكلام والعادات الأخرىٰ.

فلو جعل الأب من محيط بيته محيطاً منحرفاً فإن تأثيراته ستنتقل بلا شك إلى طفله. أما لو كان محيطاً سالماً وخالياً من الإنحرافات فإن الطفل سيقتبس تلك التأثيرات أيضاً لتتفاعل في داخله فينشأ عليها. ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد رفع علماء النفس الشعار التالي: قل لي عن طفولتك حتى أقل لك مَنْ أنت.

وللأب تأثيرات بيئية وفكرية عديدة. وهذا مصداق لمقولة: «ولد العالم نصف عالم» والشيء الذي نريد التأكيد عليه هنا هو أن هذه الأمور لا تخلو من تأثيرات، حتى أن الطفل الجاهل سيتعلم بعض القضايا عن وعي أو من غير وعي وذلك متىٰ ما حضر في مجلس علم والده.

فالأفكار المختلفة والفلسفات والتقاليد والآداب والفنون والقيم والأخلاق والسلوك والعقائد الدينية والجرائم والإنحرافات والمواقف السياسية والاقتصادية وغير ذلك تؤثر في الطفل وفي بناء شخصيته وتحديد سلوكه.

أهمية دور الأب:

وهكذا نعرف أن للأب دوراً مهماً في حياة طفله الحالية والمستقبلية. يقول الخواجة نصير الدين الطوسي: إن الأب هو السبب الأول لوجود الإبن ثم سيكون سبباً لتربيته وكماله.

فللأب تأثيرات وراثية ومحيطية مصيرية تدخل في بناء الطفل. وإن سلوكه إسوة وقوله حجة وإباءَه مؤثر وجرأته مفيدة وهيبته بنّاءة. ويهب وجود الأب الدفء والنشاط في محيط العائلة.

كما أن تعامل الأب والتزامه وعطفه أو قساوته وصلابته أو انهياره وثقته بنفسه تمثل درساً للطفل، وتؤثر كرامة الأب في الطفل بمستوىً ما تؤثر فيه السلامة والصحة. فالأسرة ـ وخاصة الأب ـ هي المسؤولة عن كرامة الطفل ونزاهته وترفّعه عن الموبقات وعدم التلوّث بها.

ضرورة الحذر والاهتمام:

نفهم من خلال هذه الأهمية لماذا لا يحق للجميع الإنجاب رغم حقهم في الزواج. فالإنجاب هو موضوع مهم ومسؤولية عظيمة في نفس الوقت تحتاج إلى كفاءة ومهارة خاصة لا بدّ من توفير المقدمات لها.

ويقف الإنسان من خلال الزواج والإنجاب أمام إمتحان عسير يؤدي به إلى السعادة أحياناً ويسقطه في مستنقع الشقاء والعذاب في أحيان أخرىٰ. وسوف ننال العقاب الإلهي فيما لو قصّرنا في هذه المسؤولية والوديعة الإلهية.

قلنا سابقاً انه لا بدّ من الحذر وأنه ضروري جداً منذ مرحلة اختيار الزوجة وأداء حقّها ومعاشرتها وحتىٰ مرحلة تكوّن الجنين وولادته ومن ثمّ تربيته. ولا بدّ من الإستعانة بالباري جلّ وعلا ليعيننا على أداء هذه المسؤولية العظيمة.

يجب علينا بعد أن أصبحنا آباءً أن نعرف دورنا ومسؤوليتنا بشكل جيد ونحاول أداء وظائفنا على أحسن ما يرام. ولا يمكننا ـ كآباء ـ أن نلغي دورنا المصيري ولا بدّ من الحذر ومراعاة جميع التفاصيل في موضوع التربية لأثرها الكبير. لقد قيل بشأن تفسير الآية ﴿**علمت نفسٌ ما قدّمت وأخرت**﴾[1] أن الولد يمثل إدخاراً، وله دور بارز في خير الأب وشره، حتىٰ بعد مماته، وأنه سيجلب لوالده اللعنات بعد موته لو لم يُرَبَّ تربية صالحة، إذ ستنسب بعض آثار هذا الولد التربوية إلى والده.

(١) سورة الانفطار: آية ٥.

كيفية الإرتباط:

إن سر السعادة والكرامة يكمن في كيفية الإرتباط. وقد حدّد الإسلام المعالم العامة والأبعاد المختلفة لإرتباط الأب بولده وذكر أصولاً في التعامل مع الولد ذكراً كان أم أنثىٰ. فالولد عزيز علىٰ الأب ولا بدَّ أن يحترمه، ولكنّ هذا لا يعني التغافل عن تربيته أو التسامح في بنائه.

يجب علينا أن نهتم بالطفل حتىٰ ينشأ سالماً ونزيهاً ويكون صالحاً لخدمة مجتمعه. فالأولاد فلذات أكباد الآباء والأمهات، ويتعين على الأب حماية طفله من الأخطار المختلفة وبناؤه جيداً لأنه مسؤول أمام خالقه.

ويجب أن تقوم العلاقة على التفاهم والإلفة من أجل صلاح الطفل وخيره ورشده، وعلىٰ العطف والقوة أيضاً والصبر والتحمل والتدبير والتفكير والترغيب والترهيب، وتوفير القدوة الصالحة وبالتالي استخدام كل ما من شأنه أن يساعد في تربية هذا الولد وبنائه بناءً جيداً يؤهله لاتخاذ موقعه بين أوساط ذلك المجتمع.

ويحتاج هذا العمل إلى الشعور بالمسؤولية والإندفاع برغبة إضافة إلى الكفاءة والمهارة الخاصة.

الفصل الخامس

تصوّر الطفل لوالده

التصور والإرتباط بالأب:

يرتبط الطفل بأمّه منذ ولادته وطفولته ارتباطاً شديداً ويحمل تصوراً عنها بأنّها هي التي تحقق آماله وأحلامه، ويسعىٰ لينظر إلى دنياه من خلالها ويتعلم منها ويبذل في سبيلها ويفتديها.

ويدخل الأب إلى عالم الطفل منذ الشهر الثاني ليشغل حيّزاً من ذهنه وتصوره. وينمو الطفل ويحيط علماً تدريجياً بالأدوار المتعددة لوالده. فهو سيدرك أن هذا الوجه الجديد هو والده وملاذه ومعينه ومرشده ومعلمه وقائده والأهم من ذلك فإنه رازقه.

صحيح أن دور الأب لا يقل عن دور الأم في بعض الموارد، لكنه يمكننا ملاحظة الدور المهم والبنّاء للأب من خلال ما ذكرناه. فهو يُجسّد الإحساس والعقل والعلم في الأسرة وينظر الطفل إليه من خلال هذا المنظار.

التصورات الأخرىٰ:

عندما يكبر الطفل تدريجياً فإنّه يبدأ بتمييز الأدوار المختلفة لأعضاء أسرته وينتظر من كل واحد ما يناسب دوره. فمثلاً ينظر إلى والده بأنّه مثالاً للعلم والإقتدار والعدل وتنفيذ القانون، وينظر إلى أمّه بأنّها تمثّل الحب والعاطفة والحنان. وعليه أن يلجأ إلىٰ أبيه فيما لو شعر بالخطر، وإلى أمّه فيما لو شعر بحاجته إلى الحنان.

وقد يتحلىٰ الآباء بموجب طبائعهم وأخلاقهم بصفات كالعطف، والقسوة مما سيحمل الأطفال نفس هذا الإنطباع عنهم. أو قد تتغير الطبيعة فتؤدي إلى تغير انطباع الطفل أيضاً.

وتختلف تصورات الأطفال عن آبائهم باختلاف العلاقة والتعامل، ويحكمون علىٰ آبائهم من خلال ما يحملون من تصورات حيث يدخل في ذلك نوعية العلاقات والفترة الزمنية التي يحددها الأب لأسرته وأطفاله ومدىٰ أنسهم به.

ولا بد أن نشير إلى هذه الملاحظة وهي أن الطفل يرغب دائماً أن يكون والده ـ سواء شاهده أو لم يشاهده ـ كما يجب ملهماً له ومعيناً ومرشداً ليرسم في مخيلته تصوراً خاصاً عنه.

ويحاول الطفل الإستئناس والتسلي بهذه التصورات، وحري بالأب أن يقدم لولده المبادىء والأصول حتى تكون تصوراته بنّاءة وإيجابية.

الوجه البارز في الأسرة:

ينظر الطفل إلى والده من خلال أنه الوجه البارز في الأسرة وله مكانة خاصة في ذهنه ونفسه ويهتم بما يقوله أو يفعله. فهو يعتبره الأعلم والأقوىٰ والأجمل من بين جميع الكائنات ويتمنىٰ أن يكون مثله ويلجأ إلى تقليده عادة.

ينتبه الطفل عندما يبلغ عامين أو ثلاثة إلى أبيه ويبذل جهوداً في سبيل إظهار احترامه له ويلتزم بحده ولا يتجاوز. ويعود السبب في ذلك لكونه يحمل تصوّراً عن والده بأنّه شخصية عظيمة تمتاز بالعقل ولا يمكن لأيّ إنسان أن يبلغ شأنه.

ويُعجبُ الولد بأبيه لاقتداره، ويكون قدوته في حياته، ويقف بكامل قوته أمام أي طفل يحاول النيل منه ويدافع عنه، ولا يمكنه أن يصدق أبداً بوجود من هو أهم منه في المجتمع. وهذه نظرة عميقة حتى لو لم يكن الأب بمستواها.

يتعامل الطفل مع أبيه في البيت تعاملاً رسمياً بسبب هذا الإحساس

ويراعي الأدب ويضعه حائلاً بينه وبين أبيه بينما نراه يتصرف بحرية كاملة مع أمّه. وقد يلجأ أحياناً إلى الإرتباط بأبيه عن طريق أمّه.

التشبّه بالأب:

يسعىٰ الطفل كثيراً إلى التشبّه بوالده وذلك للأهمية التي يضعها للأب ولسلوكه البطولي. ويعتقد علماء نفس الطفل أن الذكور (٣ ـ ٦ سنوات) يعتبرون آباءَهم مثالاً لا بدّ أن يقتدىٰ به دائماً وأن قداسته لا يمكن مسّها أبداً حتىٰ يصل بهم الأمر أحياناً إلى الإفراط.

فالطفل ينظر لأبيه أنه مصدر القوة إذ يمكنه أن يستخدم قوته وقدرته في مجالات عديدة، وأنْ يحقق أحلامه وأمنياته ويحميها، وينبغي أن يحسب له ألف حساب ويعتمد على قوّته في الحياة، وأنه الخبير والمدافع عن أمن الأسرة ويتمنىٰ الطفل كثيراً أن يكون مثله.

كما يهوىٰ الطفل كثيراً التشبّه بأبيه فيحقق شخصيته ومكانته عن هذا الطريق ليلفت أنظار الآخرين إليه لينال مديحهم فيشعر بالفخر جرّاء ذلك.

الأب وتوفير الحاجات:

ينظر الطفل إلى الأب على أنه الرازق الذي يوفّر حاجات الأسرة. فعيون أعضاء الأسرة شاخصة إلى يديه وتترقبه في الليل لتشاهد ماذا يحمل فيهما أو في حقيبته.

إنّه مسؤول عن شراء الملابس والأحذية والخبز والحلويات إلى أطفاله، وأن يوفّر لهم بيئة مناسبة وأرضية جيدة للنشوء.

وأن يحقق جميع المستلزمات الحياتية الأخرىٰ كي يتربىٰ الطفل في كنفه أفضل تربية. فقد جاء في حديث عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «يحسبون أنكم ترزقونهم».

وتترسخ هذه الفكرة في ذهن الطفل أكثر فأكثر كلما زاد سنه، ويحمل الحدث تصوراً عن أمّه بأنّها مصدرٌ للحب والحنان والعطف فقط وأن الأب هو الذي يؤمّن مستلزمات المعيشة من المأكل والملبس وغير ذلك ويحقق

الإنضباط. فالأم تُشبع حاجته إلىٰ الحنان بينما يلبّي الأب حاجاته الأخرىٰ.

الأب وتوفير الأمن:

يحمل الطفل إنطباعاً عن والده بأنّه القادر دون غيره على توفير الأمن لأسرته. ولا بدّ من اللجوء إليه وطلب حمايته عندما يتعرّض هو أو باقي أفراد الأسرة لخطر معين.

ويمكن للأب فقط أن يزرع الأمل في القلوب فيما لو حدثت أية مشكلة في المجتمع.

وينال الأب مديح الطفل لأنّه الأقوىٰ في الأسرة والذي يقوم بتوفير حاجاته، ولا يحق لأي مخلوق في ظل تواجد الأب أن يعتدي علىٰ حقوق الأسرة وحريتها أو يتطاول للنيل من كرامتها. ويشعر الطفل من خلاله بالقوة فيمشي مرفوع الرأس متكلاً عليه.

الأب، مصدر للعلم والفكر:

يرتبط الطفل بواسطة أبيه بالعالم المحيط به. فهو مصدره في العلم والمعرفة. ويعتقد - مُغالياً - بأنه يعرف كل شيء ويحمل تصوراً عنه بأنّه الأفضل والأعلم والأكثر ثقافة بين الناس حتىٰ لو كان الأب أمّياً في حقيقته. ويبقىٰ هذا التصور حتىٰ ذلك اليوم الذي يدرك فيه الطفل معنىٰ العلم والدراسة والمدرسة.

يتصور الطفل أن والده عليم بجميع القواعد والمبادىء ويدرك ماذا عليه أن يفعل والمواقف التي لا بدّ أن يتخذها. فهو لا يمكنه أن يفرق بين والده وبين عالم ديني أو بروفسور. لذا نراه يدافع عن علمه ومعرفته. ولهذه الصفات يحب الطفل والده ويرغب دائماً أن يكون إلى جانبه ويفتخر أمام الآخرين بعظمته وأهميته، ويشعر بالاستقرار والسكن إلى جانبه لأنه يحقق له الخير الكثير.

كما أننا نرىٰ الذين يحملون وجهات نظر سلبية عن آبائهم كيف يتعصبون لهم ويمتدحون أفكارهم عدا أولئك الذين وصلوا مرحلة البلوغ

لشعورهم بالأفضلية على غيرهم فقد يلجأون أحياناً إلى استصغار آبائهم واحتقارهم.

تحذير إلى الآباء:

رغم ما قيل عن إيجابيات الآباء ودورهم البنّاء إلاّ أنه قد ينظر إليهم الأبناء أحياناً نظرة سلبية فيكرهونهم، وذلك عندما يفشل الأب في التعامل مع ولده ويحتقر نفسه.

يلجأ بعض الآباء إلى التعامل من موقع القوة والإقتدار فقط مع أولاده وذلك لكي يخشونه ويهابونه، وقد يستخدمون العنف أحياناً ويحطمون شخصية الولد أمام أصدقائه.

إننا نعلم أن الآباء لا يعادون أولادهم وإنما يلجأون إلى هذه الأساليب من أجل خيرهم وصلاحهم، ولكن الطفل لا يستسيغ هذه الأساليب أبداً.

وهذا هو سبب العديد من المشاكل القائمة بين الوالدين وأولادهما خاصة عندما يكونوا في سني الأحداث والبالغين، إذ يشعر الولد أنه أصبح قوياً مقتدراً ولا ضرورة للتنازل لوالده أو الاستسلام لأفكاره وإنّه محق في تصرفاته ولم يرتكب أي ذنب أو خطأ ولا بدّ أن يعارض والده.

ينبغي على الأب أن يمارس دوره بشكل يجعل الطفل يؤمن بعدالته وعطفه، وهذا يتطلب أن يراقب الأب دائماً تصرفاته وأعماله، كما وعليه أن يدرك أن أفضليته على ولده إنما تعود لعلمه وقابليته ومدّ يد العون إليه. لا إلى قدرته وقوته.

الحفاظ على مكانة الأب:

حري بالأب أن يقيم علاقاته مع ولده على أساس الإحترام والقبول والحفاظ على مكانته ومنزلته وذلك حتى لا يفقد دوره ويكون قادراً على أداء مسؤولية الأبوة. ولا بدّ أن يحذر مغبة الخطأ في عمله، ولو حصل ذلك - لا سمح الله - كقيامه بضرب ولده دون أي مبرر، فعليه الإعتذار منه وكسب ودّه من جديد.

وينبغي على الأب أن يحافظ على قدسيته وشخصيته أمام طفله. كما يجب عليه أن يفرق بين رغباته وأهوائه وبين ما يريده الطفل. وأن لا يصبَّ مشاكله وعقده على رأس طفله لما لذلك من التأثيرات السلبية على مستقبل الطفل. فالطفل ينظر إلى والده على أنه مصدر للقوة لكنه ينتظر منه أن يستخدم قوته في طريق خيره وصلاحه. لذلك يجب على الأب أن يتعامل مع ولده بشكل يجعله ينتظر لقاءه بفارغ الصبر لا أن يفرّ منه ويكره لقاءه، وهذا يرتبط بالأب وبما أوتي من فنٍ في هذا المجال.

الباب الثاني

وظائف الأب الأساسية

إنّ حديثنا في هذا الباب هو عن المسؤوليات والوظائف المهمة للأب والمؤثرة على أسرته وخاصة الأطفال. وسوف نشير إلى هذا الموضوع من خلال أربعة فصول:

إذ سيختصّ أحد الفصول بالحديث عن إدارة العائلة وتحديد هيكلية هذه الإدارة.

إننا نعتقد أن الأب هو القائد، وعليه أن يرسم فلسفة الحياة وينظم الوظائف ويقسمها، ويعيّن البرامج المختلفة، وينظم الأوقات والاهتمامات، ويحدد قواعد الإنضباط ويراعيها. ولا بدّ أن تسير إدارة الأب تجاه صلاح الأطفال.

أما الفصل الآخر فيرتبط بتوفير المستلزمات. فالأب يوفر حاجات الطفل وعليه أن يبذل جهده في سبيل توفير المستلزمات الضرورية. وإنّ بذل الجهد في هذا المجال هو من ضروريات الحياة والتسامح في ذلك يؤدي إلى ظهور أعراض وأخطار عديدة. وينبغي على الأب أن يفكر بالمرحلة التي تلي موته أيضاً.

ويتحدث الفصل الثالث من هذ الباب عن توفير الأمن للطفل وتقع هذه المسؤولية على عاتق الأب طبعاً.

وقد خصصنا فصلاً منفرداً لهذا الموضوع، لأهميته القصوىٰ وتأثيره

على البناء الجسمي والنفسي والأخلاقي والعاطفي والأمراض والمشاكل التي ستظهر فيما لو فقد هذا الأمن.

وأخيراً فقد اختص الفصل الرابع بالحديث عن مسؤولية التربية وسوف نوضح في هذا الفصل أن التربية هي حق من حقوق الطفل ولا بدّ للوالدين من أدائه. ويقع على الأب الجانب الأكبر من هذه المسؤولية، وينبغي عليه أن يؤمن بأهداف خاصة في هذا الطريق وأن يتبع برنامجاً وأسلوباً معيناً من أجل القيام بهذه المسؤولية.

الفصل السادس

إدارة الحياة الأسرية

الحاجة إلى النظام:

تحتاج المؤسسات المختلفة إلى نظام وقانون خاص تدير بواسطته نفسها من خلال إلتزام جميع الأفراد بهذا القانون بشكل أو بآخر. ويعي جميع الأفراد مسؤولياتهم طبقاً لهذا القانون أيضاً ويقدمون على أحسن وجه.

ويتفاوت هذا النظام طبقاً للمجتمعات المختلفة. ونحن ـ كمسلمين ـ نعلم جيداً ما هي الحدود والأدوار التي رسمها القرآن الكريم وحددتها السنة النبوية الشريفة للوالدين والأولاد.

وحدد الإسلام القاعدة التي يجب أن يقوم عليها بناء العائلة وأشار بوضوح إلى دور الرجل والمرأة والمسؤوليات الملقاة على عاتقهما في الأسرة الواحدة. كما حدد أيضاً حقوق جميع أفراد الأسرة الواحدة. وسوف نشير إلى بعض منها في السطور القادمة إن شاء الله. والشيء المهم هو ضرورة قيام الأب بإطلاع أفراد أسرته على الوصايا والتعاليم وحثّهم على رعايتها.

قيادة الأب:

تحتاج الأسرة ـ عقلياً ـ إلى قائد وحاكم ينفّذ القوانين ويحمي مصالحها ويفرض سيطرته عليها. ولا يصلح لهذه المهمة سوى الأب، (فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها) رسول الله (ص).

فالأب هو أفضل ملاذ للطفل وهو الذي يتخذ القرارات ويقوم بالتوجيه

والبناء والتنفيذ، إنه ملجأ لأفراد أسرته والمسؤول عن الإنفاق والمشرف على التزامها، والعقل المفكر للأسرة وقوتها واقتدارها، وهو الذي يوفر لها الأمن.

ينظر الأطفال إلى الأب نظرة لاشعورية أنه يمثل القانون وأنه سبب اقتدارهم، وذلك دون أن يتدخل الآخرون في تحقيق هذه النظرة. كما وينظرون إليه أيضاً على أنه المرشد والحامي والمراقب، وأنّه مصدر الخوف والغضب، والأمن والحب في نفس الوقت.

إنّه رب الأسرة ومديرها الذي يُعرب عن رأيه بشكلٍ مستقل ويتخذ القرارات المناسبة.

الخطوط العامة لقيادته:

ثمة وظائف أساسية ينبغي على القائد الأب الإهتمام بها وأداؤها علماً أن هذه الوظائف تختلف باختلاف طبقات المجتمع الواحد والمجتمعات الأخرىٰ:

١ - **البناء الفكري:** فالأب هو العنصر الذي يضع أسس البناء الفكري للأسرة ويحدد نظام القيم الذي يتحكم بالأفراد. وقد يكون للأم رأي في هذا المجال أيضاً، وعندها لا بدّ من الدمج بين الرأيين.

ويمثل الأب في الحقيقة القائد الديني للأسرة، وقد أكّد الإسلام كثيراً على هذا الأمر، فهو الذي يبني القاعدة المعنوية والأخلاقية للأسرة ويشرف على المسائل الدينية والاعتقادية. وهو الذي يأمر أبناءه بالصلاة «وأمر أهلك بالصلاة...» والصدق والتضحية والفداء، ويشرف كذلك على زوجته وأولاده ويوجههم نحو الطريق القويم. وما المواقف التي يتخذها الأولاد ازاء الحوادث والوقائع المختلفة إلا انعكاس لهداية الأب وتوجيهاته.

٢ - **تنظيم الوظائف وتقسيمها:** يتبنى الأب في محيط أسرته عملية تنظيم مختلف الأمور. فهو يحدد برنامج النوم واليقظة، وتناول الطعام واللعب، والسفر والإستجمام، وهو الذي يرسم مسؤوليات أفراد الأسرة في

البيت، والمسؤول عن المشتريات، والذي يجلب الطعام، ويعتني بأساس المنزل وزهور الحديقة وغير ذلك.

ويتحدد اعتبار الأب في جانب منه على ضوء هذا التنظيم وتقسيم الوظائف بحيث لا يسمح لأي فرد أن يتعدىٰ الحدود المرسومة له.

٣ ـ **تنظيم العلاقات**: يقوم الأب بعملية تنظيم للعلاقات وتحديدها. فهو ينظم علاقة الأخ بأخته والكبير بالصغير وعلاقات الأسرة بالأصدقاء والأقرباء. فهل يحق للأخ أو الأخت الكبيرة الأمر والنهي؟ وهل تجب لهما الطاعة؟

كما ويشرف الأب أيضاً على الممارسة الجيدة لهذه العلاقة، ويمنع الأخطاء والتجاوزات سيما قيام أي فرد من أفراد الأسرة بفرض رأيه على الآخرين، أو أن يستغل قوته فيكون عنيفاً مع الضعفاء. عندها سينال جزاءه من الأب الذي يقف بالمرصاد لكل متجاوز.

٤ ـ **رسم برنامج الحياة**: تحتاج كل أسرة إلى برنامج خاص من أجل ثباتها واستقرارها بشرط أن يلتزم جميع الأعضاء به. ولا بدّ أنْ يكون هذا البرنامج بنّاء وهادف لتحقيق مصالح الأسرة الحالية والمستقبلية.

ويجب أن يستخدم الأب تجاربه وعقله ويستعين بخبرات الآخرين في سبيل نجاح هذا البرنامج وتحقيق نتائجه. ولا بدّ أن يشتمل هذا المخطط على كل ما تحتاج إليه الأسرة من قضايا التسلية والأمور الأخرىٰ التي تؤدي إلى بنائها ورشدها وتزرع الألفة والتفاهم بين أفرادها. وينبغي أن يراعي هذا البرنامج السن والإدراك والفهم والطاقات البدنية.

٥ ـ **تنظيم الوقت**: قلنا سابقاً انه تقع على الأب مسؤولية كبيرة في تنظيم برنامج أفراد الأسرة. ويحدد للأطفال ـ خاصة الذين يدرسون في المدارس ـ أوقات الدراسة واللعب ومصاحبة الأصدقاء.

فالهدف من تنظيم الوقت هو لترتيب الحياة المعيشية للأسرة وبنائها، مما يحتاج إلى سياسة خاصة لكي لا يستثمر الطفل مثلاً جُلّ وقته في اللعب واللهو ويترك دراسته، أو أن يتفرّغ بشكل كامل لعملية الدراسة والمطالعة ويترك بناءه الجسمي والنفسي والعاطفي.

٦ ـ **المراقبة والاهتمام**: يعتبر الأب ملاذ الطفل وملجأه. صحيح أن الأم ترغب بإسعاد ولدها ويحق لها ذلك، لكن مسؤولية الهداية والتوجيه فيما لو حدث أي إنحراف أو خطأ تقع على الأب.

وسبب هذا الدور هو لمسؤولية الأب في مراقبة الأسرة والإهتمام بها. ويجب عليه أن يدفع عنها الأخطار الجسمية والأخلاقية والمعنوية. وهذه مسؤولية كبيرة ومهمة في نفس الوقت وتحتاج إلى جهودٍ عظيمة، لا يستطيع تحقيقها إلاّ الأب رغم صعوبتها.

جاء عن الإمام الصادق (ع) قوله:

لما نزلت هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾[1] جلس رجلٌ من المسلمين يبكي وقال: أنا قد عجزت عن نفسي وكُلِّفتُ أهلي، فقال رسول الله (ص): حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهىٰ عنه نفسك.

٧ ـ **المحافظة على الإنضباط**: إن الأب هو المسؤول عن التزام الأسرة وانضباطها، ويجب عليه أنْ يعلّم ولده إطاعة القوانين والإلتزام بها. ولا بدَّ له أن يتعاون مع زوجته وأنْ يدعمها من أجل تحقيق الإنضباط المطلوب.

وللأم دور مهم في هذا المجال وذلك لتأثير شخصيتها وسجاياها على الأولاد. لكن دور الأب يفوق عدة مرات دور الأم لأنّه ربّ الأسرة وسيدها. ويفهم الأفراد في ظله معنىٰ القانون.

فالطفل ينتظر من أمّه الحب والعطف والحنان وينتظر من أبيه تحقيق العدالة والإلتزام بالقانون، وهذا هو السبب في بروز دوره المهم، إذ انه الوحيد القادر على إصلاح طفله ومراقبة تصرفاته.

الهدف من إدارة الأسرة:

فالأب هو سيد الأسرة ولكن لا يعني ذلك أن يمارس رئاسته فقط، أو

(١) سورة التحريم: آية ٦.

أن يستغل ذلك لتفريغ عقده، إنه رب الأسرة وسيدها بشرط أن يوجّه الأطفال نحو الرشد والبناء الخلقي والعاطفي والإنساني.

ويجب على الأب أن يوفر الظروف المناسبة التي يحتاجها الطفل لتكامله، وأن يدعم ثقة الطفل بنفسه ويفسح المجال أمام حريته المشروطة ويكشف عن طاقاته الكامنة حتىٰ يتمكن من بناء مستقبله بشكل جيد في ذلك المجتمع.

فعندما يقال إن الولد سرٌ أبيه، فذلك يعني أن يقوم الأب بواجبه في مجال الإهتمام بهذا الطفل وبنائه. وانها لخيانة أنْ يترك الأب ولده أوأن يفرّط ويتسامح في بنائه ورشده في مختلف المجالات.

حتىٰ يحقق الأب وظيفته:

إنْ ممارسة وظيفة الأبوة لهي مسؤولية خطيرة للغاية لحاجتها إلى الوعي والصبر والتضحية. فقد جاء عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «الرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم».

فهو مسؤول عن تحقيق الثقة بين أفراد أسرته ووقايتهم والإهتمام بهم حتى لا ينحرفوا، وتوفير المناخ الملائم للشعور بالإستقلال والحرية ودرء الأخطار عنهم.

وينبغي على الأب أن يفكر بتربية أولاده وهم لا يزالون في رحم الأم حتى لا يشعر هذا المولود الجديد بالتيه بمجرد ولادته فتواجهه المشاكل.

ويجب عليه أن يشعر برغبة وميل شديدين بهذا الشأن ويُهيء نفسه للمرحلة الجديدة التي ستبدأ بعد ولادة الطفل.

الفصل السابع

توفير الحاجات

الإنسان والحاجة:

يحتاج الإنسان إلى أمور عديدة وكثيرة ويرتبط كدحه وتحركه وحياته ومماته بهذه الحاجات. فهو محتاج في كل لحظة من لحظات حياته، وإنّه سيموت حتماً فيما لو توقفت دقات قلبه للحظات قليلة أو بقي الزفير في رئتيه ثوان ولم يُفرِغها عنه.

والإنسان كائن فقير أيضاً، فَمَنْ يستطيع أن يقول أنه لا يحتاج إلى المأكل والملبس والمسكن أو أنه قادر على العيش بدون هذه الأمور أو إنّه قادر على توفيرها بمفرده؟ فالإنسان مرتبط بحاجاته ولا يمكن الفصل بينه وبينها أبداً.

وتتفاوت الحاجات بموجب الأعمال المختلفة وينبغي على المربي أن يتعرّف عليها وعلى حدودها وكيفيتهما وأن يوفرها للأطفال حسب أعمالهم ومستوياتهم. وهذا موضوع مهم للغاية لارتباطه بشخصية الطفل وسلامته جسمياً ونفسياً.

أنواع الحاجات:

تتنوع الحاجات وتتعدد ولا يمكننا عدّها وإحصاءها في هذه السطور القليلة وبحث كل واحدة منها بشكلٍ منفصل. وسوف نشير فيما يلي إلى تقسيم عام لهذه الحاجات وفق التسلسل التالي:

١ ـ الحاجات الحياتية ـ الجسمية: وتشمل الحاجة إلى الطعام والنوم

والإستراحة والملبس واللعب والحركة والنظافة والسكن والعمل واكتساب التجارب والخبرات وغير ذلك.

٢ ـ **الحاجات العاطفية:** وتشمل الحاجة إلى الحب والإحترام والتكريم والإشادة والمواساة والتودد والإهتمام والبكاء والحزن والسرور والنشاط.

٣ ـ **الحاجات النفسية:** وتشمل الحاجة إلى الدعم والأمان والنجاح وإبراز الذات وعزة النفس والثقة بالنفس وحب التطلع والحاجة إلى الصحة النفسية.

٤ ـ **الحاجات الإجتماعية:** وتشمل الحاجة إلى الإرتباط والمعاشرة والصداقة والمشاركة في الحياة الإجتماعية والتقليد. وكذلك الحاجة إلى القانون والنظم والأدب والأخلاق.

٥ ـ **الحاجة إلى البناء والرشد:** وتشمل الحاجة إلى الذات والوعي والهدفية والدعاء والتضرّع والعدل والإستقلال والحرية والبناء والتكامل والدفاع.

وثمّة حاجات أخرىٰ تخص الأطفال المصابين بالعاهات والمتخلفين عقلياً كحاجة اليتيم والمعلول والمتخلّف عقلياً والأطفال ذوي الذكاء الخارق وغيرهم.

دور الأب في توفير الحاجات:

تقع على عاتق الأب مسؤولية توفير معاش الأسرة وهو المتكفّل برزقها. وفي مجال توفير الحاجات الأخرىٰ فإمّا أن يكون الأب هو السبب المباشر في توفيرها أو أنْ يوفر الأجواء الملائمة حتى يقوم الأطفال وبقية أفراد الأسرة بتوفير حاجاتهم.

وتقع المسؤولية في جميع هذه الأحوال على الأب. ويحتاج أفراد الأسرة إلى مساعدته ودعمه، ويجب أن يكون ملاذهم ومرشدهم نحو حياة آمنة وسعيدة.

فالأب سيد الأسرة ومديرها، والمدبّر في نفس الوقت، ويمكنه أن يوفر سعادة الجميع وراحتهم من خلال استخدام عقله وثقافته وتسخير كافة الإمكانات المطلوبة لتحقيق هذا الغرض. وسوف يشعر الطفل باليأس فيما لو تقرر مقارنة والده مع بقية الآباء فوجده متقاعساً ولا مبالياً. إذ سيسيطر عليه الغم والحزن.

ولا يفوتنا أنْ نشير إلى الأم أيضاً ودورها في توفير حاجات الطفل خاصة في المجال العاطفي لاعتماده الكبير عليها، لكن الدور الكبير والنهائي هو للأب، وإن الأطفال ينظرون إليه نظرات يعتبرونه فيها السبب دائماً في حدوث أية مشكلة أو ظهور أي نقص.

جهود الأب في توفير الحاجات:

وهكذا نرىٰ أن الأطفال ينتظرون من الأب توفير حاجاتهم وتأمينها على أحسن وجه. ويعتمد تقييم الطفل لأبيه على قدرته في توفير تلك الحاجات. وغالباً ما يلجأ إلى المقارنة بينه وبين الآخرين طبقاً للجهود التي يبذلها، ويحاول الإستفسار من هذا وذاك كي تكتمل عملية المقارنة.

يجب على الأب أن يوفّر الحياة المعاشية لأسرته وأن لا يتوانىٰ في هذا الطريق (لا تكسلوا في طلب معايشكم فإن آباءَنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها). إنه مسؤول عن شراء الفاكهة لعائلته (ولا تكون فاكهة إلاّ أطعم عياله منها). ولا بدّ أن يوسع على عياله حتى ينال رضا الله (أرضاكم عند الله أوسعكم علىٰ عياله). ولهذه التوسعة فائدة نفسية وهي أن يُدعى له بطول العمر ولا يتمنون موته (ينبغي للرجل أن يوسع على عياله حتىٰ لا يتمنوا موته).

وبشكل عام، يجب على الأب أن يوفّر حاجات ولده خطوة فخطوة، يرافقه ويعينه حتى يتمكن من الوقوف على قدميه وتوفير حاجاته بنفسه، وسوف يشعر الطفل باليأس الذي سيدفعه إلى ملاذ آخر بمجرد أن يشاهد تكاسل الأب وعدم إهتمامه بتوفير حاجاته. وفي هذه الحالة سيكون الأب هو المسؤول عن العواقب الخطيرة لهذا التصرّف.

قيمة سعي الأب وجهاده:

تمثل جهود الأب التي يبذلها من أجل توفير حاجات عياله واجباً دينياً وأخلاقياً أيضاً. فالأب ـ إسلامياً ـ مدين لأطفاله وأهل بيته، ولهم حقوق عليه من خلال موافقته وإذعانه لعملية الزواج وفق العقد الإسلامي والرضا بالإنجاب وما سيترتب عليه من ضوابط.

أمّا من الناحية الأخلاقية، فالأطفال كالضيوف الذين دعوا إلى مأدبتكم في البيت. وكان يمكنكم عدم إنجابهم أو بالأحرىٰ عدم دعوتهم لهذه المائدة. والآن يجب عليكم أن تهتموا بهم وتؤدوا وظيفتكم على أحسن ما يرام.

ولم يترك الإسلام هذه الجهود دون أجر وثواب رغم إنّها واجبة دينياً وأخلاقياً. فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»، وهذه سعادة ما فوقها سعادة، أن يقوم ذلك الإنسان والأب الذي يقف إلى جوار ولده بتوفير حاجاته حتىٰ يتمكن هذا الولد من رفع رأسه والعيش بعزّة وكرامة.

مخاطر عدم الإشباع أو النقص فيه:

لا بدّ من إشباع الحاجات بشكل متعادل وعقلاني، وإلاّ فإن المخاطر ستهدد العلاقة القائمة بين الأب وولده، فقد يصاب الطفل بصدمة تؤثر على سلامته ونموّه الجسدي والعاطفي والأخلاقي والإجتماعي بل وحتى العقائدي، وستضعف تلك العلاقة القائمة بين الأب والولد وذلك متى ما شعر الأخير باليأس من والده، وسوف يسيطر الحزن والغم على هذا الطفل عندما تتزلزل مكانة الأب ويضعف موقعه ودوره، ويؤدي به ذلك أحياناً إلى الإنفصال عنه والإرتباط بالآخرين.

إن الإفتقار إلى المأكل والملبس المناسب ـ يؤدي إلى الشعور بعقدة الحقارة لدىٰ الطفل وظهور اضطرابات نفسية عديدة لا تزول بسهولة. وإن شعور الطفل بالعداء للآخرين ـ وحتى إنّه يعادي حياته الخاصة ويكرهها ـ يرتبط بتأثره وتألمه بسبب شعوره بالحرمان من بعض الحاجات أو إنّها قليلة. والسبب في ذلك هو تصوّر الطفل بأن الخطر يهدد حياته وأمنه.

على الأب أن يستخدم مع ولده سياسة معينة تمنع ذلك الإحساس عنده، وذلك عندما لم يتمكن من توفير حاجاته. ويمكن إقناع الأطفال بطرق مختلفة كتغيير بعض الحاجات وتبديل مواقعها، فمثلاً يستطيع الأب أن يُقبِّل ولده فيما لو لم يكن قادراً على شراء حذاء له.

فليجهد الآباء في توفير الحب والعطف للأطفال على الأقل أو زراعة الأمل في قلوبهم من خلال تقديم الوعود.

عالم ما بعد الموت:

تؤكد الوصايا الإسلامية أن على الإنسان أن لا يحرص على جمع المال والثروة وعليه أن يفكّر بالحساب الذي ينتظره في العالم الآخر.

ومطلوب منا أن ننفق الفائض من أموالنا لإسعاد الآخرين وحلّ مشاكلهم. لكن الروايات والأحاديث تؤكّد في نفس الوقت على التفكير والاهتمام ضمن الحد المتعارف عليه بمستقبل أولادنا، والأخذ بعين الإعتبار حياة الفقر ومشاكلها التي قد تواجه هؤلاء الأولاد في المستقبل. فليس صحيحاً أن يكون الإنسان بخيلاً فيقبض يديه حتى في أشدّ الظروف صعوبة، أو يُبقي أولاده منذ اللحظة التي يموت فيها بلا مأوىً ومعيل فيضطرون لمدّ يد الحاجة والعوز إلى الآخرين.

لقد توفي في عهد رسول الله (ص) رجلٌ من الأنصار وكان غنياً وثرياً جداً، وقد أوقف في حياته كلّ ما يملكه من المال والثروة لتنفق في سبيل الله، فاضطر أولاده لمدّ يد العوز إلى الآخرين لتمشية أمورهم. ولما سأل رسول الله (ص) عن سبب مدّ الأولاد يد العوز وعرف السبب قال (ص): لو كنتُ أعلم بهذا لما سمحت بدفنه في مقبرة المسلمين، فلماذا لم يفكّر بأولاده؟

ثقل المسؤولية:

إن مسؤولية الأب ثقيلة جداً، وهو المسؤول عن ما تحتاج إليه الأسرة، ويجب عليه إتخاذ التدابير اللازمة لكيلا يضطر أولاده إلى اللجوء إلى الآخرين والإنفصال عن أسرتهم.

كما أن الإهتمام بالأولاد وتوفير حاجاتهم هي مسؤولية الأب وواجب ملقىٰ على عاتقه وليس ترحّماً أو تفضّلاً منه. إنه مسؤول أمام خالقه وسيحاسبه حساباً عسيراً على تفريطه وتقصيره.

فالأب الذي يمتلك قابلية التوسيع على عياله ويمكنه أن يرفع خطوة علىٰ هذا الطريق لكنه لا يفعل ذلك يعتبر خائناً في ميزان الخالق جل وعلا ولا يمكن أن يعفو عنه أبداً.

الفصل الثامن

توفير الأمن

لماذا هذا الفصل؟:

قد يثار سؤال عن سبب تخصيص بحثٍ منفصل لموضوع توفير الأمن علماً أنه يندرج ضمن الفصل السابق والذي تحدث عن مسؤولية الأب في توفير مختلف حاجات الطفل؟ الجواب، هو لأهمية هذا الموضوع ومسؤولية الأب الكبيرة في توفير الأمن لأطفاله.

فالطفل يذكر عادة ما يحتاجه لوالديه حتى يقوما بتوفيره، لكنه يلجأ إلى أبيه ويعتبره مديناً له في توفير أمنه. فهو قد شاهد عدة مرات كيف أنّ جميع أفراد الأسرة يلجأون إلى الأب عند الحالات الصعبة والظروف الحساسة، ولا يعتقد ـ عملياً ـ بوجود من هو أكثر كفاءة أو قدرةً منه.

قلنا سابقاً ان الطفل يحمل انطباعاً عن والده بأنّه الأقوىٰ والأعلم والأقدر في محيط الأسرة، وهو الذي يصدر الأوامر والنواهي ويواجه مختلف الأحداث.

تأثير الأمن على النمو:

يحتاج الطفل بشدة إلى الأمن في كل أقسامه، فهو يحتاج إلى الأمن في المجال الاقتصادي والانضباط ولدىٰ مواجهته لمختلف الحوادث، والأمن الفكري والعاطفي وغير ذلك.

ولا يمكن أن يتم نموّ الطفل إلاّ في محيط الأسرة الآمِن. ويصدق هذا حتىٰ على النموّ الجسمي أيضاً. إذ سيتوقف نموّ الجسم فيما لو إنعدم

الأمن بالمقدار الكافي كما أشارت إلى ذلك مختلف الدراسات والبحوث. حيث يتسم مثل هؤلاء الأطفال بأجساد هزيلة وأجسام نحيلة ونحيفة. وإنّهم ينظرون إلى عالم الوجود بنظرات موحشة، ويحملون انطباعاً لا يمكن معه الإعتماد على أي إنسان أبداً، ويشعرون بأن الظلام والبرق والرعد يهددهم ولا ملجأ لهم سوىٰ الآباء الذين يمكنهم أن يحموهم ويطردوا عنهم الخوف. وهذا الإحساس ضروري لنمو الطفل جسدياً وعاطفياً وأخلاقياً.

الوظائف في هذا الطريق:

لذا يمكن القول إن وظيفة الأب لا تقتصر على توفير نفقات الأسرة وما تحتاج إليه من المأكل والملبس فقط بل عليه إضافة إلى ذلك أن يتواجد بين أفراد أسرته، وذلك التواجد مهم لتوفير الأمن لهم.

ويمكن وصف الأب في محيط أسرته كالبطل الذي ينجز جميع المهمات، ويعوّض جميع النواقص. إذ ما فائدة توفير الحاجات فيما لو لم يتمكن الأب من توفير الأمن إلى جانبها؟ حيث أن الطفل سيفقد قابلية الاستفادة من تلك الحاجات.

كما يعتبر الأب الرابط بين البيت وخارجه، ويمكن للحوادث التي تطرأ خارج البيت أن تأخذ طريقها إلى داخل البيت فتزرع الخوف والقلق في قلوب أفراد الأسرة، ولا يتمكن سوىٰ الأب أن يهدّىء روع الأفراد ويحثّهم على الصبر والاستقامة.

مَنْ الذي يُدخل الإطمئنان إلى قلب الطفل عندما تمرض أمه؟

مَنْ الذي يُشجّع الطفل ويدافع عنه عندما يشعر بالخوف من الناس أو من زملائه وأصدقائه في المدرسة فيزيل عنه هذا الكابوس ويدفعه لأن يتقدم في حياته؟

خطر فقدان الأمن:

لا بدّ من توفير المقدمات التي يطلبها تحقيق الأمن، وينبغي علىٰ الأب أن يقوم بدوره في هذا المجال بأحسن شكل. وقد قلنا سابقاً بأنّ فقدان الأمن يؤثر سلباً على نموّ الطفل في مختلف المجالات، وسيكون عاجزاً عن أداء دوره في المجتمع وعضواً فعالاً فيه.

أظهرت الدراسات العديدة التي أجريت بهذا الشأن أن فقدان الأمن يقلل من الشهية للطعام ويصيب الطفل بعسر الهضم والهزال والمرض أخيراً. كما أنه يؤدي أيضاً إلى إيجاد الخوف والاضطراب عند الطفل مما يجعله جاهزاً لممارسة بعض التصرفات المرفوضة كالإدعاءات الكاذبة والشقاوة والعصيان، وبعض الاضطرابات السلوكية الأخرىٰ.

وقد كشفت الدراسات أيضاً بأن الأطفال الذين لا يشعرون بالأمن إلى جانب آبائهم يتصفون بالنفاق والخوف والصمت والهدوء والكآبة أحياناً، أو يصابون بعقد نفسية في أحيان أخرىٰ وينصاعون إل القوانين دون نقاش ويكونون بالنتيجة أفراداً غير أسوياء.

وأشارت دراسة أخرىٰ أن الطفل الذي يشعر بحاجته إلى الأمن يلجأ بلا شك إلى شخص أو أشخاص آخرين فيما لو قصّر والده في هذا المجال، وسوف يبتعد في الحقيقة عن عائلته وأسرته وينفصل عنها وهذا يشكل بحدٍّ ذاته الأساس للعديد من المفاسد الأخلاقية والسلوكية التي يصاب بها الطفل. وسوف ينظر إلى والده يائساً حيث يحمل عنه إنطباعاً بأنه ضعيف وغير منضبط.

الأب هو الملاذ:

فالأب هو ملاذ الأسرة وحاميها، ويجب عليه أن يترجم هذا المفهوم عملياً لأطفاله. وأن الأولاد بحاجة إلى دعمه وحمايته في جميع أمورهم، وسوف يشعروا باليأس فيما لو أدركوا بأن الأب عاجز عن تحقيق ذلك.

ينبغي علىٰ الأب أن يتصرّف في محيط أسرته بصورة تسمح للطفل بأن يرتمي في أحضانه متى ما أدركه الخطر، وأن يشعر بالاستقرار عندما يكون إلى جانب أبيه، وهذا من ضروريات نمو الطفل وسلامته.

لذا حري بالأب أن يكون شجاعاً جريئاً ومقاوماً لمختلف الحوادث. فالأب الذي يعتريه الخوف والاضطراب عندما ينظر إلى مشهدٍ مخيف أو تواجهه مشكلة معينة لا يمكنه أن يوفّر الأمن لطفله، ويجب عليه أن يكشف عن اضطرابه أمام طفله أبداً.

فالطفل يحتاج إلى أب شجاع وقوي يقف إلى جانبه في الأزمات والمشاكل، ويكون قادراً على ممارسة وظيفته ومسؤوليته في توفير الأمن - وهذا من حاجات الطفل الضرورية حتىٰ في السنوات الأولىٰ من عمره - والاستقرار النفسي والأخلاقي.

الأمن في الأسرة:

البيت هو المكان الآمِن والملاذ لجميع أفراد الأسرة عندما تواجههم المشاكل. وإنه لذنب عظيم قيام الأب بتشجيع أولاده للهروب من البيت من خلال تصرفاته السيئة وشعورهم بفقدان الأمن، وسبب ذلك هو عدم وعي الأب لمسؤوليته.

فالأب هو الذي يرفع معنويات أفراد أسرته ويكون ملاذاً لأطفاله في الشدائد، ويوفّر لهم الأجواء الملائمة للحركة والنشاط.

ويمكن لعامل الأمن أن يساهم في تفعيل النشاط الفكري للطفل ويوجهه نحو مجالات مفيدة ويدفعه إلى الأمام دائماً.

وحري بالأب أن يتصرف وفق سلوك معين حتىٰ يكون الولد قادراً على العيش مرفوع الرأس ومفتخراً. إذ لا يكفي الشعور بالجرأة والشجاعة لوحده عندما يصاب الطفل بحالات الخوف والإضطراب.

وأخيراً، فإنّ الطفل لا يمكنه التقدم والتحلّي بالصدق والأمانة إلاّ في ظل المحيط الآمِن للأسرة.

الفصل التاسع

مسؤولية التربية

حق التربية:

لا يمكن للطفل أن يتجنب محيط الأسرة، فهو مضطر للعيش ضمن هذا الوسط، ويجب عليه أن يلتزم بالقوانين ويصبر عليها.

ويبرز في ظل هذه الظروف حق الطفل، فلا بدَّ للوالدين من أدائه ولو ضمن ذلك المحيط على الأقل.

فالتربية هي أهم حق للطفل ضمن الوسط الذي يعيشه. وتقع المسؤولية المباشرة على الأب، ويجب عليه أن يربيه بحيث يكون إنساناً مفيداً ونافعاً في المجتمع. وتختلف استعدادات الأطفال في قبول التربية، ولا بدَّ من مساعدتهم لكي يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم وبناء ذواتهم ومجتمعاتهم.

مسؤولية الوالدين:

إنّ أعز ما يملك الوالدان هو الولد، ومن الطبيعي أن يميلا إلى الإهتمام به على طول سني حياته، ويفرض العقل والأخلاق أيضاً أن يقوم الوالدان بتربية ولدهما.

فلا يجوز أن يكتفي الوالدان بالتفضّل على طفلهما في مجال المال والطعام فقط، ولا في قيامهما بتمليكه أرضاً أو بيتاً منذ اللحظة الأولى لولادته للتعبير عن إعتزازهما به والتفكير بمستقبله مادياً فقط. فهذه الأمور ليست مهمة ازاء موضوع التربية، فقد جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) قوله: «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن».

نعم، فالأدب الحسن هو أفضل ميراث، وهو خير ما يورثه الآباء لأبنائهم. لذا يجب عدم ترك الأطفال وشأنهم، وان العملية التربوية مهمة للغاية، وتقع على عاتق الوالدين المسؤولية الكاملة في ذلك.

ينبغي على الأب والأم أن يوفرا كل ما يحتاج إليه الطفل لنموّه وأن يهتمّا بهذا البرعم الجديد منذ اليوم الأوّل لولادته.

مسؤولية الأب في هذا الطريق:

إنّ الأب والأم مسؤولان معاً عن تربية طفلهما وأداء حقوقه، لكن المسؤولية الأكبر والمباشرة تقع على الأب في هذا المجال، فهو المسؤول الأول عن تربية أولاده إسلامياً، ومسؤول في نفس الوقت عن عواقب هذه التربية سواء كانت إيجابية أو سلبية.

حري بالأب أن يهتمّ بأطفاله حتى يكونوا مؤمنين ملتزمين نافعين في ذلك المجتمع، ولا يجوز له التهرب أبداً من تلك المسؤولية حتى في المرحلة الجنينية للطفل وعليه أن يهيىء الأجواء المناسبة منذ تلك المرحلة.

فالأب رب أسرته وهو الآمر والناهي فيها والمراقب لأخلاق أفراد الأسرة والمرشد والموجّه. وهو المسؤول طبقاً لهذه القاعدة عن نمو الأولاد وبنائهم وسعادتهم وصلاحهم وإرشادهم نحو طريق الخير.

ولا تختص مسؤولية الأب في البيت بالجانب الاقتصادي وتوفير الحاجات الحياتية فحسب، بل إنّه مسؤول عن تهذيب أخلاق أفراد أسرته وتوجيههم وبنائهم ذلك البناء المعنوي الصلب الذي يمكّنهم من مقاومة الصعوبات والشدائد، وأن يعبّد لهم الطريق ويقدّم لهم ما ورثه من الثقافة، ويوجد عندهم العادات والصفات الحسنة ويهتم ببنائهم الجسدي والنفسي، ويجتهد في تأديبهم، ويمنع انحرافهم. كما ينبغي عليه أن يوفر لأولاده مقدمات عفّتهم وطهرهم وأنْ يكون قدوة لهم في القول والعمل.

وللأم دورٌ مهمّ في هذا المجال أيضاً، لكن مسؤولية الأب أوسع بكثير من مسؤوليتها. ولكي تتكلّل الجهود بالنجاح لا بدّ من تعاون الأب والأم والتفكير معاً وبذل جهدهما لإنجاح العملية التربوية.

الأهداف والمقاصد:

إن التربية مطلوبة بنفسها، وذات هدف في نفس الوقت. وينبغي على الأب أن يجعل الهدف نصب عينيه دائماً، ويدخل في هذا الهدف موضوع نشوء الأطفال وتكشف الأبعاد الإنسانية في الشخصية وتوفير الحريات الأساسية وإيجاد المناخ الملائم لاحترام حقوق الإنسان.

على الأب أن يسأل نفسه عندما يهتم بتربية أولاده وبناتهم، ما هي أفكاره في هذا الشأن والخطوات التي لا بد أن يسلكها؟ وبخلاف ذلك ستكون التربية غير هادفة ما لم تُتخذ الخطوط الفكرية الرئيسة للأب وتتضح عنده الحقائق.

ولا توجد أية حاجة لتحديد أهداف عديدة ومعقدة كتلك التي تطرحها الأنظمة والمناهج التربوية، لكن عليه أن يفهم بعض المواضيع المهمة التي تمكنه من اتخاذ المواقف المناسبة عندما تواجهه الحوادث المختلفة.

البرنامج التربوي:

لا بدّ أن تقوم التربية في محيط الأسرة أو المدرسة أو المجتمع على برنامج واضح يشمل جميع الأبعاد الحياتية والجوانب الفردية والجماعية المختلفة، وأن يراعي هذا البرنامج القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ينبغي أن نعلّم الطفل أموراً يستفيد منها مستقبلاً في حياته الفردية والاجتماعية. وأن تشمل هذه الأمور الجوانب الدينية والأخلاقية والآداب والتقاليد الجيدة والفن والأدب وقيمة المال والطرق الصحيحة للحصول عليه والمهن الشريفة ولقمة العيش والقوانين والأحزاب ومفهوم الحرية وغير ذلك.

ولا بدّ لهذه التربية أنْ تهتمَّ بتنمية طاقات الطفل واستعداداته حتى يتمكن من السير في طريق تكامله. وتقع على الأب أيضاً مسؤولية تنمية الفطرة والأخلاق والسلوك الوجداني النزيه. فالطفل لا يولد كاذباً أو منافقاً أبداً فيجب على الأب أن ينمّي أخلاقه الحسنة ولا يسمح بتلوث قلبه وروحه فيزول صفاؤه ونقاؤه.

وهذا هو عمل الأنبياء، فينبغي على الآباء أن يواصلوا هذا العمل «فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته...» نهج البلاغة[1].

أساليب وفنون التربية:

جدير بالأب أن يكون على علم بالأساليب التربوية فهو المسؤول عن تربية طفله وتعليمه. وبتعدد الأساليب والفنون التربوية، يجب أن تنصّب الجهود في مجال التعليم على أفضل وجه وأكبر كمية ممكنة وبفترة زمنية قياسية.

أمّا في المجال التربوي فلا بدّ أن تبذل الجهود في سبيل إيجاد تغييرات جذرية عند الأشخاص حتىٰ يقتنعوا بما هو مطروح ويلتزموا به ويبتعدوا عن الأساليب المنحرفة ويشعروا بالندم عند القيام بها.

وينبغي على الأب أن يعلم كيف يتعامل مع طفله وما هي القصة التي يسردها له وأفضل أسلوب للتأثر بها.

فالطفل لا يعلم ابتداءً أي شيء عن الحقائق الأخلاقية والسلوكية ولا بد أن يقوم الأب بتوضيح هذه الحقائق من خلال سلوكه وعمله وينقل إليه التعاليم الأخلاقية. وتقع على الأب أيضاً وظيفة إيجاد حالة التفكر لدىٰ الطفل حتى يستخدم عقله واستدلاله المنطقي وليكون مهتماً بمستقبله. والنتيجة فإن الأب هو الأكثر نجاحاً في مجال تربية ولده فيما لو عرف مسؤوليته واتقن ممارستها.

ضرورة الإهتمام:

تحتاج التربية إلى اهتمام بالغ وحرص شديد ولا يكفي الزمن وحده في هذا المجال، بل لا بدّ من اليقظة والحذر. فالأب الواعي والمؤمن يضحي حتماً من أجل تربية ولده ويا حبذا لو زاد على ذلك بتقييم نتائج مجهوداته.

ويدرك الآباء الذين يتصرفون بحكمة ـ حتى ولو كانوا أميين ـ أنه لا

---

(١) نهج البلاغة.

يمكن ترك الطفل وشأنه لحاجة التربية إلى اهتمام كبير، وعليه أن يرضىٰ بدخلٍ منخفض في سبيل أن يوفّر وقتاً أكبر لتربية أطفاله وليكون كالظل الذي يرافق الإنسان أينما يذهب.

صعوبة المسؤولية:

فالتربية ستكون يسيرة فيما لو تعامل الأب مع أولاده تعاملاً منطقياً في تحقيق وظائفه، وإلاّ لواجهته الصعوبات والمشاكل.

وفي عصرنا الحاضر رغم سهولة هذه المسؤولية إلاّ إنّها ستبقىٰ صعبة أيضاً. فليس يسيراً أن نتمكن في عصرنا الحاضر والمرحلة التي نعيشها من تربية أولاد صالحين وزاهدين ومؤمنين يمكنهم أن يضحّوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل أهدافهم الإلهية المقدسة وذلك بسبب مشاكل الحياة والمفاسد التي تهدد المجتمعات والعوامل العديدة التي تؤثر على الأطفال وتغريهم.

ويضع الأب الخطوة الأولىٰ في مجال التربية منذ أن يختار زوجته، ويواصل عمله هذا حتى ٢١ عاماً بعد ولادة الطفل، ويجب عليه أن يرافق طفله طيلة هذه المرحلة خطوة خطوة ويستخدم خبراته ووعيه وما أوتي من فن في هذا الطريق. مع إعتباره عملاً شاقاً ويحتاج إلى الصبر.

مخاطر القصور والتقصير:

إن التسامح والتقصير في التربية يؤدي بلا شك إلى إيجاد صعوبات عديدة في مجال البناء. إذ سيراوح الطفل في مكانه ولا يمكنه التقدم وفق ما هو مطلوب. فاليتيم ليس مَنْ فقد أمّه وأباه وإنّما الذي يفقد مرشده في العلم والأدب.

فلو قصّر الآباء في تربية أولادهم لأوجدوا المناخ الملائم للعديد من الانحرافات. وما المنحرفون في المجتمع إلاّ هم ـ في الحقيقة ـ أولئك الذين لم يتربّوا جيداً خلال سني طفولتهم وسيلعن المجتمع مثل هؤلاء الآباء إضافة إلى لعنة الباري جلّ وعلا.

والخلاصة فإن الأب مسؤول أمام خالقه فيما لو قصّر في تربية أولاده الذين سيشكونه عند الله جل جلاله فينال جزاءه العادل.

الباب الثالث

الأب وحقوق الأطفال

للطفل حق على والده لأن وجوده جزء من وجود الأب وهو وديعة الخالق جلّ وعلا عند هذا الأب.

فللطفل حق التربية والتعليم على والده إضافة إلى حقّه في توفير حاجاته. ويجب على الأب أن يؤدي هذا الحق على أفضل وجه مراعياً الاستعدادات المختلفة ودون أن يفرّق بين هذا وذاك.

وإنّ العقاب الإلهي الشديد ينتظر ذلك الأب الذي لا يؤدي هذه الحقوق. فينبغي للآباء أن يطلبوا العون من خالقهم ليتمكنوا من أداء هذه المسؤولية الثقيلة، وأن يقوموا ببناء أنفسهم وذواتهم إستعداداً لهذه الوظيفة.

ومن الضروري أن يتحلّىٰ الآباء بالوعي والإيمان من أجل القيام بمهمة التربية، وعليهم أن يوفروا لقمة العيش الحلال لأولادهم للمحافظة على صفاء نفوسهم وطهارتها، وان أي تسامح في هذا الأمر يؤدي إلى بروز مشاكل جمّة للفرد ولمجتمعه.

وسوف نسعىٰ في هذا الباب إلى التحدث عن الموضوع أعلاه من خلال ثلاثة فصول مع مراعاة الإيجاز في ذلك.

الفصل العاشر

دائرة الحقوق

حق الطفل:

تتم عملية الزواج وتتبعها ولادات ومواليد، ثم يجتمع الأطفال حول مائدة الأب ليكونوا ضيوفه، وهم في الواقع ودائع رب العالمين وفلذات أكباد الوالدين. وتظهر بعد ولادتهم حقوق في أعناق الأب والأم لا بدَّ من أدائها.

فهم يولدون دائنين ونحن مدينون لهم. ويجب علينا تأدية هذا الدَّين بأفضل وجه، وتوجيههم بالشكل الذي يُرضي صاحب الوديعة وهو الخالق جلَّ وعلا.

فالأب والأم مدينان لولدهما، لكن المسؤولية المباشرة تقع على عاتق الأب.

فلا يحق لهما تربية طفلهما كيفما أرادا، أو فرض إرادتهما ووجهة نظرهما عليه. ومعلوم ما هو دَيْن الوالدين لولدهما، وما هي الأمور التي يطالب الطفل والده بها. وقد حدد الباري جلّ شأنه تلك الأمور، وأمر الوالدين برعايتها.

الطفل جزء من وجود الأب:

يجب على الأب أن لا ينسى أبداً، وهو يؤدي حقوق طفله، أن هذا الولد هو جزء من وجوده. فالإمام السجاد (ع) يقول عن حق الولد:

- إنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه.

- إنّك مسّؤول عما وليته من حسن الأدب.
- إنّك مسْؤول عن دلالته على ربّه.
- إنّك مسْؤول عن معونته لطاعة ربّه.
- إنّك مسْؤول أن تعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه.

وورد في وصيةٍ للإمام علي (ع) إلى ولده الحسن (ع): «...ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني...».

فوجود الولد هو من وجود الأب وينبغي أن يحب له ما يحبه لنفسه.

مجالات الحقوق:

وهكذا نرىٰ أن الأب مسؤول عن طفله، فهو مسؤول عن سلامة جسمه ونفسه وبنائه وذهنه وعقله، ويجب عليه أن يقوم بتأديبه وتربيته، وأن يعلم بأن أفضل عطية للولد هي التربية الصالحة والأدب الرفيع.

ويمكن تحديد حقوق الطفل بالمجالات التالية:

١ - **حق التعليم**: فالأب هو المسؤول عن تعليم ولده، ويشمل التعليم مجالات واسعة من العلوم والمعرفة مثل:

* تعليمه واطلاعه على ظواهر الوجود المختلفة كعالم النبات والحيوان والجماد.
* تعليمه القرآن والأحكام والتعاليم الخاصة بالحياة الفردية والجماعية.
* تعليمه فنون الحرب والدفاع كالرماية والسباحة والفروسية وغير ذلك.
* تعليمه كل ما يرتبط بحقائق المجتمع من السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع.
* تعليمه دروساً في المعاشرة والأخلاق والتعامل واتخاذ المواقف المختلفة.
* تعليمه كل ما يرتبط بحياته الفردية كعزة النفس وغناها وبناء السمات الذاتية الأخرىٰ.

* تعريفه بأهداف الحياة وفلسفة الوجود والمواقف التي ينبغي أن يتخذها الإنسان حيال هذه الظواهر.

* تعليمه الثقافة العامة والقراءة والكتابة.

* وأخيراً تعليمه كل ما يحتاج إليه في حياته الحالية والمستقبلية.

واستكمالاً للموضوع نشير إلى حديثين شريفين نستغني بهما عن ذكر العديد من الجزئيات الأخرىٰ.

أ ـ ورد عن أمير المؤمنين الامام علي (ع) قوله: «علّموا صبيانكم ما ينفعهم الله به».

ب ـ وجاء عن الإمام الصادق (ع) قوله: «أولى الأشياء أن يتعلّمها الأحداث التي إذا صاروا كباراً إحتاجوا إليها».

٢ ـ **حق التربية**: يجب على الأب أن يؤدي هذا الحق ويقوم بوظيفة التربية ويبذل جهده؛ وتعني التربية بناء الطفل. وقد تبرز الحاجة أحياناً لإعادة البناء من جديد، وبشكلٍ عام فإنّ وظيفة الآباء هي الاهتمام بتأديب الأطفال «ويحسن أدبه...» نهج البلاغة.

للتربية مجالات واسعة جداً وتشمل جميع الأبعاد الوجودية للإنسان مثل:

أ: البعد الجسمي: ووظيفة التربية بناء الجسم وتنمَيته، ونظافته وحفظه بعيداً عن الأخطار والأمراض والأعراض السلبية الأخرىٰ، وبناء الأعضاء وتقوية العضلات وغير ذلك.

ب: البعد العقلي: ويشمل بناء العقل والاهتمام بالذكاء والخيال والدقة وحب التطلع والحفظ والتجسيد وقابلية التعميم والتجرد والقياس والاستنتاج وغير ذلك. وحري بالأب أن يوجه ولده لحلّ المسائل الرياضية والتمارين ويحلل الظواهر ويحلّ الألغاز.

ج: البعد النفسي: ويشمل تلك الجوانب التي ترتبط بالأخلاق السامية والهمة العالية والعزم الراسخ والجرأة والاستقامة في الأمور. وأن يدعم الأب تلك الصفات الإنسانية النبيلة في ولده كالإيثار والعدل والتحرر

والاستقلال وتقديم العون والإحسان والإنفاق وطلب الخير وكل ما يساهم في توفير حياة حرة كريمة.

الهدفية في الحياة:

من الأمور التي يجب على الآباء مراعاتها لدىٰ تربية أولادهم إيجاد الأرضية المناسبة للهدفية في كل شيء. فالإسلام يؤكّد دائماً بأنّه على الإنسان أن يكون هادفاً في جميع أعماله، وأن تنسجم هدفيته ـ حتماً ـ مع فلسفة الحياة.

إننا لا نطالب الآباء بتدريس أولادهم الفلسفة وأصولها والتحدث إليهم عن أسرار الحياة، لكن الشيء المطلوب هو أن يدرك الإنسان كنهه، لماذا وُلِد؟ ولماذا يعمل؟ ولماذا يموت؟ وما هو سر النجاح في الحياة؟... فالذي لا يعلم سبب خلقه سيموت دون أن يعلم سبب موته.

فالهدفية في الحياة تجعل الإنسان يتحرك بخطوات مدروسة ويسير بوعي ويوجه جهده وتحرّكه.

على الإنسان أن يعلم كيف يواجه مختلف الأمور ليكون قادراً علىٰ تحمّل الصعوبات والشدائد والآلام في سبيل الهدف.

حقوق أخرىٰ للطفل:

من الحقوق الأخرىٰ للطفل والتي يمكننا ذكرها هنا هي حقه في القبول، والدعم، والتسمية، والمراقبة، والصحة، والأمن، والطعام المناسب، والملبس، والمسكن الجيد وغير ذلك. حيث يجب على الأب أن يقوم بتوفير المُناخ الملائم والظروف المناسبة لتحقيقها واستفادة الطفل منها، بل وحتىٰ توفير مقدمات زواجه عند بلوغه.

ويؤدي التفريط بهذه الحقوق إلى إصابة الطفل بالعديد من الإضطرابات والانحرافات والأذىٰ والألم، وقد يشعر الطفل أحياناً بالتيه نتيجة لعدم اهتمام الأب به مما يعرّض فكره واستقلالية قراره للخطر أو يحتقر نفسه ويستصغر شأنه فلا يُؤمن شرّه «مَنْ هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه» عن الإمام الجواد (ع).

ملاحظة مهمة:

على الآباء أن يدركوا بأن أداء حق الطفل يعتبر مسؤولية في أعناقهم وليس عطفاً منهم وترحّماً وذلك رغم أنهم مثابون ومأجورون على هذا العمل «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يُغفر لكم» عن الإمام الصادق (ع).

فالخالق جلّ وعلا هو الذي فرض هذه المسؤولية على الوالدين وطالبهما بأدائها، وإنّهما سيعاقبان ويحاسبان على التفريط بها.

وإن الأب هو أمين الباري ولا يحق له التفضل على ولده بسبب حفظه لهذه الوديعة الإلهية وأداء حقّها، وإنه سينال ـ طبعاً ـ أجره وثوابه.

كما وإن الأولاد مدينون لآبائهم من الناحية الأخلاقية والمعنوية ويجب عليهم أن يقدّروا جهودهم ويدعوا لهم بالخير والرحمة.

الفصل الحادي عشر

كيفية أداء الحقوق

الإهتمام بالولد:

إن ذوي المكانة والكرامة يهتمون بأولادهم ويعملون لخيرهم وسعادتهم، وسبب هذا الإهتمام هو مسؤولية الأب أولاً، والضرورة الأخلاقية والوجدانية ثانياً التي تفرض على الأب أن يفكّر ويهتم بهذا المولود الجديد الذي لم يأتِ إلى عالم الوجود بملء إرادته.

يطمح الآباء غالباً إلى تربية أولادهم خلقياً وعاطفياً تحت إشرافهم مباشرة حتى يكونوا سبباً لفخرهم وفرحهم، ولكن وللأسف إن بعض الآباء يعتقدون بأن أولادهم بحاجة إلى المأكل والملبس والمسكن فقط. وهذا هو سبب التفريط بالتربية.

كما يعتقد البعض الآخر بأن الولد هو عبدٌ لوالده فلا يهتمّ بتربيته ولا يحترمه أبداً، وقد يبذل الأب جهداً معيناً من أجل ولده، لكنّه يمنّ عليه ويعتبره نوعاً من الإحسان إليه في حين انه مكلف بمراعاة الأصول والضوابط الإنسانية بشأنه وإنّه مدين له في هذا المجال.

ضرورة الحذر:

فالأب مسؤول عن تربية ولده ولا بدَّ أن يقوم بها باهتمام بالغ وحذر شديد.

ينبغي على الأب أن يكون نبهاً لوجود مخاطر تهدد مسيرة بناء الطفل ونموّه في حياته الحالية والمستقبلية، فما أكثر الأطفال الذين انحرفوا عن

جادة الصواب بسبب إهمال الأب أو ولي الأمر وتسامحه في مجال التربية.

وفي مقابل ذلك نرىٰ أطفالاً ساروا على طريق الهداية والتكامل لأن لهم آباءً ملتزمين وحذرين وليس بسبب المستوىٰ الدراسي للأب وفضله.

إنّ اهتمام الأب بتربية أولاده هو من حقوقهم الواجبة إضافة إلى أنّه أمر أخلاقي في الوقت نفسه، ولا بد أن يتم ذلك بأحسن شكل وبأقصىٰ سرعة حتىٰ يمكن سد الطريق أمام مختلف الانحرافات. فقد ورد عن الإمام علي (ع) في نهج البلاغة قوله: «... فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك».

مجالات الإهتمام:

ثمة كلام كثير عن دائرة الاهتمامات والظروف التي ينبغي توفرها، لكننا سنشير فيما يلي إلى بعض هذه الاهتمامات:

١ ـ **القبول والاحترام**: ويمثل هذا حقاً طبيعياً من حقوق الطفل، فالأب والأم قاما بدعوة هذا الضيف الجديد إلى عالم الوجود وهو غير مسؤول عن نوعه وجنسه وسلامته ومرضه، وهو مظلوم حقّاً في هذا المجال.

فمن الظلم أن لا يهتمّ الوالدان بهذا الضيف ولا يقبلانه ويدلّ ذلك على جهلهما. إذ ينبغي القبول به سواء كان ذكراً أم أنثىٰ، قبيحاً أم جميلاً، سوياً أم مريضاً وأن يقوم الأب بهدايته وتوجيهه طبقاً لوظيفته.

فقبول الطفل واحترامه يمثلان أهم العوامل الرئيسية في نمو الطفل وبناء شخصيته منذ مرحلة الطفولة. وقد يشعر الطفل الذي لا يجد قبولاً من الآخرين بالحقارة، أو يلجأ إلى المشاكسة وإيجاد المشاكل لنفسه ولوالديه. فالشعور بالعزة لا يحصل إلاّ من خلال احترام الأب لولده.

٢ ـ **توفير الحاجات المشروعة**: للأطفال حاجات مشروعة تحدثنا عنها في الفصل السابع من هذا الكتاب، حيث يجب على الأب الملتزم أن يوفر حاجات طفله ويوجد المناخ الملائم لنموّه وسلامته جسمياً ونفسياً، فالأطفال يتصورون بأن آباءهم يرزقونهم ﴿**ويحسبون أنكم ترزقونهم**﴾ ويعتقدون انهم يمثلوا طموحاتهم ورغباتهم.

ويحسب الأطفال لوعود الأب في توفير حاجاتهم ألف حساب، وينتظرون منه أن يعمل بما يقول ويفي بوعده. فقد جاء عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «وإذا وعدتموهم ففوا لهم» وهذا هو أساس إيمان الطفل بوالده وثقته به.

٣ ـ **الجوانب الإنسانية:** أشرنا سابقاً إلى ضرورة احترام الطفل، ونضيف هنا أن ذلك لا يمثل إحساناً أبداً بل إنّه من مسؤولية الأب وعليه أن يؤديها بأجمل وجه، كما عليه أن يبني شخصيته ويعامله ويرتبط به على هذا الأساس حتىٰ يجد الولد نفسه حرّاً ومستقلاً في أداء وظائفه لا أن يشعر بالذلة والعبودية لوالده.

ينبغي أن يقوم التعامل على أساس أن الطفل أحد أعضاء الأسرة وشريك لها في أفراحها وأتراحها. وإنّه مستعد للتضحية من أجلها عند الضرورة وتسخير طاقاته الفكرية والجسمية في سبيلها.

٤ ـ **مراعاة الإختلافات:** يختلف أبناء الأسرة الواحدة فيما بينهم، فأحدهم ذكر والآخر أنثىٰ وهذا سليم وذا مريض، وواحد جميل والثاني قبيح، وواحد صغير والآخر كبير، ولا بدّ من الاهتمام بهذه الاختلافات بين الأولاد في الوقت الذي لا بدّ فيه من إقامة العدل والمساواة بينهم.

فمثلاً يجب علىٰ الأب أن يهتم بالبنت أكثر من الإبن وذلك في مجال إظهار العاطفة والحب والحنان وتقديم الهدايا وتخصيص الوقت الكافي. فالبنت ستصبح أمّاً في المستقبل وعليه أن لا تصاب عاطفة الأمومة عندها بأية صدمة نفسية.

أو أن يهتمّ بالطفل الصغير أكثر من الكبير والمعوّق أكثر من غيره وهكذا.

وحري أن تكون هذه الممارسات بمقدار مدروس حتى لا يستغلها الطفل فيسيء استخدامها. وأن يفهم الأطفال الآخرون سبب هذه الاهتمامات والفروقات حتى لا تثار عندهم الغيرة والحسد فيصابوا بأمراض وعقد نفسية.

٥ ـ **الخالق فوق كل شيء:** لا بد أن نعرف بأن الخالق يراقبنا في جميع تصرفاتنا وأمورنا.

صحيح أن الطفل لا يقدر أن يدافع عن نفسه فيما لو صفعته بسبب ضعفه، لكن الله موجود وهو يشاهد ظلمك له.

وتؤكد الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أن خالق السموات والأرض هو الذي يدافع عن المظلومين، وسوف ينال الظالمون جزاءهم حتماً.

على الأب أن يشعر بأن خالقه يراقبه في جميع تصرفاته وممارساته مع طفله. وقد جاء عن الإمام الحسين (ع) قوله: «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله».

طلب العون من الخالق:

إنكم لا تستطيعون النجاح في العملية التربوية مهما كانت سجاياكم وفضائلكم دون استمداد العون من الخالق جلّ وعلا وطلب توفيقاته.

نعم، يجب على الأب أن يلجأ إلى خالقه ويستعين به ليتمكن من المحافظة على هذه الوديعة الإلهية ويعبّد لها الطريق للتكامل والرقي.

وهذا هو سلوك الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام جميعاً. فمثلاً نقرأ في القرآن الكريم كيف أن نبي الله إبراهيم دعا ربّه وطلب منه العون لاستمرار تربيته في ذريته **﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا...﴾**، أو كيف أن الإمام السجّاد (ع) كان يطلب العون دائماً من خالقه ليعينه على تربية أولاده وتأديبهم حتى يكونوا من المحسنين.

وتتضح أهمية هذه الدعوات عندما نفكّر في مستقبل هذا الطفل والحالة التي سيكون عليها. فماذا سيحصل مثلاً لو كان محسناً، وما هي تأثيراته على الآخرين لو كان مسيئاً.

ورغم شخصية الإمام السجّاد (ع) وجهده في مجال تربية أولاده فإنّه كان يدعو لهم: «واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء سامعين مطيعين لك ولأوليائك محبّين ناصحين، ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين».

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٨.

أعراض عدم الاهتمام:

إن عدم مراعاة حقوق الأطفال يؤدي إلى ظهور الأعراض التالية:

١ ـ إصابة الطفل بصدمة في الشخصية في حاضره ومستقبله.

٢ ـ تضرر المجتمع الذي يعيش فيه ذلك الطفل.

٣ ـ فضيحة الأب والأم على طول حياتهم ومواجهتهم لمشاكل جمّة.

٤ ـ صدور اللعنات على الأب بعد موته لمساهمته في التربية الفاسدة.

٥ ـ نيل العقاب الإلهي.

٦ ـ وأخيراً والأدهى من كل ذلك أن هؤلاء الأولاد سيحاكمون آباءهم يوم القيامة في محكمة العدل الإلهية.

الفصل الثاني عشر

ضرورة استعداد الأب

مقدمة:

للأب دور محدود في العامل الوراثي وعلاقة الدم مع ولده، وينتهي عادة بعد انتقال النطفة إلى رحم الأم، لكن دوره الرئيسي الذي يساوي دور الأم أو يفوقه يبدأ بعد ولادة الطفل بسبب بناء الطفل فكرياً وأخلاقياً، وسيكون مسؤولاً أمام خالقه والناس عن تربية وليده وعن صلاحه وفساده.

لذا ينبغي على الأب أن يكون واعياً لمسؤوليته الشرعية، وأن يتعهد ببناء طفل على أفضل وجه. وقد تحدثنا في الفصل التاسع من هذا الكتاب عن مسؤولية التربية وحقوق الأطفال الأخرىٰ التي تقع على عاتق الآباء. وان سبب تناولنا لموضوع استعداد الأب هو لكي يبذل جهده وسعيه من أجل إرشاد ولده وهدايته.

العمل ومسؤولية الأبوة:

يعتقد الناس أن ممارسة الأبوة لا تحتاج إلى المعلومات وتعلم الفنون المختلفة، في حين اننا نعتقد أنها تمثّل فناً وتعتمد على الوعي والمهارة.

يجب أن يعي الشخص بعض الأمور قبل أن يصبح أباً، وسيحصل علىٰ المهارة من خلال عمله وممارسته لمسؤولية الأبوة.

فالأبوة فنّ يحتاج إلى العقل والتدبير والتخطيط والمنهج والهدف. وما البيت إلاّ مصنعاً لصناعة الإنسان. وان النجاح حليف ذلك الشخص الذي أستعد لهذا الأمر.

تشمل التربية عدة مواضيع لا يستطيع أي إنسان أن يدّعي بأنّه يلمُّ بها جميعاً بل إنه مضطر لتعلم فنونها الخاصة، وهذا يؤكدّ بأنّ الأبوّة إنما هي مسؤولية عملية تحتاج إلى الوعي والتعلم والمطالعة.

وبنظرة أخرىٰ فإنّ الأبوّة تمثل إئتماناً إلهياً. فالأب أمين الله، أمين خالقه ولا يمكنه التفريط بهذه الوديعة، ويجب عليه أن يبدي كفاءة عالية لهذه المسؤولية وإلاّ لثارت الشكوك حول هذه الأبوّة. وقد نُحاسب بسبب موافقتنا لتحمل هذه المسؤولية.

ليس صحيحاً أن يخدع الإنسان نفسه فيترك أولاده لشأنهم أو يضطرهم ليلجأوا إلى غيره. إذ لا يمكن إنكار الحقائق أبداً ونسيان المعاد والحساب والكتاب في يوم القيامة. فالخالق جلّ وعلا سيحاسبنا على هذه الوديعة إضافة إلى حساب الولد لوالده.

بناء النفس لأداء الوظيفة:

يجب أن نبني أنفسنا لأداء هذه الوظيفة، ويرتبط هذا الواجب بوجود الولد طبعاً. فصلاح الأب وفساده يؤثران علىٰ الطفل حتماً، وقد ورد عن رسول الله (ص) قوله: «إن الله ليفلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده». ويقول الإمام الباقر (ع) في هذا الشأن أيضاً: «يحفظ الأطفال بصلاح آبائهم».

نعم، علىٰ الآباء أن يهيئوا أنفسهم لهذه المرحلة وإنجاز هذه المسؤولية بأفضل وجه ويثبتوا مهارتهم وكفاءتهم. ولا يمكن تربية النشء تربية جيدة لتقرَّ بهم العيون إلاّ من خلال تحمل هذه المسؤولية وعدم التهرب منها.

علىٰ طريق البناء:

لقد قيل الكثير عن الأمور التي يجب على الإنسان الإهتمام بها وبناء نفسه بموجبها. وسوف نشير فيما يلي إلى بعض منها:

١ ـ **الوعي**: ويمثّل الخطوة الأولىٰ في حياة الإنسان الذي سيفتح

عينيه ويفكر بحاله والظواهر التي تحيط به وكيف يمكنه أن يعيش حياة مستقرة وسعيدة، ويتخذ المواقف المختلفة.

وللوعي ميدان واسع للغاية. إذ انه يشمل معرفة النفس والظواهر المختلفة ومعرفة المنزلة وقيمة الذات، ومعرفة الدين أيضاً وتعاليمه المختلفة. وسيبقىٰ الإنسان قاصراً عن تربية الآخرين ما لم يعرف نفسه ودوره ومنزلته.

ينبغي للشخص الذي يريد أن يصبح أباً أن يعرف ماذا يجري في المجتمع، وما العوامل المؤثرة عليه، وكيف يستسلم للتأثيرات الإيجابية ويهرب من المؤثرات السلبية.

إن افتقاد الوعي يعقّد العملية التربوية ويفشلها. ويمكن اكتسابه من خلال اللجوء إلىٰ أصحاب الخبرة والكتب والمؤلفات وإلى الذين اجتازوا هذا الإمتحان بنجاح باهر خاصة أولئك الذين تمكنوا من بناء أولاد صالحين ومفيدين لمجتمعه.

٢ ـ **توفير اللقمة الحلال**: للطعام دور مهم جداً في بناء الإنسان ويجب علىٰ مَنْ يريد الترقي في سلم البناء والصلاح أن يهتم بما يأكله، فلقمة الحلال توفّر أسباب العديد من النجاحات.

كيف يمكننا أن نطهّر نفوسنا وننزهها ونسير بها في طريق الخير والصلاح ونحن نتناول طعام الشبهة ونلبس لباس الشهرة ونسكن في منازل مغصوبة ونعيش في أجواء فاسدة ومنحرفة.

فالنفس الملوثة لا تدعو أبداً وإذا ما دعت فلا يُستجاب لها، ولا يمكن ربط علاقة جيدة بينها وبين خالقها.

كما يؤثر الطعام على النطفة وعلى تأثير الكلام، فكيف سيكون ذلك الإنسان الذي سينشأ من نطفة معقودة من طعام حرام أو شبهة، وما هي خصائصه وسماته؟

ويجب الإهتمام أيضاً بطعام الولد بعد ولادته من نطفة طاهرة لتأثير

ذلك على تربيته وخلقه وصفاته. إذ إنّه سيكون مستعداً للإنحراف الخلقي والسلوكي فيما لو نشأ على الطعام الحرام.

٣ ـ **الإيمان والإعتقاد**: ثمة ملاحظة مهمة في هذا الموضوع وهي أن إيمان الأب بالحساب والكتاب والمعاد والجزاء وعواقب الأعمال، وإيمانه بوظيفة الأبوّة والائتمان الإلهي، يؤثّر بشدّة على تربية الطفل.

فالأب الذي لا يؤمن في جميع تصرفاته بأن الذي يراقبه خالقه لا يمكنه أن يجدّويسعىٰ في تربية أولاده، ولا يشعر أبداً أن هذا المولود هو جزء منه وأنّه مسؤول عن مصيره ومستقبله.

ولا يثق مثل هؤلاء الأولاد بآبائهم لأنهم لا يرتبطون بهم إيمانياً وعقائدياً وسوف لا يمتثلون إلى أوامرهم.

فالإيمان عامل ضروري لتوفير الأمن وثقة الأب بالطريق الذي يسلكه، ويوفر أيضاً تصديق الولد بما يسمعه من والده ويشاهد.

٤ ـ **العمل**: يعتبر الأب القدوة لولده ومثال عمله، فما يفعله الأب يمثل حجة لطفله الذي سيقلده في ذلك العمل نفسه ـ سواء كان حسناً أو سيئاً ـ وما أكثر الآباء الذين يقدمون لأولادهم نماذج فاسدة بعمله وسلوكهم ويؤدي ذلك إلى فساد الطفل طبعاً.

فالآباء مسؤولون عن عمل أولادهم، وان ما يقومون به يمثل درساً لهم، لذا يجب أن تكون تصرفات الآباء حكيمة خالصة من جميع الشوائب، وأعمالهم هادفة وتصب في طريق رضا الخالق وتقوم علىٰ التعاليم الإلهية حتىٰ يتمكن الطفل من السير في طريق الخير والسعادة.

٥ ـ **الإهتمام والحذر**: يجب على الأب وهو يمارس مسؤوليته أن يحذر الإصابة بالابتلاءات لأن الأمراض والمفاسد والإدمان على المخدرات تؤثر على الأطفال، ويرتبط العديد من أسباب النقص العضوي والجسدي والتخلف العقلي والأمراض المزمنة بالوالدين وإصابتهما أوأحدهما بالسفلس والإدمان على الكحول والمخدرات قديماً وحديثاً.

حري بالأب أن يكون صادقاً مع نفسه على الأقل لينجح في تربية

ولده، وأنْ يقوم ـ دون خجل ـ بإصلاح عيوبه والابتعاد عن الحرام، وأن يعتصم بخالقه من خلال عبادته ويستعين بالقرآن كي يتمكّن من إيجاد ملكة التقوىٰ لدىٰ أولاده.

كما يجب على الأب أيضاً أن يبني ذاته ويحذر سوء الظن وحب الجاه وضعف النفس والتكبّر والغرور ويستعيض عن ذلك بعزة النفس والوقار والهمة العالية والعقل والحلم والعلم والشجاعة، وأن يضع نصب عينيه طلب الخير للآخرين وحسن الظن بهم وذلك لتأثير هذه الصفات على روح الإنسان وبنائها بناءً قوياً وسليماً وانتقال تأثير ذلك إلى أولاده.

نتائج الإهمال:

ثمّة نتائج مُرّة تنتظر الآباء الذين لا يملكون الاستعداد الكافي لتربية أولادهم فيلجأون إلى تصرفات متناقضة.

والأسوأ من ذلك هي حالة الآباء الذين لا يثقون بأنفسهم فيسيرون بخطوات متزلزلة على صراط التربية بسبب عدم إستعدادهم وتهيئة أنفسهم.

فالتربية هي خَلْقٌ وحياة أخرىٰ، ومن جانب آخر فهي أشبه بالمعجزة التي لا تحدث أبداً إلى أنْ تخلو تربية الأب من العيوب. وسيجلب الذين لم يتهيأوا لهذا الأمر المصائب والويلات لهم ولأولادهم ولمجتمعهم.

إنّ قبول وظيفة الأبوّة قد لا تحتاج إلى تمرّن واسع لكنّها بحاجة إلى عقل سليم وشعور بالمسؤولية نابع من الضمير الحي واليقظ. ولا ينفع التعلم والتبحر في مجال التربية ما دام ذلك الشخص يفتقر إلى ضمير حي.

تحذير مهم:

علينا أن نجهد كثيراً ونحن نعيش الحياة مع أطفالنا لمعرفة أنفسنا وصفاتنا الإيجابية والسلبية وأفضل أسلوب لنفع الآخرين. فمن حق الولد الذي ننوي تربيته أن نعالج أمراضنا الخلقية واضطراباتنا العاطفية والعصبية. فالغضب وعدم الصبر يؤثران بسرعة على أولادنا في حياتهم الآنية والمستقبلية.

وأخيراً يجب أن لا ننسىٰ بأننا مسؤولون عن أعمارنا وسوف نُسأل عنها يوم القيامة. وفي هذا المجال جاء عن رسول الله (ص) قوله: «إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبدٍ حتىٰ يُسأل عن أربع، عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه».

الباب الرابع

أدوار الأب

للأب عدة أدوار ووظائف يمارسها مع ولده أهمها:

- الدور الثقافي، وفيه يعلّم أولاده فلسفة الحياة وكل ما يرتبط بها.
- الدور الديني، وفيه يوفر الأب حاجة الطفل للدِّين والعقيدة، ويجهد في سبيل توثيق اعتقاد طفله بخالقه.
- الدور الإجتماعي والأخلاقي، وبه يصبح الطفل كائناً إجتماعياً يلتزم بالقوانين والأخلاق الإجتماعية.
- الدور السياسي، ويجعل من الطفل مواطناً أو مسؤولاً صالحاً في بلاده، وإنساناً ذا أفق واسع على الصعيد العالمي.
- الدور الإقتصادي، ويستطيع الأب من خلاله أن يوجّه ولده نحو الإنتاج والعمل والإستهلاك والتوزيع، لتكون له مواقف شريفة تجاه الفقراء والأثرياء.

وقد خصصنا فصلاً واحداً لكل عنوان من العناوين المذكورة، وسوف نشير إلى تلك المواضيع بلغةٍ بسيطة مع مراعاة الإيجاز في ذلك.

الفصل الثالث عشر

الدور الثقافي للأب

الجهل الذاتي في الطفل:

لا يعرف الطفل بعد ولادته سوىٰ بعض المعلومات الغريزية والفطرية. فهو يجهل جهلاً كاملاً تلك الظواهر المختلفة لهذا العالم الواسع. ولا يعلم شيئاً عن قضايا العلّة والمعلول، ولا يمكنه أن يستثمر ما هو موجود في الحياة اليومية ويستفيد منه.

وبنمو الطفل يتضح جهله أكثر فأكثر بحيث يمكننا أن نلمس ذلك في تعامله وسلوكه وكلامه وعمله، ومن خلال مواقفه تجاه الأحداث والظواهر المختلفة.

لذا فإن تعلُّمَ الطفل هو أحد حقوقه التي يجب على الأب والأم أداءه. وتكمن خلف كل سؤال من أسئلة الطفل قوىً فاعلة وأهداف نفسية توفر المناخ الملائم لنموّه ونشاطه في مجال كسب العلم.

إن حبَّ الاستطلاع لدىٰ الطفل يوجههُ نحو اكتساب المعلومات وتفسير الظواهر المختلفة.

اكتساب الوعي:

فالطفل بحاجة إلى الوعي حتى يدرك ماذا عليه أن يفعل في هذا العالم، وما هي المواقف التي لا بد من أن يتخذها.

وواضح أن الوعي هو أساس العمل، وأن المعرفة تسبق العمل. والطفل فقير في معرفته مما يجعله يقف مبهوتاً لا يدري ما يصنع.

فهو بحاجة إلى اكتشاف العالم ومعرفة دوره في هذا الوجود ومعرفة فلسفة الحياة، والهدف الذي لا بدَّ أن يختاره لحياته، ومعرفة أفضل أسلوب لمعاشرة الجماعة والآداب والتقاليد التي ينبغي مراعاتها.

والطفل لا يتمكن من بناء نفسه وتربيتها لتتطابق مع المُثل العليا في هذا العالم البديع العظيم، وهو بحاجة في الوقت نفسه ليكتشف المدنية ويستفيد من مزاياها.

وتفرض هذه الأمور أن نهتمّ بتربية الطفل وتوعيته ثقافياً لكي يتمكن من إدراك هذه المواضيع.

دور الأب ووظيفته:

الأب هو المسؤول عن توعية طفله وتنشأته ثقافياً، فالطفل يعتقد أن أباه يعلم كل شيء، ويمكنه الإجابة على جميع الأسئلة، ويعي جميع المعادلات، وأنه يعلم بجميع الحوادث أينما وقعت، وهو الذي يجب أن يتحدث عن الماضي ويُخبر عن المستقبل ويدرك تفاصيل الحياة ودقائقها.

وأخيراً فإنه هو الذي يفتح بوابة العلم والمعلومات أمام طفله.

قد يكون الطفل مفرطاً في تصوره عن والده، لكن الكبار وبشكل عام يحملون تجارب أوسع ومعلومات أفضل من الأطفال الذين يفتقدونها، وانهم سيحرمون الأطفال تلك الفرصة المناسبة فيما لو بخلوا بهذه المعلومات عليهم. ويجب على الأب أن يقوم بدوره الذي يعجز عن أدائه الآخرون. فالأب هو معلم الأسرة وقائدها وعن طريقه يصل الطفل - كما يقول الخواجة نصير الدين الطوسي - إلى الكمالات النفسية كالثقافة والأدب والفن والصناعة والعلم وطريقة العيش، وكلها من أسباب البقاء وكمال النفس.

ليس صحيحاً أن نتصور بأن المدرسة هي المسؤولة فقط عن ثقافة الطفل، فالأب يشيد دعائم العلم والمعرفة في الأسرة ويبذل جهده لكي يسلك الأولاد طريق العلم والبناء ويربّي الذوق ويوجه كل ذلك نحو الطريق القويم. فعندما يقدم الأب لولده الكثير مما يعلم ويحلّ مشاكله ويكشف له عن المجاهيل التي تعترضه في حياته، إنما يكون بذلك كالدليل الموجه لطفله، يعبّد له طريقه في الحياة.

حدود الدور الثقافي:

يعتبر الأب معلماً لولده ومرشداً له، يقدّم له المعلومات قبل أن يدخل المدرسة. وإذا أصبح تلميذاً فإنّه سيعوّضه عن النقص في هذا المجال، فالإسلام يؤكد كثيراً على دور الأب في توعية ولده، وما المدرسة والمعلم إلاّ وكلاء عن الأب في تحقيق هذه الوظيفة والقيام بمهمة التعليم ونقل المعرفة، ويمكن تحديد الوظائف الأساسية للأب بالنقاط التالية:

١ ـ **التعريف بالحياة الدنيا**: إن العالم الذي يحيط بالطفل مليء بالغرائب والعجائب التي يرغب الطفل كثيراً في التعرّف عليها بسبب امتلاكه لغريزة حب الاستطلاع والتطلع واكتشاف طرق الاستفادة منها. ولا يخفىٰ على الآباء والأمهات تلك الأسئلة العديدة التي يطرحها الطفل بشأن العالم المحيط به ورغبته في معرفة كل شيء عن الحياة.

فحريّ بالأب أن يماشي طفله خطوة خطوة ويتحدث معه ويرشده ويوجهه ويعرّفه بهذا العالم. وإنه مسؤول عن تفسير ظواهر العالم المختلفة لولده وإرشاده إلى طريقة الاستفادة منها.

يطرح الطفل في مرحلة متقدمة عادة أسئلة أخرىٰ حول الحياة الدنيا وكيف ظهرت للوجود؟ وإلى أين ستنتهي؟ وما هو معنىٰ الموت والفناء وغير ذلك.

٢ ـ **التعريف بفلسفة الحياة**: يعتبر الأب مقصّراً في عمله ومسؤوليته فيما لو صرف جهده وتفكيره في مجال توفير الحاجات الماديّة للطفل فقط فالولد يرىٰ في والده الكمال من خلال المعلومات التي يملكها والتصوّر الذي يحمله عن الحياة.

ومن مسؤوليات الأب المهمة مساعدته لولده باختيار طريقه في الحياة وليكتشف بنفسه علل تصرفاته وأعماله المختلفة كي يدرك فلسفة حياته ولماذا سيموت وماذا عليه أن يعمل؟ وما هي المشاكل؟ وكيف يتصرّف ازاءها.

٣ ـ **التعريف بالأدب والآداب**: وتشمل الآدابُ، الشعرَ والنثرَ والأمثال حيث تساهم هذه الأمور في البناء الأخلاقي للأمم، وتسوق الإنسان نحو أهداف محددة. ومن هنا تبرز الأهمية الكبرىٰ للدروس والمواضيع الأدبية.

ويتحدد دور الأب في انتخاب أفضل المواضيع الأدبية لولده خاصة تلك التي تنسجم مع فطرته وترشده نحو طريق الخير والسعادة. فما أكثر الذين تأثروا سلباً أو إيجاباً بالدروس الأدبية والأمثال والحكم فانعكس ذلك على تعاملهم وخلقهم، ويعود السبب في الأغلب إلى غفلة الأسرة أو اهتمامها وحذرها.

٤ ـ **التعريف بالعادات والتقاليد**: حيث يمكننا القول إن العادات والتقاليد تساهم في بناء فكر الإنسان وعقله.

وسيواجه الطفل هذه الأمور منذ اللحظة التي يدخل فيها معترك الحياة الجماعية. فينبغي على الأب أن يرشد ولده نحو العادات والتقاليد الجيدة والنافعة التي يمكنها أن تبني الإنسان بناءً جيداً لا أن تضلّه وتخدعه.

فالعادات التقاليد لا بدّ أن تكون دروساً بنّاءة للطفل فيلتزم بها ويكتشف دربه في الحياة.

٥ ـ **التعريف بالفن**: إن الآباء مضطرون ـ وهم يؤدون وظيفتهم التربوية ـ إلى تعريف أولادهم ببعض البرامج التي تساهم في تلطيف روح الطفل وتؤثر على أفكاره لما لها من معانٍ سامية ورائعة.

وسوف يستفيد الطفل من الفن كثيراً بشرط أن ينمي لديه قابلية التطور والاندفاع نحو الخير.

وينبغي للأب أن يعلم ولده الفن الملتزم وأن يحافظ على ذوقه الفني حيّاً عنده حتى يكون الطفل على بصيرة من أمره، ويتعلم كيف يواجه الأحداث المختلفة ويستثمر أوقات فراغه إيجابياً.

٦ ـ **التعريف بالقيم**: إن لجميع المجتمعات قيماً بناءة وأخرىٰ هدّامة تؤثر على حياة الإنسان وتدفعه إما نحو الصلاح والفضيلة وإمّا نحو الفساد والرذيلة.

وتمثل الأسرة النواة الأولىٰ للقيم الإنسانية التي توجه الطفل وترشده نحو طريق الخير والصلاح أو نحو طريق الشقاء والانحطاط.

وتبرز مسؤولية الأب في نقل هذه القيم وترسيخها لدىٰ الطفل، إذ

يستطيع أن يوفر له حياة معنوية جيدة فيما لو نقل إليه القيم النبيلة.

٧ ـ **التعريف بالحضارة والمدنية**: ثمّة مواضيع عديدة تدخل تحت مظلة التمدن فيكون الإنسان مضطراً للإلتزام بها.

ومن وظائف الأب تعريف ولده بالأبعاد المختلفة للتمدن البشري ـ خاصة الحضارة الإسلامية ـ والتراث الثقافي لذلك المجتمع.

يجب على الأب أن يمارس مهمته بشكل يمكنه أن يمنع ولده من الإنبهار بالمدنيات الأخرىٰ خاصة في مرحلة النشوء والشباب.

البداية:

متى يبدأ دور الأب؟ الجواب هو قبل ولادة الطفل بل عند اختيار الزوجة.

إننا نعتقد بأن دور الأب يبدأ منذ اللحظة التي يتم فيها تبادل العلاقة الثقافية والعاطفية بينه وبين ولده... أي منذ إبتسامته لوالده، ولا بدّ من الإسراع في هذه المهمة لأن ذلك ينفع الطفل كثيراً وينفع الأب أيضاً.

يجب أن يُوجّه الطفل ثقافياً منذ وقت مبكر كي يمكنه الوقوف بوجه تأثيرات الآخرين، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن الأفكار الصحيحة أو الخاطئة التي يكتسبها الطفل خلال السنوات الست الأولىٰ من حياته، ستبقىٰ عالقة في ذهنه، ولا يمكن إزالتها أبداً. وسوف تتحوّل تدريجياً إلى بديهيات ليعتمد عليها في الكثير من ممارساته وتصرفاته.

ضرورة التخطيط:

لا بدّ من وضع برنامج مدروس يتحرك الأب على ضوئه من أجل الوصول إلى تربية سليمة. ويجب أنْ تكون الكلمات المطروحة والخطوات المتخذة مدروسة تماماً قبل وصولها إلى الطفل.

فقد يشاهد الأطفال صوراً عديدة للوالدين لا يفهمون معانيها وهم في تلك المرحلة، لكنّ إنعكاساتها ستجتاح الذهن فيما بعد لتتضح المعاني فتؤدي بهم إلى الإنحراف، وما أكثر الكلمات والإيحاءات الحقة والباطلة التي لا يفهم الطفل معانيها حاضراً، إلا أنه سيدركها مستقبلاً.

الفصل الرابع عشر

الدور الديني

الحاجة إلى الدين:

إنّ أشد ما يحتاج إليه الإنسان هو الدين، حيث تنبثق هذه الحاجة من أعماق الإنسان. كما وأنه بحاجة إلى الدين في حياته الفردية والجماعية، فالتعاليم الدينية تفتح الطريق أمام حياة شريفة كريمة، وإن أوامر الدين ونواهيه إنما هي من أجل سعادتنا في الدارين. إن التعاليم الدينية هي من خالق كريم عطوف. يأمر خلقه وينهاهم من أجل سعادتهم وليس إشباعاً لحاجة عنده حاشاه جلّ شأنه، فهو الذي وهب الإنسان وجوده وكيانه.

ولا بدّ أن نذكر هنا أن الدين ليس كما يعتقد بعضهم أنه جاء من أجل تسلية الناس أو حلّ مشاكلهم النفسية، بل إنّه يعني نوعاً من المساهمة في تطوير الحياة وتحقيق عملي البناء والسير نحو الأهداف والمقاصد الحياتية النبيلة.

أهمية التربية الدينية:

من حق الطفل تربيته دينياً، وان الأب مسؤول عن ولده في هذا المجال، ويؤكد القرآن الكريم بأن على رب الأسرة أن يقي أهله ناراً وقودها الناس والحجارة. فالذي لا يؤمن بدين أو عقيدة فإنّه سيسلك طريقاً منحرفاً يؤدي به إلى الهاوية.

إن التربية الدينية هي أساس سعادة الإنسان، والحائل بينه وبين ارتكاب أنواع الخطايا والجرائم. فالاشتياق إلى الكمال ينمّي الفضيلة في

أعماق الإنسان ويرسّخها. فيجب علىٰ الأب إيجاد هذه الروحية عند الطفل وزرعها في أعماقه حتى يمكنه الوقوف على قدميه مستقبلاً والسير بخطوات واعية.

يخطىء الآباء عندما يفكرون بتربية أولادهم جسدياً ويهتمون بملبسهم ومأكلهم فقط ويتركون ما يرتبط بالعقيدة والفكر. فالمجتمع الإنساني يحتاج في نموّه وتطوره إلى أشخاص مؤمنين ملتزمين لا ينسون خالقهم أبداً ويشعرون بأنّه يراقبهم دائماً.

الاستعدادات عند الطفل:

فالفطرة الإنسانية تُسيِّر الإنسان نحو خالقه وترشده إليه دائماً. وتنسجم التعاليم الدينية مع إرادة الإنسان وفطرته، فعندما يقول الرسول الأكرم (ص): «بعثت بالشريعة السمحاء» فإن واحداً من معانيها هي الشريعة الإلهية المنسجمة مع الفطرة والمتطابقة مع النفس الإنسانية التي هي من صنع الخالق أيضاً ولا مجال لحدوث أي تناقض أبداً.

وتتوفر في الطفل الأرضية المناسبة الملائمة لقبول الدين لكنه يجهل ما يرتبط بالعقيدة أو بالتعاليم. وقد يقلد الطفل وهو إبن خمس سنوات والده أو والدته في صلاتهما، ويفعل كل ما يفعلانه لكن هذا يبقىٰ مجرّد تقليد.

يجب على الوالدين وخاصة الأب، أن يستغل هذه الأرضية الموجودة عند طفله فيوجهه نحو الدين ويوفر له المعلومات الكافية وطريقة العمل، وأن يقوم بترغيبه أيضاً وتشويقه عندما يؤدي بعض الشعائر الدينية.

التعليم الديني:

يعتبر التعليم الديني من الوظائف المهمة التي تقع علىٰ عاتق الأب وهو يربي ولده، ولكن بشرط التدرج حتىٰ لا يشعر الطفل بالملل. ويشمل التعليم الديني جميع المواضيع التي ترتبط بالعقائد والعمل والأحكام . . .

وينبغي للأب أن يراعي قابليات طفله ومستوى إدراكه وفهمه، وأن يماشيه خطوة خطوة ويقدم له ما يحتاج إليه من المعلومات المطلوبة عندما تقتضي الحاجة.

يجب على الأب أن يبني عقل ولده وذهنه إضافة إلى تربيته دينياً حتىٰ يمكنه الدفاع عن نفسه واعتقاداته لكي لا تضله الوساوس.

يقول الإمام الصادق (ع) في هذا المجال: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبق إليهم المرجئة».

وحرّي بالأب وهو يعلم ولده أن يكون له قدوة في الأهداف والمعنويات حتى يعبِّد له طريق الهداية والرقي، ويمنع تأثيرات المدارس الأخرىٰ عليه.

تأثير سلوك الأب:

ثمّة حقيقة في العمل التربوي تقول: إن العمل أكثر تأثيراً من الكلام. فالأطفال يتأثرون كثيراً بما يشاهدونه ولا يهتمون بالمستوىٰ نفسه بما يسمعونه. ويجيد الطفل عملية التقليد ويمتلك قابلية كبرىٰ على التمثيل، إلاّ أنه غير قادر على تحليل الكلام الذي يسمعه ومن ثَمّ ترجمته عملياً.

يستطيع الأب توعية ولده دينياً من خلال تمسكه بالأفكار والعقائد والتعاليم. فلو كان الأب متمسّكاً بالدين وبتعاليمه حقاً وله سلوك حسن، لأمكننا أن نأمل في ولده خيراً، وإلاّ فإن الأوامر والنواهي والعنف والزجر لا تنفع شيئاً.

لقد أكد الدين الحنيف كثيراً علىٰ أداء الفرائض في أوقاتها بمرأىٰ من الأطفال لدورها البنّاء خاصة عندما يدعو الأب أولاده إلى العبادة وهو يمارسها عملياً.

لذا يجب تقوية العامل الديني في محيط الأسرة، وتقع على الآباء المسؤولية الأولىٰ في هذا المجال.

الإرتباط بالخالق:

يرتبط الطفل بخالقه من خلال فطرته أحياناً أو التقليد في أحيان أُخر، فيرغب في أن يكون طفلاً جيداً، أو أن يكافئه الخالق خيراً على حسناته، ولا يعاقبه على سيئاته.

ويشعر الطفل الصغير عادة بنوع من الارتباط بينه وبين خالقه عندما يكون بمفرده لا يسليه شيء. ويبرز عنده شعور بأن خالقه يحبه أو يكرهه.

وتمثل هذه الحالة مرحلة إبتدائية جداً من الشعور خاصة وان الطفل لا يملك تصوراً واضحاً لها. ويمكن في السنوات الأخيرة من المرحلة الدراسية الابتدائية أن يفهم الطفل تقريباً هذه الأمور ويعي كيف يجب أن تقوم علاقته مع خالقه وكيف يستعين به.

نعرف جيداً أنه لا يمكن وصف الخالق أو تعريفه، بل يمكن أن ندرك وجوده من خلال آثاره والتفكير بعمق في حقيقة الظواهر المختلفة، والإستعانة بالطرق الغيبية واللجوء إلى أساليب الاستنتاج والاستدلال والبرهان. فينبغي للأب أن يوفّر تلك الأرضية لأولاده ويسعىٰ لشرح الظواهر والآثار التي تدل على وجوده جلّ وعلا ولفت أنظارهم إلى علائم قدرته حتى يدرك الأطفال أن لكل مصنوع صانعاً، وهو ما ينطبق على هذه الظواهر أيضاً.

الحثّ على العمل:

لا بد من توفير أرضية التمسك بالفرائض والعادات الدينية منذ مرحلة الطفولة وحث الطفل على التمسّك بها.

إدعوا أولادكم إلى الصلاة وهم أبناء ثلاث أو أربع سنوات وذلك عندما تريدون أداءها، واستعينوا بالترغيب والتشويق والثناء والمديح. ولا بأس من اصطحابهم معكم أحياناً إلى المساجد وهم أبناء خمس سنوات أو أكثر، وإلى المجالس الدينية الأخر حتى يشاهدوا ما يقوم به الناس، واحذروا أن يصاب الطفل بالتعبَ من هذه البرامج. وطالبوه ـ عندما يصل إلى سنٍّ معينة ـ أن يمتنع عن أداء كل ما يخالف الشرع المقدس، وعاقبوه إذا ما ترك الصلاة عندما يبلغ سبع سنوات أو عشر كما تشير الروايات إلى ذلك «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر»، «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً»، «في كم يؤخَذ الصبي بالصلاة؟ فقال: بين سبع سنين وست سنين»، «علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا».

والشيء المهم في جميع هذه الأمور أن تتم برفق دون أي إكراه أو

شدّة، فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله في هذا المجال: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله».

الثواب والعقاب:

يستأنس الطفل لوالده ويتعامل معه بإخلاص ويشعر تدريجياً بأنّه رازقه وربّه ويدرك أيضاً أن هناك حساباً خاصاً لحبه وبغضه. ويحاول بشتى الطرق كسب ودّه وحبّه.

إن أوامر الأب ونواهيه وإرشاداته وتوجيهاته تؤثر في الطفل الذي يحسب حساباً لقدرة والده ويؤمن بثوابه وعقابه. وهذه حالة لا بدَّ من استمرارها عند الطفل لأنّها ضرورية في تربيته ونموّه.

وحري بالأب أن يلجأ تدريجياً إلى توجيه الطفل ـ بعد أن يكبر ـ إلى خالقه ليكون مطيعاً لأوامره ونواهيه، ويؤمن بثوابه وعقابه. فمثلاً يقول له إعمل العمل الفلاني لأن الله يحبه، ولا تعمل هذا العمل لأن الله يمقته حتى يتعلم الطفل معنى الثواب والعقاب والأجر والجزاء. ويحاول إحياء الوازع الذاتي والخوف من الخالق في أعماقه من خلال إدراكه أن خالقه ينظر إليه ويشاهده في جميع حركاته وسكناته.

مسؤولية الأب:

إن مسؤولية الأب ثقيلة جداً في مجال التربية الدينية وتتسبب الغفلة والتسامح في هذا المجال في ضعف الجذور الاعتقادية عند الطفل وتفريطه بالتعاليم مستقبلاً. وسوف يلحق ضرر ذلك بالوالدين أيضاً وخاصة الأب.

فضعف العقيدة والدين هو سبب العديد من المفاسد ويعود ذلك إلى مرحلة الطفولة حيث لم تبذل الأسرة جهدها في هذا المجال. ومن الطبيعي أن يكون الأب مسؤولاً أمام خالقه.

لقد وضع الباري جلّ وعلا أجراً لجهود الأب رغم إنّها وظيفته، فقد جاء في حديثٍ عن الإمام العسكري (ع): إن بعض الناس يتعجبون يوم القيامة لمكانتهم ومنزلتهم فيأتي الجواب «هذه بتعليمكما ولدكما القرآن وتبصيركما إيّاه بدين الإسلام».

الفصل الخامس عشر
الدور الإجتماعي والأخلاقي للأب

الحياة الإجتماعية للإنسان:

الإنسان كائن إجتماعي، وهذا يعني إنه يعيش بين أوساط المجتمع ويتكامل مع محيطه، ويتبادل معه التأثير الثقافي بحيث يستطيع أن يُحدث فيه تغييراً مشهوداً.

فالطفل الذي هو اليوم بين أحضانكم سيصبح عاجلاً أم آجلاً أباً أو أمّاً، وعضواً في مجتمعه، فيحتاج إلى الوعي ليتخذ المواقف المختلفة التي تتلاءم مع موقعه، وتساعده في نموّه ونشوئه. إنّه مضطر للإتصاف بأخلاق معينة تمكنه من العيش الهادىء المستقر بين أوساط ذلك المجتمع.

فالحياة الإجتماعية بحاجة إلى قوانين وضوابط عديدة رغم الفوضىٰ والاضطرابات، وإن الناس مضطرون إلى الإلتزام بها طبقاً لما هو مسنون وعلى أساس إيمانهم بالتقاليد الدينية.

وتقع على الآباء مسؤولية التربية الإجتماعية للأولاد وتوجيههم نحو حياة سعيدة.

المسائل الإجتماعية:

إنّ أول ما يتبادر إلى الذهن عندما يثار موضوع المسائل الإجتماعية هو العلاقات بكل أشكالها. وبذا يمكن تحديد جانب من مسؤولية الأب في هذا المجال.

تخضع العلاقات إلى ضوابط وقوانين. وقد تكون قوانين إلهية أو

مدوّنة من البشر أنفسهم أو مأخوذة من أديان وفلسفات غير إلهية. فالمهم هو وجود القانون في المجتمع وعلى أبنائه أن يتكيّفوا بشكل معقول مع هذه القوانين. وتقع على الأب مسؤولية تعليم الطفل هذه القوانين وإعداده للإلتزام بها.

قد لا يراعي جميع الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع تلك القوانين أو أن بعضهم يتجاوز حدوده، ويسمىٰ هذا إنحرافاً.

فينبغي على الآباء أن يوضحوا لأولادهم الإنحرافات ويحفظونهم بعيداً عنها.

ولكي يدرك الإنسان ماذا يعني الإنحراف وما هي حدوده ومن هو المنحرف وهل يمكن العفو والتسامح؟ لأن ذلك يحتاج إلى القدرة على التمييز والتشخيص، وتقع على عاتق الأب مسؤولية تنمية هذه القدرة لدىٰ الطفل وتعويده على اتخاذ الرأي المناسب والموقف الصحيح في مختلف القضايا.

إن نتيجة الحكم على شخص معين هو إمّا أن يستحق الثواب أو العقاب. ويمكن عن الطريق هذا تعليم الطفل وتفهيمه معنىٰ السجن والتأديب والحد والتعزير والقصاص و الدية، وحري بالأب أن يُلقن طفله هذه المعاني حتىٰ يمتنع عن الانحراف وإلاّ سينال جزاءه.

موضوع الأخلاق:

فالأخلاق من المواضيع المهمة التي تميّز الإنسان عن الحيوان. ونقصد بالأخلاق تلك الضوابط والالتزامات التي ينبغي بالإنسان أن يلتزم بها من أجل حياة إجتماعية كريمة تليق بمنزلته.

أو هي تلك القوانين التي يتمكن الإنسان أن ينشأ ويتكامل في ظلّها. فالإنسان بحاجة إلى نمو إجتماعي يوازي نموّه الجسماني وينسجم مع الحياة الإجتماعية التي يعيشها. وقد أكّد الإسلام كثيراً على هذا الموضوع، واهتمت التربية الإسلامية بالأخلاق إلى درجة جعلتها الهدف من بعثة الرسول الأكرم (ص): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فالأخلاق هي أثمن شيءٍ لدىٰ الإنسان إضافة إلى أنها تعدُّ من ضروريات الحياة الفردية والاجتماعية، وتؤدي إلى تكامل الإنسان فردياً وجماعياً (اجتماعياً).

وينظر ديننا الحنيف إلى عديمي الأخلاق فيعتبرهم أمواتاً. فما أكثر الجرائم والجُنح والمشاكل والمفاسد التي لا يمكن حلّها إلاّ في ظل الأخلاق. وإن الجريمة ثمرة الأخلاق السيئة أو أنّها بسبب تربية فاسدة قامت على الأخلاق المنحرفة. وبشكل عام فإنه لا يمكن الفصل بين التربية والأخلاق أبداً.

دور الأخلاق:

إن للأخلاق تأثيراً فطرياً على الإنسان، فالأطفال يولدون بفطرتهم صادقين أمناء طاهرين ثم يقتبسون صفات الخيانة والكذب والظلم من محيطهم التربوي.

وتقع على الآباء مسؤولية بناء فطرة أطفالهم وتنميتها وتوجيهها نحو الخير والفضيلة، ولذا فهم مسؤولون عن مراقبة سلوك الأطفال والإهتمام بالجوانب الأخلاقية والعاطفية.

ومن جانب آخر تقتضي وظيفة الأب أن يكون معلماً لولده وقدوة له في الأخلاق ويجب عليه أن يكون إنموذجاً (مثالياً) في الخير والإحسان والإيثار والتعاون والتكافل الإجتماعي، فيوجه طفله نحو الفضائل والأخلاق الحسنة مستخدماً في ذلك جميع الأساليب الممكنة.

ومن الضروري أن يراعي في هذا الطريق أمرين:

الأول: أن يلتزم الأب عملياً بذلك السلوك الذي يرغب أن ينشأ عليه ولده.

والثاني: أنْ يوفر له المناخ الملائم والأجواء المناسبة حتىٰ يستأنس به الطفل فتبرز عنده رغبة التقرب من أبيه وتقليده في أساليبه وخطواته. ومن هنا تبرز أهمية ثقافة الأب ومطالعاته بهذا الخصوص.

مجالات المواضيع الأخلاقية:

لا بدّ من الإدراك أن التربية الإجتماعية والأخلاقية لها مجالات واسعة جداً إذ أنّها تشمل كل ما يحتاج إليه الطفل في حياته الإجتماعية الحالية والمستقبلية. ولهذا يجدر بالآباء أن لا ينظروا إلى تربية أولادهم نظرة ضيقة وذات بُعدٍ واحد، حيث تقع عليهم مسؤولية كبيرة جداً في جوانب عديدة، منها:

أ ـ الجانب الفردي: على الآباء أنْ يعلّموا أطفالهم الطرق والأساليب النافعة والمفيدة في الحياة كي يكونوا أناساً قادرين علىٰ التمييز بين الحق والباطل ومنتقدين وهداة صابرين مقاومين، وأن يتعرفوا علىٰ المشاكل والصعوبات حتى يكونوا وقورين في الكبر ويمتازون بالحلم. وقد جاء عن الإمام الكاظم (ع) قوله: «تستحب عرامة الغلام في صغره ليكون حليماً في كبره».

فينبغي أن يتحلىٰ الولد بالإباء وعزّة النفس ويهتمّ بشرفه وعفته حتىٰ يقاوم الانحرافات والمفاسد.

ومن الصفات الفاضلة الأخرىٰ التي يجب أن يتعلمها الطفل ويتربّىٰ عليها هي الشهامة والتضحية والإيثار والاستقامة والفهم والإدراك والاشتياق للصفات الحميدة.

ب ـ الجانب الإجتماعي: علينا أن نُربّي أولادنا علىٰ حبّ الناس وخدمتهم وتمني الخير لهم، وعلىٰ الشعور بالمسؤولية وأدائها على أفضل ما يرام، وعلى التعاون في طريق الخير والتكافل الإجتماعي والمساواة والمواساة والتكامل.

لا بدّ أن نربيّ أطفالنا حتىٰ يحبّوا للآخرين ما يحبون لأنفسهم ويكرهون لهم ما يكرهون لها، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاهتمام بموضوع الرقابة الإجتماعية، وعلى الإلتزام بالضوابط والمصالح الإجتماعية واحترام الإنسان من أجل إنسانيته لا للونه أو عنصره، والإلتزام بالتقاليد والأعراف الجيدة. وكذلك إتخاذ مواقف مناسبة إزاء المجرمين والظالمين والمنحرفين، والشعور بالمسؤولية من أجل إصلاح المفاسد والتعويض عن النقائص.

الأخلاق والقدوة:

يجيد الطفل عملية التقليد، وإنه يرغب تعلّمَ السلوك الذي يمثّل إنموذجاً له فيلتزم به، ويسير خلف أشخاص يمتازون بالصفات التالية:

١ ـ أن يكونوا أبطالاً جهد الإمكان حتى ينبهر الطفل تقريباً لتصرفاتهم وأعمالهم.

٢ ـ أنْ يكونوا ممن يحبّهم الطفل ويألفهم.

٣ ـ أنْ يقبلوه ويهتموا به ويُداروه.

٤ ـ أنْ تكون تصرفاتهم متجسدة دائماً أمام الطفل فينظر إليها باستمرار.

ومن هنا تبرز أهمية دور الوالدين. وللأب تأثيرٌ يفوق الآخرين لأنه المسؤول عن الإنضباط وتنفيذ القوانين.

وهكذا نشاهد أن عيوب الأب وسلبياته سوف تسري بلا شك إلى ولده الذي يحاول تقليده في كل شيء.

الأب والتعليم الأخلاقي:

للأب تأثير بالغ جداً في تعليم ولده عملياً وذلك في مرحلة الطفولة وحتى النشوء. وتقع عليه مسؤولية تقديم الدروس لولده من خلال عمله وسلوكه حتى يفهم الطفل ماذا عليه أن يعمل وكيف يكون؟ فالزيارات والأحاديث والمواقف في محيط الأسرة والمجتمع تمثل درساً عملياً للطفل، ويتمكن الأب أحياناً أن يستعين بالقصص في عملية التعليم بشكلٍ غير مباشر، فالأطفال يلجأون عادة إلى تقليد أبطال القصص في سلوكهم، وذلك متى ما تأثّروا بتلك القصة.

أمّا ما يرتبط بالتعليم المباشر فينبغي القول بأن الأطفال الصغار لا تؤثّر فيهم سوى الجمل القصيرة، ويمكن دمج ما هو نظري بما هو عملي والتحدث عن فلسفة بعض الأمور وذلك منذ نهايات مرحلة الطفولة.

يجب على الأب أن يقدم القول والعمل لولده أولاً ثم يوضّح له السبب فيما بعد.

ويمكن وضع دروس نظرية في الأخلاق ابتداءً من مرحلة البلوغ، لكنّ الشيء المهم هو أن الطفل والحدث وحتى البالغ أو الشاب لا يمكنه الاستغناء عن سماع القصص أبداً والاستفادة منها أخلاقياً.

إيجاد العادات الأخلاقية:

يمكن إيجاد العادات الأخلاقية ـ كما هي العادات الأخرىٰ ـ عن طريق الممارسة والتجربة والتكرار. لكنّ الأصل هو أن يلتذ الطفل بالشيء المطروح أمامه. ومن هنا تبرز ضرورة ذكر بعض اللذات المعنوية للأولاد ابتداءً من أواخر مرحلة الطفولة أو النشوء وخاصة بالنسبة للبالغين والشباب لتأثيرها الكبير عليهم.

ففهم الأمور وإدراكها يوفران المناخ الملائم ويشوّقان الولد للالتزام بسلوك خاص، وان التمييز بين ما هو إيجابي وما هو سلبي يساعد كثيراً في هذا الطريق، وينبغي على الأسرة أن توفر هذا التصور عند أطفالها لأنها النواة الاجتماعية الأولىٰ.

ويمكن أحياناً إيجاد عادات معينة عند الطفل من خلال التحذير العملي المتكرر. فمثلاً لا تسمحوا له أبداً أن يقاطع كلام الآخرين أو يهينهم أو يجرح أحد بلسانه.

وثمة طريق آخر لإيجاد هذه العادات يرتبط بتصرف الكبار كاحترامهم للطفل واستقباله بوجه بشوش. وقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «إذا سميتم الولد فاكرموا له وأوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجهاً».

الفصل السادس عشر

الدور السياسي للأب

الإنسان والسياسة:

لو قلنا أن السياسة هي الطريقة، وأن علم السياسة يقوم بدراسة العلاقات المتبادلة بين الناس والجهاز الحاكم وأخذنا بنظر الاعتبار في نفس الوقت الجانب الاجتماعي للإنسان، لاضطررنا إلى الإعتراف بأنّ الإنسان يمثل كائناً سياسياً.

إنّ المجتمعات تدار وفق ضوابط وقوانين معينة حيث يجب على كل عضو في المجتمع أن ينتخب منهجاً وأسلوباً لحياته الفردية والجماعية ينسجم مع إرادة المجتمع، مما يدفع الإنسان لممارسة السياسة.

وقد وصف الإنسان بأنّه حيوان سياسي، وإنْ كان هذا الوصف لا يناسب الإنسان في بُعده الحيواني إلاّ أنّه صحيح في بُعده السياسي. فلا يوجد من لا يملك رأياً أو موقفاً ازاء القانون والحرية والحزب والتنظيم والعلاقات الداخلية والخارجية والحرب والسلم ومدوّني القوانين وغيره وهذه كلّها أبعاد سياسية.

فالإنسان سياسي بطبعه مهما كان موقعه وظرفه ومستوىٰ نموه وتكامله، ولا تقتصر معاطاة السياسة على ثلة قليلة كتلك التي تدير أمور المجتمع وتحكم، وذلك لأن البعد السياسي يعتبر من ضروريات الحياة الإجتماعية.

السياسة والتربية:

لا يمكن للتربية أن تكون بعيداً عن السياسة وإيجاد الاستعداد عند الفرد ليكون مواطناً صالحاً في علاقاته، ما دامت أنها (أي التربية) تعني تحقيق تغيير في جميع الأبعاد الوجودية، وأنها وسيلة للبناء.

ولا بدّ أن تقوم التربية بدورها طالما كان الهدف هو تبني الأشخاص موقفاً معيناً في عالم الوجود حيال الحياة الجماعية ونوعها وطريقة الحكم وإدارة المجتمع.

لا بدّ أن نعترف أن الشخصية الإنسانية تتأثر بالمحيط الإجتماعي وخاصة الأسرة، وأن الأب هو الذي يعلم ولده كيفية اتخاذ المواقف المناسبة في الحياة السياسية والاتصاف بخصائص معينة ازاء مختلف الحقائق.

ينبغي للأب أن يُنشىءَ ولده سياسياً ويوضح له معنى الحكومة وضرورتها، وكيف يتعامل مع القانون؟ وماذا تعني الحرية؟ وكيف يجب أن تكون؟ وأن يدفعه للاهتمام بمختلف الأحداث فلا يكون لا مبالياً ازاءَها.

والشيء المهم في التربية السياسية هو أن يدرك الأطفال بمستوى فهمهم، مواقعهم في هذا العالم ودورهم في المجتمع الإنساني، والمواقف التي ينبغي أن يتخذوها ازاء القائمين على شؤون مجتمعهم والأحداث المختلفة التي يشهدونها.

معرفة العالم والأنظمة:

يرتبط جانبٌ من مسؤولية الأب ـ بلا شك ـ بتعريف ولده بهذا العالم والدول والشعوب والحكومات المختلفة. حيث يجب أن يقوم تدريجياً بتوعيته بهذه الأمور وذلك بما يتلاءم مع مستوىٰ الطفل وسنه وفهمه وإدراكه.

إننا نعرف أنّه توجد أنظمة مختلفة على هذه الكرة الأرضية حيث تتعدد المناصب في درجاتها لتشمل الرئيس والوزير والمساعد والمدير، وتختلف الدساتير والقوانين والبرلمانات والأجهزة التنفيذية كالشرطة مثلاً وغير ذلك.

إننا لا نقصد من خلال ذلك تدريس الطفل مادة الحقوق والسياسة وتعريفه بجميع التفاصيل، ولكن يكفي أن نوفّر له نظرة إجمالية عامة عن هذه

الأمور خاصة في مرحلة نشوئه، وأن يلمّ بشيء من هذا العالم وما يجري فيه وبالخصوص مجتمعه الذي يعيش فيه وحكومته والأحداث التي يشاهدها ويلمسها.

القانون والتقنين:

لا يمكن إنكار الحقيقة التي تقول بأن جميع المجتمعات بحاجة إلى القانون لإدارة أمورها. وقد يكون هذا القانون وضعيّاً أو إلهيّاً. فعلى الجميع أن يتبعوا قانوناً معيناً سواء كان جيداً أو سيئاً.

والشيء المهم هو أنْ يربي الأب ولده على احترام القانون الإلهي والإيمان به وتطبيقه. ولا بدّ أن يشعر الطفل بقدسية القانون وضرورة الدفاع عنه.

وفي مجال التقنين ينبغي للطفل أن يحترم شخصية المقنن ويدرك إنّه لا يمكن لأي شخص أن يتمتع بهذا الحق. فالمقنن لا بدّ أن يكون صادقاً ونزيهاً وأميناً يريد الخير للآخرين، وأن يتم التأكيد على إنسانيته وخُلقه وتقواه.

وحري بالأب أن يوضّح لولده عملياً احترامه للقانون وفائدته ونفعه وذلك من خلال تصرفاته وسلوكه اليومي حتى يشعر الطفل بحاجته للقانون فيلتزم به ويضحّي من أجله.

الإستقلال والحرية:

يجب على الأب أن يربّي ولده على حب الإستقلال والحرية حيث توجد في أعماق الطفل الأرضية الفطرية لتقبلهما، وأنْ يوضّح له حدود الحرية حتى يعلم بأنها مقيدة.

على الولد أن يعرف ما هي حدود حريته والسبب في تقييدها، والآثار والنتائج السيئة للحريات المطلقة، والمصائب التي ستلحق بالآخرين وبه أيضاً فيما لو أراد الناس التصرف كيفما يشاؤون.

وتربوياً فإنّه من الضروري جداً أن نفسح المجال للطفل ليمارس حريته المشروعة.

وفي موضوع الإستقلال، يجب أن نوفر الأرضية المناسبة ليستقل الطفل تدريجياً في حياته ويقلل اعتماده على والديه بنسبة فهمه واستعداده ونشوئه واستطاعته وينبغي أن نساعده ليقف على قدميه حتىٰ تزول حاجته إلى والدته وبالتدريج في فرش فراشه مثلاً أو غسل جواربه ومنديله.

ومن الضروري أن يدرك الطفل أهمية استقلال المجتمع والحياة الحرة الكريمة، وأن يعشق هذا المفهوم إلى درجةٍ يكون مستعداً للتضحية من أجله بماله ونفسه.

العلاقات القومية والدولية:

ينبغي للأب أن يربّي ولده ليكون منسجماً مع أعضاء مجتمعه فيشعر بضرورة حب الناس ويطلب الخير لهم، وأن يرسخ فيه روح التفاهم والإيثار والصبر والعمل وخدمة مجتمعه والبشرية.

أما في المجال الدولي، فلا بدّ أن يربّى الطفل على روح التفاهم والإيثار، وحب الناس ومبدأ الأخوة والسلام، والنظرة العالمية (الأممية) بدلاً من النظرة القومية. وأن يعرف بأنّ المسلمين هم إخوة له وأن يراعي العدل والإنصاف مع جميع الذين يعيشون في مناطق العالم المختلفة.

عليه أن يكون نصيراً للمظلومين وخصماً للظالمين ومغيثاً للمحرومين ومعيناً لهم. وأن يتقرب ممن يحترم الإنسان والأخلاق ويعادي الذين يحاولون استعمار الشعوب ويستكبرون عليهم.

المواطن والقائد:

تقع على الأب مسؤولية بناء الولد ليكون في كبره مواطناً صالحاً في المجتمع، مطيعاً للدولة وقوانينها، وقائداً جيداً لو أنيطت به مسؤولية معينة. وعليه أن يكون متهيئاً لقبول المسؤولية عندما يجد في نفسه الكفاءة وأن يستلم المنصب عندما يشعر بقدرته علىٰ خدمة الناس لا أن يكون عبداً للمال والمنصب والشهرة فيجلب لنفسه وشعبه الويلات.

إننا لا نربّي أطفالنا على حب الوطن بالمعنىٰ الذي يفهم القوميون. إننا لا نربّي أطفالنا ليرتبطوا بدولة معينة فقط أو بمجتمع خاص، بل نربيهم

من أجل المجتمع الإنساني، ولا نهدف من خلال ذلك أن نحدد المصالح البشرية في أُطرٍ ضيقة، بل نسعىٰ لاحترام البشرية وحقوقها وأن نقدّم لها هداة ومرشدين.

إننا لا نربّي مواطنين فقط، بل شخصيات عالمية تطمح بحلّ مشكلات العالم فيما لو تمكّنت من ذلك.

التدريب العسكري والدفاع:

إن التدريب العسكري وتعلّم فنون الحرب يمثّل جانباً مهماً في التربية السياسية، ويريد الإسلام من كلّ إنسان أن يدافع عن حقوقه وكرامته ومجتمعه، ويقف بوجه الكفار والأعداء ويكون مستعداً للتضحية بنفسه من أجل الحق.

ويؤكد التدريب العسكري ـ وهو من أجل الدفاع ـ علىٰ ضرورة أن يتعلم الطفل السباحة والرماية والفروسية، وأن يتهيأ ويستعد للدفاع عن نفسه حسب الظرف الذي يعيشه، وهذا ما كان سارياً في صدر الإسلام وخاصة في عهد الرسول الأكرم (ص).

فقد أوجب الإسلام على المسلمين الاستعداد من أجل الدفاع، بل أوجبه على المرأة أيضاً، ولا يستطيع أي شخص أن ينكر أهمية ذلك. ويذهب القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد أن الاستعداد لا بدّ أن يقذف الرعب والخوف في قلوب الأعداء حتى لا يتجرأوا في الاعتداء على المسلمين.

دور الأب:

يجب على الأب أن يكون القدوة الصالحة في التربية السياسية، فهو لا يمثل مصدر القوة لطفله فحسب بل يعتبر أيضاً القدوة له في العمل بوظيفته ويرسم له الطريق المناسب للقيام بهذه المسؤولية.

فالطفل ينظر إلى أبيه على أنه المقنن والقائد والقدوة في الجرأة والشهامة، وإنّ ما يقوم به الأب يعتبر درساً للطفل يتعلم منه الموقف والأسلوب والمنهج في التربية السياسية.

إن حبّ الأب للناس ونظرته للحرية والاستقلال والجهاد والنضال في سبيل الوصول إلى الهدف والدفاع عن الحق والحقيقة والمظلومين ومجاهدة الباطل، تمثل دروساً سياسية للطفل مما يستوجب على الأب أنْ يحذر كثيراً في هذا المجال.

يجب أنْ يشاهد الطفل رغبة الأب وميله نحو القضايا السياسية وما يرتبط بمجتمعه والبشرية جمعاء. ولذا فمن الضروري أن يلتزم بالمشاركة في النشاطات الاجتماعية ليكون مواطناً صالحاً أو قائداً يُقتدىٰ به من أجل حياة إسلامية. وإنّ أي تسامح يؤدي إلى جهل الطفل بالأمور السياسية.

الفصل السابع عشر
الدور الإقتصادي للأب

مقدمة:

يمثل الإقتصاد جانباً ضرورياً في الحياة. ويعرف بأنّه المحرّك للإنسان نحو العمل والسعي الدؤوب، حتىٰ وصفه بعض الفلاسفة بأنّه الأساس، وإن كلاً من الفكر والأدب وحتىٰ الدين!! تنبثق عنه. وتنتهي أغلب المساعي الاقتصادية إلي البطن والزينة والقوة حيث تبذل الجهود للحصول على طعام أكثر أو زينة أفضل. وقد يلجأ الأشخاص أحياناً إلى الخيانة والجريمة وإراقة الدماء. ويرىٰ الإسلام أن الاقتصاد ليس أساساً لكل شيء لكنّه مهم في نفس الوقت.

وقد جاء في السنة الشريف: «مَنْ لا معاش له لا معاد له»، ولذا أكّد الإسلام على العمل واعتبره من الأمور الأساسية المهمة للغاية وأمر الناس به ليحصلوا على لقمة العيش ويتمكنوا من بناء أنفسهم وتطويرها.

ضرورة التربية الاقتصادية:

ينبغي الاهتمام بالتربية الاقتصادية لدورها المهم في حياة الإنسان وبناء مستقبله. ويا حبذا لو يقوم الأب بوضع الحجر الأساس وإيجاد الرغبة والاندفاع عند أطفاله وهم صغار حتىٰ لا يتهربوا في مرحلة الشباب من حمل هذه المسؤولية.

يقوم الأب عملياً بتوفير المأكل والملبس ووسائل الراحة والترفيه لأسرته، ويتعرّف الطفل ذاتياً على هذا الموضوع في سنوات الطفولة الأولىٰ

وينظر إلى والده بأنّه أساس القوة والاقتدار، فيطلب منه أن يؤمّن له حاجاته، ويدرك إنّه النواة إذ تعود جميع الأمور إليه. ثمّ يشعر تدريجياً أن عليه أن يكون كأبيه وأمّه في القيام بالوظائف وضرورة تعلم مهنة معينة. وتعتبر هذه الأرضية لاقتباس العديد من الأعمال وتعلّمها. ومن الضروري أن يرافق ذلك دافع خارجي وهو حديث الأب وتشجيعه لولده وتشويقه للمضي في هذا الطريق.

التمرّن على العمل والإنتاج:

عليكم أن تحثّوا أولادكم منذ مرحلة الطفولة على ممارسة العمل والإنتاج، ولا بدّ أن يتناسب ذلك مع سن الطفل وإدراكه وفهمه. وليبدأ من سقي الورود مثلاً وتنظيف الرفوف والإعتناء بالمكتبة وترتيب المقاعد والمناضد أحياناً.

إننا نعتقد بأن الطفل سيكون قاصراً عن أداء عمل مفيد خارج البيت لو لم يتمكّن من أداء عمل مفيد ونافع داخله، وسوف يفقد الثقة بنفسه.

اسمحوا له بأن يؤدي بعض أعمال البيت وشؤونه الخاصة كغسله لجواربه ومنديله والاعتناء بالحديقة وغير ذلك لكي يستطيع التطور والتقدم في المستقبل. اطلبوا منه أحياناً أن ينجز بعض أعمالكم الخاصة أو يساعدكم فيها لكي تزداد خبرته بفنون العمل وأساليب الحياة ومشاكلها.

ثمة مساحات واسعة للعمل أمام الأطفال. حيث توجد اليوم طرق عديدة يمكن بواسطتها تكليف الأطفال للقيام ببعض الأعمال الإنتاجية، حتى أولئك الذين يبلغون من العمر أربع سنوات، وعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى الطباعة بواسطة الآلة الطابعة ولكن بشرط أن تبذل الجهود كي لا يشعر الطفل بتعب أو ملل جرّاء ذلك العمل فيُحرم منه.

إدراك قيمة العمل:

من الأمور المهمة جداً هو أن يدرك الطفل قيمة العمل، وإنّه أساس تداوم الحياة وبقاء هذا الوجود واستمرار الحضارات والحصول على الثروة

وإشباع البطن. ولا يمكن إلاّ من خلال العمل تيسير اقتصاد العائلة وتوفير حياة طبيعية ومنتظمة.

كما وعليه أن يدرك من خلال الممارسة أن العمل لا يستهدف توفير لقمة العيش فحسب بل إنّه وسيلة من أجل تقديم الخدمات الاجتماعية والتطوّر الحضاري. إذ يجب عليه أن يهوىٰ العمل ويحبّه ويكره البطالة ويمقتها ويخطط لحياته طبقاً لهذه المفاهيم.

ومن المفيد أن يلجأ الأب إلى ذكر بعض القصص في هذا الشأن، ومنها ما ورد عن رسول الله (ص) من أنه شاهد رجلاً فأعجبه، ولما سأل عن عمله وعرف أنه عاطل عن العمل قال: سقط من عيني.

إن ذكر مثل هذه القصص تشوّق الأولاد وتدفعهم نحو العمل.

التوجيه في العمل:

ينبغي للأب أنْ يُطلع طفله منذ صغره على أنواع الأعمال وخصوصياتها وإيجابياتها وسلبياتها وصعوباتها وكيفية مواجهتها وسوف تؤدي هذه العملية إلى اندفاع الطفل واهتمامه بأعمال معينة مما يفسح المجال للأب ليصرف هذا الاندفاع ليصب في خانة الأعمال التي لا تضرّه جسدياً ونفسياً بل تساهم في نموّه وتكامله.

وينبغي أن يؤكد الأب على الأعمال الشريفة التي توفّر حياة حرّة ونزيهة ثم تزداد كفاءة الطفل وخبرته تدريجياً بازدياد سنه ونشوئه.

ولا بدّ أن توضع الحدود الفاصلة بما يختص بالذكور والإناث والمسؤوليات التي يمكن أن يتحمّلها كلٌ حسب جنسه.

ويجب أن تصب الجهود بشكلٍ عام من أجل خلق تصور جيد عند الأولاد عن العمل والإنتاج، والاهتمام بالتقوىٰ والشرف من أجل أن يحمل الطفل انطباعاً إيجابياً عن تلك الأمور.

وحري بالأب أن يكون مؤهلاً لهذا الدور فيملك ذلك الاستعداد المطلوب.

التعرّف على عمل الأب:

لا بدّ للطفل أن يتعرف بالتدريج على مهنة أبيه وعمله وموقعه وخدماته ودخله والمشاق التي يواجهها. وهذا يعتبر بالنسبة للطفل عاملاً مهماً في اكتشاف ظرفه ومكانته والحدود المرسومة لطلباته ورغباته، أو إنه يعرب عن فخره واعتزازه في أحيان أُخر.

ويجب أن يقيم عمل الأب على ضوء قيمته وأهميته والتقوىٰ المستخدمة فيه لا على أساس المنصب والدخل، ويمثل هذا درساً للأولاد.

وينبغي للأب أن يكشف لولده عن رغبته بهذا العمل وحبه له حتى يؤكّد له أن العمل عندما يكون شريفاً لا تؤثر فيه النوايا السيئة للآخرين.

الوالدان قدوة:

من العوامل التي تقلق الطفل وتؤثر عليه سلباً في المستقبل هي شكوىٰ الأب من عمله وندب حظه السيّء وشعوره بالشقاء والتعاسة.

لا شك في أن على الإنسان أن يتقدم في حياته ويتطور ويختار عملاً أفضل، لكن هذا لا يعني أن يسيء إلى العمل الذي يؤديه حالياً وينجزه دون أية رغبة.

كما أن الإعلان عن الضجر والتعب من العمل وقذاراته وفقدان الصبر علىٰ تحمله، تقدم دروساً سيئة للطفل، إضافة إلى شعوره بالقلق. فالأم التي تشتكي من عمل البيت دائماً والأب الذي يندب حظه باستمرار إنما يزرعان مفهوماً خاطئاً في ذهن الطفل. فينبغي عليهما أن يقدما لولدهما دروساً في الثبات والنشاط والتقوىٰ والأمانة. لأن الإسلام يرفض السطحية في العمل ويؤكد على الاتقان وقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله تعالىٰ يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

كما يجب على الوالدين أن يهتما بالمهارة والإخلاص في عملهما ولا يفرطان بشرف العمل من أجل أرباح مادية سرعان ما تزول.

قيمة المال والإنفاق:

من الأمور المهمة في التربية الاقتصادية، الكشف عن قيمة المال والهدف من الحصول عليه. ويجب أن يحدد الهدف من التبادل التجاري والحصول على لقمة العيش حتىٰ يكون هذا دافعاً لاستمرار الحياة والمحافظة على الكرامة. ولن يكونَ للمال أية قيمة عندما يتعرّض شرف الإنسان وكرامته لخطر الضياع.

وينبغي للطفل أن يدرك حجم القوة الشرائية للعملة، والأجر الذي سيكسبه لقاء جهد معين، والحاجات التي يمكن توفيرها بواسطة هذا المبلغ.

إنّ من الخطأ أن يخفي الوالدان ـ وخاصة الأب ـ قيمة شراء الأشياء عن الطفل إذ عليهما أن يطلعاه على قيمة الدفتر أو الصابون أو الفرشاة أو المأكولات لكي يكون على بينةٍ من كيفية الإنفاق ومعدله.

كما إنه أحد أعضاء الأسرة وشريكها في الإستهلاك وينبغي إشراكه في القناعة بمستوىٰ إدراكه فيما لو دَعت الحاجة لذلك.

وعلى الأب أن يعلم ولده منذ الصغر على عدم الإسراف والتبذير ويربيه على حالة الاعتدال في الإنفاق.

الفقراء والثراء:

قد تصاب الأسرة بالفقر أحياناً فتكون عاجزة حتىٰ عن توفير حاجاتها الضرورية والأساسية.

وليس صحيحاً في مثل هذه الحالات اللجوء إلى التأوّه وندب الحظ السيء وبث الشكوىٰ خاصة أمام الطفل لأن ذلك يؤثر سلباً علىٰ معنوياته. ولا بدّ أن تصبر الأسرة على هذه الحالة وتقدم بذلك درساً للطفل. ويجب أن لا يؤدي الفقر المادي إلى الفقر الأخلاقي وإلى التأثير سلباً على كرامة الإنسان وعزته وإبائه. فمن نِعَم الخالق الكبرىٰ إنشراح الصدر والتعامل بوجهٍ بشوشٍ مع أفراد الأسرة لما له من تأثيرات عديدة على تعادلها.

أمّا تأوّه الأب من الفقر أمام الطفل فإنّه يحطّ من شخصيته ويمهّد لانحراف الطفل نفسه.

وفي نفس الوقت ينبغي أن لا تؤدي الحالة الإقتصادية الجيدة للأسرة إلى إيجاد عادات قبيحة لدىٰ الأطفال.

ولا بدّ من مراعاة حدّ الاعتدال دائماً سواء في الفقر أو في الغنىٰ، وأن يُمنع الطفل من الإسراف والتبذير، ويطلب منه ـ على سبيل المثال ـ أن يحتفظ بنصف التفاحة بعد أن يتناول نصفها الآخر ولا يرميه بعيداً بل يأكله بعد فترة.

الإنفاق:

حري بالأب أن يعلم ولده منذ الطفولة على الإنفاق. وقد ورد في بعض الأحاديث الشريفة أنه إذا نويت أن تعطي الفقير شيئاً فسلِّمْ ذلك إلى الطفل حتىٰ يقدمه له.

إن تربية الطفل على هذه الخصلة يجب أن تكون صحيحة بحيث لا يصحب الإنفاق مَنّاً. وعليه أن يدرك بأنّه عضو في المجتمع الإنساني، وأن شكر الخالق على الثروة يعني إنفاقها على الفقراء ومساعدتهم.

كما يجب على الأسرة أن تراعي في محيطها موضوع مساعدة الفقراء والإحسان إليهم وبذل الجهد من أجل إصلاح أمورهم. ويمكن للجميع أن يتحلّوا بهذه الصفات حسب استطاعتهم ومهما بلغت الحالة الاقتصادية.

الباب الخامس

البناء في المراحل المختلفة

يسلك الإنسان أنماطاً متعددة من السلوك في مراحل حياته المختلفة وتتباين المواقف من مرحلة إلى أخرىٰ، وتعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل لأنّها الأساس في بناء الأخلاق والسلوك. وتقع على الأب مسؤولية ثقيلة ومعقدة للغاية، وحريّ به أن يُسرع في تربية ولده لكي يتجاوز المراحل القادمة بسلام وأمان.

وتشهد سنوات النشيء والبلوغ تفاعلات عديدة ومتنوعة عند أولادنا وتحدث تغييرات نفسية كبيرة بسبب الثورة الحاصلة في الجسم إضافة إلى حالات التمرّد والعصيان والانفعال التي تصاحب عادةً هذه المرحلة مما قد يؤدي إلى الانحراف والفساد فيما لو امتنع الأب عن ممارسة دوره في الاهتمام والحذر خاصة، وأن الأولاد يميلون بشدة في هذه المرحلة لمصادقة الآخرين. وينبغي مساعدتهم من أجل تحقيق الأمن والمحافظة على سلامته بواسطة توفير عناصر التسلية النافعة والمفيدة ومراقبة ذهابهم وإيابهم ومعاشرتهم للآخرين.

ثم تصل أخيراً مرحلة الشباب التي يمكننا أن نطلق عليها «مرحلة التمرّد» حيث تواجهها أخطار جمة من كلّ جانب، ويجب على الأب أن يفسح المجال أمام نمو ولده وتكامله من خلال التخطيط لأوقات فراغه وتكليفه ببعض الوظائف واستشارته في الأمور.

وسوف نشير إلى هذه المواضيع في أربعة فصول منفصلة مع مراعاة الاختصار والإيجاز.

الفصل الثامن عشر

الأب والطفل

مرحلة الطفولة:

قلنا إن مسؤولية الأب في إنجاز وظائفه تبدأ قبل ولادة الطفل بل ومنذ المرحلة التي يبحث فيها عن زوجةٍ له. إذ يجب عليه أن يفكّر في الطفل الذي سيكون ثمرةً لهذا الزواج، فيختار له أمّاً مناسبة.

وسوف تتأكد مسؤولية الأب بشكلٍ واضح منذ اللحظة التي تطأ فيها أقدام الوليد هذه الدنيا، وتقع عليه وظائف عديدة أهمها ما يرتبط بمرحلة الطفولة، إذ عليه أن يقوم بدوره بنفسه لا أن يستعين بالآخرين لتربيته.

إنّ مهمة تربية الولد في مرحلة الطفولة بالغة الأهمية وتشتمل على تفاصيل ودقائق عديدة لا بد أن تُراعىٰ بأفضل وجه.

كما ينبغي أن يستعين الأب بخالقه جلّ وعلا ويستفيد من تجارب الكبار وأصحاب الخبرة. وتمثّل الرغبة والمراقبة والاهتمام وتخصيص الوقت وظائف أخرىٰ على هذا الطريق.

أهمية مرحلة الطفولة:

توصف مرحل الطفولة بأنّها مصيرية ومهمة لشمولها على وظائف وعوامل خاصة لا يمكن مشاهدتها في المراحل الأخرىٰ أو إنّها ضعيفة التأثير. وقد حددوا هذه الخصوصيات بما يلي:

١ ـ **مرحلة الاستعداد**: يحمل الطفل استعداداً عجيباً في سنوات حياته الأولىٰ مما لا يمكننا أن نشاهد مثيلاً له في المراحل الأخرىٰ.

وعادة هناك علاقة عكسية بين السن والتأثير لأغلب أبناء المجتمع، إذ كلما زاد سن الطفل زاد رفضه لما يقال له وانخفض استعداده في القبول والموافقة. ويمكن لهذا الطفل أن يكون إنساناً فاضلاً أو منحرفاً من خلال ما يملكه من الاستعداد. فالأطفال مهيأون للتعامل إيجابياً مع الأحداث والوقائع وقبول التحذيرات والإيحاءات وذلك لامتلاكهم قلوباً غير ملوّثة وجاهزة للتربية، فقد ورد عن الإمام علي (ع) في هذا الشأن: «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيءٍ إلاّ قبلته».

٢ ـ **مرحلة التبلور**: يمكننا أنْ نشبّه روح الطفل كالنبتة التي تقدر على الاستدارة في اتجاهات مختلفة. ويصدق هذا الوصف حتىٰ على جسم الطفل وأعضائه. وعنده القدرة للاعتياد على ما نقدمه له خاصة فيما يرتبط بالسلوك والشخصية.

ينشأ الطفل في هذه المرحلة ويتكامل بناؤه الروحي، ويكون الأب قادراً على بناء طفله كيفما يريد ـ تقريباً ـ من خلال الأسلوب الذي يتبعه وطريقته في العمل. وقلنا تقريباً لأنّه لا يمكن دائماً تحقيق جميع الرغبات بشأن تربية إنسان معين وتوجيهه كما نريد، إذ ان ذلك يرتبط بظروف وعوامل محددة قد لا تتواجد جميعها لدىٰ الطفل.

٣ ـ **مرحلة الحساسية**: الطفل هو ذلك الغريب الذي يطأ عالم الوجود ويمكن تشبيه حواسه بالنوافذ المفتوحة على هذا العالم، فهو يلمس الظواهر المختلفة ويشاهدها ويسمعها ويشمّها ويتعرّف عليها تدريجياً ويألفها. إنّه يحسّ بما يشاهده ويدركه ويعتقد أن تلك الظاهرة هي الأولىٰ والأخيرة في هذا الوجود فيستسلم لكيفية الحدوث ويتصوّر أنه قانون لا بدّ أن يقبل به، خاصة وإنه ليس بمستوىً يمكنه التعامل بنظرة أوسع مع تلك الأمور أو أن يختار الأفضل والأحسن.

إنّه لا يدرك إلاّ ظواهر الأمور وزخارفها ولا يقبل إلاّ بما يلتذ به ولا يبتعد إلاّ عن كل ما يسبب له المشاكل.

يجب أن نعرف أن الطفل يكون حساساً جداً في هذه المرحلة أزاء

مختلف الظواهر والأشياء الجديدة. وتبرز عنده قابلية الاختيار والانتخاب تدريجياً كلما كبر، فيستخدم ذوقه الشخصي وتصعب في هذه الحالة عملية التأثر بالظاهرة الحسية.

٤ ـ مرحلة وضع الأسس الأخلاقية: تعتبر الطفولة أهم مرحلة تتبلور فيها الأخلاق والسلوك، حيث توضع اللبنات الأساسية للأخلاق من خلال اتخاذ القدوة والإيحاءات والتحذيرات، فتنشأ سيرة الطفل وفقاً لذلك. فلا بدّ من تنمية الفضائل في شخصية الطفل منذ السنوات الأولىٰ وسوف ينتخب الأطفال فيما بعد الأحسن والأفضل عندما يتعرفون على المجالات والأذواق المختلفة ويعملون بما كسبوه.

وإنّ النجاح سيكون حليف الآباء والأمّهات فيما لو مارسوا دورهم في الاهتمام بالطفل خاصة في البعد الأخلاقي وذلك منذ سنوات ولادته الأولىٰ.

مسؤولية الأب:

تقع على الأب مسؤولية تربوية مهمة في مرحلة الطفولة، ومن الطبيعي أن تقع على الأم مسؤولية أخرىٰ. كما أن من الخطأ أن يترك الأب للأم مسؤولية تربية الطفل وتحقيق انضباطه ويقف جانباً، بل ينبغي على الأب أن يهتم مبكراً بتربية ولده. فقد ورد عن المرحوم النراقي في معراج السعادة أن الطفل ينشأ غالباً سيء الأخلاق حسوداً، كاذباً، عنيداً، حاقداً، و. . . فيما لو لم يُهتم به منذ بداية حياته.

فلا بد أن يلمّ الطفل منذ البداية بصورةٍ أو بأخرىٰ بالحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحريّ بالأب أن يبذل جهده خاصة في المجال الأخلاقي حتى يكون سلوكه سوياً فلا يقال عنه شيئاً.

الإسلام والاهتمام:

إن الجهود التي تبذل في السنوات الأولىٰ خاصة في مرحلة الطفولة إنما هي جهود مهمة وأساسية حتى انه لا يمكن محو بعضها خاصة فيما يرتبط بالمجال الديني والاعتقادي والفلسفي.

فينبغي الاهتمام بمجالات الأخلاق والسلوك، والعقيدة والتعليم أيضاً. ويتّسعُ هذا الاهتمام ليشمل التعامل والمعاشرة، وعدم تجرؤه على والديه. فمثلاً لا يحق للطفل مهما كان صغيراً أن يهين والده أو أن تكون له الجرأة في إنجاز أي عمل دون موافقته.

لا بدّ أن تخضع معاشرة الطفل وعلاقاته مع أصدقائه إلى مراقبة خاصة حتى انه يجب التفريق بين الأولاد في الفراش إذا بلغوا عشراً كما جاء في الأحاديث الشريفة.

كما يشمل الاهتمام أيضاً بزيارات الطفل وطعامه ونظافته وكلامه ودفاعه عن نفسه ورفضه وموافقته. وينبغي أن نحذر كثيراً حتىٰ لا يتعود الطفل على العادات السلبية والسيئة.

مستوىٰ الطموح:

ماذا ننتظر من الطفل، وما هو طموحنا والمستوىٰ الذي نبغيه من نموّه وتكامله؟

لا بدّ من القول ان طموحاتنا ينبغي أن تكون محدودة. فنحن لا نريد أن نجعل من البيت معسكراً تنفذ فيه الأوامر دون نقاش. إنّه طفلٌ ويريد أن يكون حرّاً ولا يقبل بالقيود.

فيجب علىٰ الأب أن يغض الطرف عن كثير من الأمور بشرط أنْ لا يؤدي ذلك إلى حدوث نتائج عكسية كرفضه لأوامر الأب مثلاً.

إن من الخطأ أن يُصرّ الأب لأن تخضع جميع تصرفات ولده إلى إطار معين يرسمه شخصياً. فالأطفال يولدون وعندهم قدرات محدودة في تطبيق مختلف البرامج، فينبغي مراعاة خصوصياتهم العقلية والنفسية واستعداداتهم الأخرىٰ. ويتطلب الأمر أحياناً أن يضع الأب نفسه مكان طفله فيفكر بالذي عليه أن يعمله، والحدود المرسومة لطموحاتها ورغباته وقابليته في تحقيقها.

فالأفكار البعيدة المنال والطموحات التي لا نهاية لها والمثاليات لا تحقق أهدافكم أبداً بل تُبعد الطفل عنكم وتفشل العملية التربوية ولا تحقق أهدافها.

الإسراع في التربية:

أما الملاحظة الأخيرة فهي يجب الإسراع في تربية الولد وبنائه وتوجيهه.

قد يفرط الآباء أحياناً بهذه الوظيفة وينتهون إليها بعد فوات الأوان وحدوث هوّة كبيرة بين رغبات الأب وأساليبه المستخدمة مع طفله الذي اتخذ سلوكاً معيناً من خلال ما تعلّمه عملياً.

فيجب التفكير بالتربية وضوابطها منذ اليوم الأوّل الذي يتم فيه الارتباط بين الطفل وأمّه أولاً ثم بينه وبين أبيه ثانياً. ولا بدّ من اتخاذ خطوات سريعة خاصة في المجال الاعتقادي والأخلاقي كي لا يعتاد الطفل على أساليب أخرىٰ فينشأ عقله عليها.

جاء في خطابٍ لأمير المؤمنين الإمام علي (ع) إلى ولده الإمام الحسن (ع) قوله:

«فبادرتك بالأدب قبل أنْ يقسو قلبك ويشتغل لبّك».

الفصل التاسع عشر

الأب والحدث

سنوات الحدث:

لقد فصلنا هذه المرحلة من الطفولة بسبب اختلافها عن المراحل التي تسبقها أو التي تلحقها، وذكروا لذلك حدوداً. فحددوها للإناث بعد انتهاء عشر سنوات وحتىٰ البلوغ (١٤ سنة تقريباً) وللذكور بعد انتهاء اثني عشرة سنة وحتىٰ البلوغ (١٥ أو ١٦ سنة تقريباً).

وتختلف هذه المرحلة عن مراحل الحياة الأخرىٰ بيئياً ونفسياً، فهي تعتبر من جانب مرحلة تكميلية لمرحلة الطفولة حيث يمكن مشاهدة آثار لها. ومن جانب آخر فهي مقدمة لتوفر الأجواء الملائمة للبلوغ الذي سيظهر ولو بشكل مقدماتي بسيط مع نهايات هذه المرحلة.

يعتقد علماء النفس أن هذه المرحلة من أطول المراحل وأكثرها إثارة للجدل ضمن مراحل تبلور الشخصية لأنها تفصل بين مرحلتي الطفولة والبلوغ المهمّتين. وهي ليست كالطفولة ولا كالبلوغ حتى يدرك الإنسان مسؤوليته وطريقة تصرفه.

لذا فإن هذه المرحلة مهمة جداً للمربي والطفل لأنها مصحوبة بالمشاكل والصعوبات.

عالم الأحداث:

إنّ للأحداث عالماً خاصاً مليئاً بالتغييرات والمجاهيل رغم العديد من

الدراسات والبحوث الاجتماعية والنفسية والبيئية، وإن هذه المرحلة هي أشدّ ما يعاني منها الآباء والمربون.

ثمة اختلاف بين الذكور والإناث في هذه المرحلة ولكل منهما تعقيدات خاصة وأسرار معينة حيث يؤدي النمو وحدوث تغييرات جسمية ونفسية إلى شعور الحدث بالاضطراب فيجد الظروف مناسبة ليستغرق في ذاته ويفكّر في نفسه ومستقبله.

فهؤلاء دخلوا مرحلة جديدة من البناء والاستدلال وهم ينظرون الآن إلى حياتهم وإلى الآخرين نظرات مختلفة ويبذلون جهدهم لاكتشاف العلاقة الجديدة بين العلّة والمعلول ويمضون قُدماً نحو الأمام. ويعيشون ظروفاً لا يمكنهم فيها الرضا بالظلم والفوضىٰ والقلق. ويسعون لإثبات جدارتهم والاعتماد على أنفسهم واستقلالهم.

السمات والسلوك:

تتسم هذه المرحلة ببعض الخصوصيات التي تطبع تصرفات الحدث وسلوكه منها:

* ظهور جوانب إنفعالية في أفكاره وسلوكه إذ يمكن الاستفادة منها إيجابياً في عملية التربية.
* إتساع نطاق التفكير بسبب اتساع دائرة التجارب والمشاهدات والمعلومات.
* اشتداد الحالة الفردية والمحورية والذاتية لدىٰ الحدث.
* الميل إلى كسب الأصدقاء وتوسيع نطاق هذه الدائرة وانتخاب الرفقاء والجلساء.
* إتساع دائرة الرغبات والميول خاصة رغبة الحصول على أمور عديدة وامتلاكها أو منحها.
* ظهور حالة خاصة يمكن أن نطلق عليها بالذاتية حيث يفكر الحدث في ظلّها بنفسه وعالمه الخاص.

* الميل للاستقلال وهو في الذكور أشدّ من الإناث.
* ظهور بدايات للعصيان والتمرد وهو في الذكور أشد من الإناث.
* السعي لتوكيد الشخصية بأساليب جاهلة منها مثلاً معارضة آراء الكبار ووجهات نظرهم.
* إتضاح ظاهرة النمو والبلوغ التي هي مقدمة لدخول عالم البالغين.
* الميل لبناء النفس والكشف عن الاستعدادات المختلفة.

مخاطر هذه السن:

ثمة مخاطر عديدة تعترض طريق الأحداث، وذلك منذ نهايات مرحلة الطفولة. فينبغي الاهتمام والحذر حتى تزول سلبيات هذه المرحلة، وتقع المسؤولية على الآباء بالدرجة الأولىٰ.

أمّا أهم المخاطر فهي:

- خطر الانتماء إلى «الجماعة» خاصة وأنّها تؤدي أحياناً إلى الجريمة.
- خطر السرقة إذ تتم بتوجيه من الكبار عادة وتمثّل فخّاً لهم.
- خطر الهروب والتشرد بسبب وساوس المنحرفين والفاسدين.
- خطر السقوط في أحضان المنحرفين جنسياً من الذين لا يستهدفون سوى تلويث الأولاد.
- خطر العبث بالأعضاء التناسلية مما يؤدي إلى ممارسات سيئة كالعادة السرية مثلاً، فتكون أهم مشكلة تواجهه في المستقبل.
- خطر التلوّث الفكري والعقائدي الذي يتم عادة في أواخر هذه المرحلة وبدايات مرحلة البلوغ.
- خطر فقدان الرغبة في الدراسة والعمل فتكون النتيجة التخلف والبطالة والسقوط.

نعم، فهذه أخطار مهمة تقف في وجه أولادنا، وهي تعتريهم فجأة دون سابق إنذار. وقد لا يشعر بها الآباء أيضاً بسبب كتمان السرّ الذي يمتاز به الحدث. وان سبب العديد منها هو العلاقة الخاطئة بين الأب وولده.

المشاكل:

يبرز شعور لدىٰ الأولاد في هذه المرحلة انهم أصبحوا مهمين وذوي شخصية وذلك بسبب نموّهم الجسمي وتقدمهم في الدراسة وتعلمهم لبعض أساليب المناقشة. لذا نراهم يلجأون إلى العناد والعصيان والتمرّد والكذب لإثبات وجودهم فيصبحوا عدوانيين حتى انه تبرز عند البعض منهم صفات لاخلقية.

يشعر الحدث برغبات وميول عديدة يريد توفيرها، كالرغبة في امتلاك المال والإنفاق والمصادقة والمعاشرة واللاإبالية والتسلية والترفية والاستقلال في الحياة الخاصة، فيلجأ إلى مختلف الأساليب والحيل من أجل تحقيق هذه الرغبات.

كما يشعر بالحاجة الماسّة إلى الأمن وراحة البال والخاطر وذلك بسبب الاضطرابات والمخاوف التي تعتريه في حياته اليومية علماً بأنّ هذه المرحلة تمثل بذاتها وحدة من أسباب تلك الاضطرابات.

فالأحداث كبار جسمياً لكنهم أطفال في التصرف والسلوك والطبيعة. لذا نراهم يبحثون عن الشخص الذي يمنحهم الثقة ويوفر لهم الاستقرار الفكري.

الميل إلى نظير السن:

من خصائص هذه المرحلة هو الميل إلى كسب الأصدقاء ومعاشرتهم والمبالغة في هذا الأمر حتى أن الحدث يكون مستعداً للتضحية بنفسه أو الابتعاد عن والديه والتفريط بهما من أجل أصدقائه.

وتشتدّ أواصر الصداقة في هذه المرحلة فيلجأ الحدث إلى التنظيم والانتماء إلى «الجماعة» مما يشكّل خطراً عليه في بعض الأحيان. كما أن معاشرة الأصدقاء المنحرفين يؤدي بهم إلى الانحراف وممارسة الجريمة كالسرقة وغير ذلك.

وتتم أغلب هذه العلاقات والصداقات بسبب خصائص هذه المرحلة والتغيرات التي تتم فيها. فالأحداث يلمسون التغيرات الجسمية الحاصلة عندهم ويتعرفون عليها ويبحثون عن الأصدقاء لكي يُسرّوا لهم.

وترتبط هذه الأسرار بالحالة الحياتية والتغيرات الجسمية الحاصلة وتدفع تلك العلاقات والصداقات أحياناً إلى مسالك خطيرة تتبعها فضائح تنال من شرف الأسرة ومكانتها.

موقف الأب:

ينبغي للأب أن يقوم بدور الهداية والإرشاد لولده الحدث. ومساعدته وتحذيره من المخاطر، وعليه أن يتدرج معه ابتداءً من مرحلة الأمروالنهي حتى يصل إلى مرحلة تقديم النصح والاستشارة والتوجيه. علماً بأن سلوك الأب وتصرفه مهم جداً في هذا المجال.

إنّ أهم ما يجب القيام به في هذه المرحلة هو بناء شخصية الحدث لأنّه لا يزال يشعر بالحياء ويتمكن الأب من خلال ذلك النفوذ إلى ولده. ويرغب الحدث أنْ يكون والده معه صميمياً لا أن يعارضه ويناقشه. ويرتبط سلوكه وخلقه بسلوك والده وتصرفه، أو إنه يكتسب ذلك من الأسرة والمحيط.

لذا حريّ بالأب من خلال الدور الذي يملكه أن يحقق التعادل في المجال الاجتماعي والأخلاقي حتیٰ يشجع ولده ويدفعه نحو الخلق والأدب ويهذب سلوكه.

التمرّن على المسؤولية:

حمّلوا الحدث مسؤولية معينة، واطلبوا إنجازها بدقة، فمثلاً طالبوه بأداء جانب من عمل البيت وهذا مهم جداً خاصة للإناث. كما عليكم أن ترشدوه نحو الأسلوب الصحيح لإنجاز تلك المسؤولية وقدّموا له الصلاحيات الكافية والحرية المطلوبة، بل وحاولوا أن يتمرّن على بعض الصعوبات والمشاكل ويتفاعل معها.

على الحدث أن يعتمد على نفسه وهو في هذه المرحلة، وأن يوفر بنفسه أغلب حاجاته حتى لا يحتاج إلى مساعدةِ أبويه. وأن تكون تلك المسؤولية مصحوبة بالعاطفة، واجعلوه يثق بنفسه ويعيش الأمل في الجهود التي يبذلها.

الفصل العشرون

الأب والبـالغ

ظاهرة البلوغ:

البلوغ هو من علامات النمو. فالذكور والإناث يبلغون متىٰ ما وصلوا إلى سنٍّ معينة، فيقال انهم انضمّوا إلى عالم الرجال أو النساء، ويتم تحديد السن للإناث بـ(١٤) سنة وللذكور بـ(١٦) سنة. وحتىٰ يكتمل البلوغ ويصل الشخص إلى مرحلة الكمال فإن ذلك يتم للذكور في سنة ١٨ سنة وللإناث في سن ١٦ سنة.

ويصاحب البلوغ عند الإناث والذكور علائم معينة يعرفها الوالدان جيداً، لكنّ هذه العلائم تبدأ في الظهور تدريجياً قبل السن الذي ذكرناه بعامين، وتحصل بسبب البلوغ تغيرات في الجسم ثم في النفس.

والنمو بحدّ ذاته يجعل الأولاد يشعرون أنهم أصبحوا كباراً على شاكلة الأب أو الأم فيحق لهم الأمر والنهي والتصرّف بحرية وغير ذلك.

إنّ الهرمونات التي تدخل في الدورة الدموية تؤدي إلى ظهور بعض التغيرات عند الأشخاص مما يرتبط بغير الجسم كالنفس والعاطفة مثلاً مما يحدث ثورة في الأخلاق والسلوك واتخاذ المواقف.

مرحلة القلق:

إن سن البلوغ هو سن القلق وإيجاد المشاكل لذات الشخص والمربي في نفس الوقت. لذا نرىٰ أنّ أغلب الأسر تشتكي أولادها في هذه المرحلة وتدّعي بأنهم أصبحوا لاإباليين أو نراها تئِنّ من عصيانهم وتمردهم وعدم انصياعهم لأوامر الأب أو الأم.

وصف بعض علماء النفس هذه المرحلة بأنّها من أكثر مراحل الحياة تأزماً لأنها تمثل مرحلة انتقالية، لذا ينبغي تجاوز هذه المرحلة بسلام. وحري بالأب أن يتصرف بحكمة وحذر.

وقد نظر الإسلام إلى ظاهرة البلوغ على أنها ظاهرة غير مجهولة رغم شمولها على بعض الأسرار المقلقة. أما سبب انحراف البالغين فيعود إلى عدم توفير المناخ الملائم لهم أو التسامح المفرط بهذا الشأن.

فالإسلام يؤكد على أهمية هذه المرحلة حتى أن بعض العلماء الكبار (كالسيد ابن طاووس رحمه الله) أكّدوا على ضرورة إقامة الاحتفالات للبالغين وتعريفهم بالموازين الشرعية والأخلاقية. ويعني ذلك ـ في الحقيقة ـ تمهيد الأجواء لهم لدخولهم عالم الكبار والترحيب والاحتفاء بهم.

التغييرات والثورة:

تحصل تغييرات عديدة في مرحلة البلوغ يمكن أن نسميها ثورة في الجسم والمزاج والنفس والعاطفة والأخلاق. إذ يتغيّر كل شيء حتى الذكاء والاستدلال والتعلم والموقف مما يكون من الصعب أحياناً على المراهق نفسه تحمل ذلك.

يقول بعض علماء البيئة ان السبب في فقدان هذا التعادل يعود إلى إفرازات بعض الغدد التي تؤدي فيما بعد إلى حدوث تغييرات في الأخلاق والسلوك وتأثير على الأهداف والإبداعات في القول والعمل، وحدوث اضطرابات وانفعالات مختلفة.

فالوالدان يتصوران بأن أولادهم البالغين قد كبروا عندما يشاهدان قاماتهم الطويلة وأجسادهم النامية فيغفلان أحياناً عن المسائل العاطفية، في حين إنهم لا يزالون أطفالاً بحاجة إلى عاطفة الأب مثلاً. وتتفاعل في أعماقهم أفكار مختلفة تؤدي إلى حدوث تغييرات في علاقاتهم مع الآخرين ومن يحيط بهم.

وبشكل عام يمكن القول بأن تكامل الشخصية وبناء العواطف والشعور والأخلاق، وجميع السمات الإنسانية الأخرىٰ تخضع إلى التغييرات والثورة

التي تشهدها مرحلة البلوغ حتى أن الحياة الظاهرية والباطنية سينالها التغيير أيضاً.

كما ستظهر بعض المشاكل في الأخلاق والسلوك بسبب أعراض البلوغ. وتطغى على المراهقين ظاهرة المثالية فتبعدهم عن الحقائق. ويبرز صراع داخلي خفي وآخر خارجي جليّ مع الآخرين فيبدو للمشاهد انهم قد ابتعدوا عن مسيرة الحياة.

الصداقة وكتمان السر:

يمكننا أن نسمي هذه المرحلة بمرحلة كسب الأصدقاء وقد يتفاعل المراهق مع هذا الأمر كثيراً بحيث ينسىٰ أحياناً أن له أبوين لا بدّ أن يستمع لرأيهما، بل نراه يقدّم أصدقاءه على أبويه فيندفع الآباء مثلاً إلى إصدار أحكام متسرّعة على أولادهم، بأنّهم لا يطيعونهم. وثمّة آباء أمكنهم النفوذ إلى أولادهم فجعلوهم يقدسونهم، لكن هذا ليس صحيحاً أيضاً فينبغي على الآباء أن يحذروا ذلك.

فالصديق مهم جداً في هذه المرحلة ولا بدّ من الحذر حتى لا تؤدي بعض العلاقات إلى فساد الأولاد وانتمائهم إلى جماعات منحرفة واللجوء إلى السرقة وممارسة الجريمة. فالولد يأنس إلى صديقه ويأتمنه على جميع أسراره ويضحّي من أجله.

ثم إن للصداقة نتائج إيجابية عديدة، ولها نتائج سلبية عديدة أيضاً مما يؤكد ضرورة الاهتمام والحذر.

إن ما يُطلق عليه من سرٍّ بين أبناء هذه المرحلة لا يُعتبر سرّاً في حقيقته، وإنما حصل اتفاق بين الطرفين على ذلك. فالبالغون يحاولون إخفاء جميع المسائل حتى عن الوالدين ولا يطرحونها إلاّ على أصدقائهم.

خطر الانحراف والعصيان:

ثمة مخاوف تهدد البالغ، منها: الانحراف الجنسي الذي يتضح بصور مختلفة فتدفعه ضغوط الغريزة لسلوك منحرف.

إن حب الاستطلاع الجنسي والعبث بالأعضاء التناسلية يوفران الأجواء للعديد من الانحرافات مما يستوجب على الوالدين وخاصة الآباء الاهتمام بهذا الموضوع. كما يؤدي الخجل والحياء ووجود الحجب في هذه المرحلة، أو الجرأة الغريزية في أحيان أخرىٰ إلى فساد البالغ وجرّ الآخرين إلى هذا المستنقع أيضاً.

ويؤدي الجدال والنقاش والصراع والبحث عن المكانة إلى إيجاد بعض المشاكل. فالبالغ غير مؤهل عقلياً للتصرف بحكمة في مثل هذه الحالات فيشتد عنده الميل للجدال والنزاع فلا يقدر على ممارسة حياته العادية.

ويصبح جريئاً في بعض الأحيان بسبب رغبته في اكتشاف أسرار مرحلة البلوغ مما يشكّل خطراً عليه.

مرحلة معرفة النفس والحساسية:

إنّ مرحلة البلوغ هي مرحلة معرفة النفس، وحب الذات، والسعي من أجل اكتشاف نفسه والتعرّف على أبعادها الوجودية.

فالبالغ يسلك طرقاً علمية ويفكر مع نفسه بشأن خلقه ووجوده وقوته واستعداده الفكري مما تطرأ بعض التغييرات عليه.

إن سن البلوغ هو سن الحساسية، وسرعة التأثر، فنراه يضطرب ويصرخ لأدنىٰ قلق، ويميل بشدة لإبراز ذاته، ويقف بوجه أية إهانة يسمعها ويلجأ إلى الرفض والمقاومة.

وفي مجال العواطف فإن البالغ يكون حساساً جداً وتصل شدة حساسيته إلى حدٍّ أنه يهلك نفسه أحياناً بسبب انفعالاته. ولا تستقر العاطفة على حال واحد، بل نراه مثلاً يذرف الدموع أحياناً لسببٍ تافهٍ ويكون قاسياً في أحيان أخرىٰ لدرجة أنه لا يبالي حتىٰ بقتل إنسان آخر ولا يشعر بالاضطراب أبداً.

وتشمل حساسيته أسرته أيضاً. فقد تثور ثائرته ويشعر بالاضطراب عندما يشاهد حدوث مشكلة بين والديه، لكنه مضطر لتحمّل ذلك والسكوت عليه على مضض أو إظهار غضبه بطريقة أخرىٰ.

إهتماماته الضرورية:

ينبغي على الأب أن يهتم كثيراً بولده في هذه المرحلة. وأن يرعاه في جميع الأمور الحياتية كطعامه ونومه واستراحته وزياراته ومعاشرته. فمثلاً يحتاج البالغ في هذه المرحلة إلى طعام أكثر بسبب نموّه السريع مما يستوجب توفير ذلك خاصة وأنه يبذل جهداً كبيراً ويحتاج إلى استراحة مضاعفة.

وعليه يجب مراقبة البالغ في خلوته والتعرف على القضايا الممنوعة التي يلجأ إليها. فقد يُسلّي نفسه بالبكاء أو ممارسة العادة السرية أو التدخين أو قراءة الروايات أو أشياء ممنوعة أخرىٰ حيث تؤدي إلى نتائج مأساوية فيما لو غفل الوالدان عن ذلك.

ولا نقصد من الاهتمام أو الرعاية أن تكون ثقيلة على البالغ فتؤثر عليه سلباً وتدفعه إلى ممارسة تلك الأمور بعيداً عن أنظار الوالدين وفي خفية عنهما.

ويتمكن الأب من خلال ذرائع مختلفة أن يحيط علماً بما يفعله ولده البالغ فيكون على بيّنة من أمره باستمرار.

حدود التوقعات:

لا تنتظروا من أولادكم في هذه السنين أموراً كثيراً وإلاّ لواجهتكم مشاكل عديدة. ويجب أن لا تخضع توقعاتكم لرغباتكم العاطفية والنفسية، بل لا بدّ أن تقوم على أسس صحيحة وواقعية.

فمثلاً لا تتوقعوا منه أن يشارككم في همومكم وغمّكم أو أن يتحمل جانباً من أعبائكم. ولا تنتظروا منه أن ينفذ جميع رغباتكم ويمتثل لجميع أوامركم ونواهيكم. بل ولا تتوقعوا منه أن يدرك منزلتكم ومكانتكم كما هي فيحترمكم كما هو شأنكم.

إنّه في عالم مختلف، يتصوّر أنه لا يقل عنكم فيما إذا لم يساويكم في الشأن. ويرىٰ في نفسه أنه يملك فكراً ورأياً وحتىٰ إنّه يشعر أحياناً بأفضلية عليكم بسبب تعلمه لبعض المعادلات التي يعتقد إنكم لا تعرفونها. فينبغي

الحذر على كل حال ورعايته والإهتمام به حتى لا يتجاوز حدّه، أو أن يؤدي به تكبّره إلى الفساد والفضيحة.

التسلية المفيدة:

إن مرحلة البلوغ منذ بدايتها وحتىٰ نهايتها عبارة عن سنتين، حيث ستستقر حالة الولد بعد ذلك فيسير في طريق محدد. لذا ينبغي مساعدته حتىٰ يصل إلى مرحلة الاستقرار. وضعوا له برنامجاً حتىٰ يتغير شيئاً فشيئاً وتهدئ انفعالاته واضطراباته.

وفّروا له قضايا التسلية واطلبوا منه القيام بعمل معين، واصطحبوه أحياناً معكم للتجوّل، ابعثوه في أوقات مناسبة للمشاركة في الاجتماعات الدينية والثقافية وغيرها، وحاولوا أن تملأوا أوقات فراغه، بل واطلبوا منه المشاركة في الاجتماعات الدينية والثقافية وغيرها، وحاولوا أن تملأوا أوقات فراغه، بل واطلبوا منه المشاركة في البرامج الرياضية والمشي، ولو كان في القرية اطلبوا منه العمل في الأرض وفي الزراعة.

وينبغي بشكلٍ عام أن يعمل بصورةٍ يشعر معها بالتعب فينام براحة.

ومن الأمور الأخرىٰ التي تنفعه كثيراً هي المشاركة في مختلف البرامج الدينية وقراءة الكتب الإسلامية التي تعرّفه على وظائفه ومسؤولياته، وتكون خير جليس له في خلوته ووحدته، وعندها يمكن الاعتماد عليه والثقة به والتقدم إلى الأمام بجرأة وشجاعة.

الفصل الحادي والعشرون

الأب والشاب

سنوات الشباب:

تتميز مرحلة الشباب بحساسية خاصة وهي من أهم مراحل الحياة الإنسانية. وقد حددت بالفترة منذ نهايات مرحلة البلوغ وحتى السن السادسة والعشرين. وثمة اختلاف بين المفكرين في هذا المجال حيث اعتبر بعضهم أن مرحلة البلوغ تدخل ضمن سني الشباب.

لكننا سنعتبر في هذا الموضوع أن بداياتها تتزامن مع أواخر مرحلة البلوغ.

إنها مرحلة مهمة في الحياة وقد وصف الإسلام الشباب بأنّه من النعم الإلهية الكبرىٰ وطالب باغتنام هذه المرحلة واستثمارها بأفضل وجه. وقد لا يحصل ذلك إلاّ بواسطة إشراف الوالدين ومساعدتهما وتوجيهاتهما والاستفادة من تجاربهما.

كما أكّد الإسلام على ضرورة قيام الأب باستشارة إبنه واصطحابه معه دائماً ومجالسته، ومجالسة الأم لابنتها.

وبعبارة أخرىٰ فإن الأصل في التربية هو مجالستهم واصطحابهم ومساعدتهم وتوفير النموذج العملي في الحياة اليومية لتربيتهم.

خصائص هذه المرحلة:

لا يمكننا أن نذكر جميع خصائص هذه المرحلة لحاجة ذلك إلى فصول مطوّلة. لكنه يمكن القول باختصار أن هذه المرحلة هي مرحلة السعي وبذل الجهد والاندفاع نحو القوة والتظاهر بها. إنّها مرحلة البحث عن الإستقلال

الكامل.. مرحلة تختلف عن المراحل التي تسبقها أو تلحقها.. مرحلة الإحساس والعاطفة.. مرحلة تشتدّ فيها الحساسية.. مرحلة تتغير فيها القدوة.. مرحلة البحث عن الحرية.. مرحلة مليئة بالانفعالات والاضطرابات.. مرحلة العصيان والتمرّد.. مرحلة كتم السر والعمل السري.. مرحلة الدفاع عن الجماعة والانخراط فيها.. مرحلة تتغير فيها المواقف والأفكار.

صحيح إنكم تعيشون مع أولادكم لسنوات طويلة، لكنكم لا تعرفونهم حق المعرفة، ولم تكتشفوا جميع أسرارهم وخفاياهم. فثمة مجاهيل عديدة لا تزال بحاجة إلى الكشف عنها من خلال بذل الجهد والسعي الحثيث. ويمثّل هذا بحدٍّ ذاته صعوبة بالغة بالنسبة لكم ولأولادكم.

ومن الطبيعي أن تتعقد المسؤولية كلما كَبُر الولد، فلا يمكنكم أن تفرضوا عليه أمراً معيناً أو تقنعوه بأفكاركم. فهو في مرحلة يقدر فيها على اتخاذ القرارات التي تزيد من قلقكم.

مشكلة العلاقة:

إن أهم مشكلة بين الآباء والأولاد هي تمرّدهم ورفضهم لإقامة العلاقة مما يستوجب الحذر والاهتمام، ويبدي الشاب لدىٰ مواجهته لوالده ردود فعل معينة مستلهمة من الأصدقاء أحياناً فيكون من الصعب على الآباء تحمّلها.

قد تؤدي المواجهة بين الأب والإبن أو الأم والبنت إلى إثارة القلق أحياناً واللجوء إلى العنف لدىٰ بعض الأفراد.

إن للنزاعات والصراعات جذوراً لا بدّ أن نبحث عنها في مراحل الحياة الأولىٰ حيث ستظهر تأثيراتها في الحياة المستقبلية. وتعتبر الرغبة في إثارة المشاكل والبحث عنها من الأمور المشوّقة والمشجّعة في هذا المجال. ويدفع حب الإستقلال عند الولد إلى أن يقف بوجه بعض المفردات والتمرّد عليها. وقد تكون الصراعات والاختلافات شديدة بحيث يبدو للمراقب وكأن حرباً شعواء تجري بين الشاب وولي أمره. في حين أن الحقيقة ليست كذلك، وأنه يحب والده حقاً ويحترمه.

المخاطر والأعراض:

على الآباء أن يحذروا بشدة من مخاطر هذه المرحلة، إذ توجد انحرافات عديدة تنتظر أبناء هذه المرحلة عادةً، مما ستنعكس نتائجها على شرف أفراد الأسرة وكرامتهم فيما لو تسامح الآباء في ذلك.

وتعود بعض المخاطر إلى ضغوطات الغريزة التي تؤدي بالشاب أحياناً إلى بعض الإنحرافات. وتشير الإحصائيات (الخاصة بالمجتمعات الغربية) إلى أن ٧٠٪ من الانحرافات الجنسية والفحشاء تختص بالأعمار ١٦ ـ ١٨ سنة. وقد تُبتلىٰ العوائل أيضاً بتلك المفاسد.

ومن المخاطر الأخرىٰ ما يرتبط ببعض العادات المختلفة كالسرقة والجريمة وحياة الرذيلة وممارسة الاعتداء وغير ذلك مما يؤدي إلى إيجاد مشاكل جمّة للفرد والأسرة والمجتمع.

وترتبط بعض المخاطر بتغيّر الأفكار والعقائد والوقوع في فخ الكفر والشرك والإلحاد حيث يعتمد كل ذلك على مَنْ يقوم بالتربية والمعاشرة ومدىٰ نفوذه وتأثيره. ويلجأ الشاب أحياناً إلى مختلف المفاسد والفضائح من أجل الإنضمام إلى مجموعة معينة، ويعد هذا خطراً كبيراً بحدِّ ذاته.

قابلية التغيّر:

يملك الشاب قابلية التغير، فلا يزال قلبه ليناً في هذه المرحلة، ويمكن بناؤه من جديد وإعادته إلى جادة الصواب. ويوصف الشاب علمياً وإسلامياً بأنّه كالخميرة، إذ تؤثر فيه الظروف الخارجية ويكتسب العادات والأخلاق المختلفة. ويكون قادراً على تغيير طريقه وبناء نفسه من جديد.

وخلافاً لبعض التصورات فإن هؤلاء ـ أي الشباب ـ يلتزمون بالأوامر والنواهي رغم أنهم يبدون ظاهراً معارضين لها.

فهم قد لا يقبلون بالنصائح كما يبدو للعيان، لكنهم سيلتزمون بها ويعملون بموجبها فيما لو تحدثتم معهم برفق ولين. ولو تأثّروا بكلماتكم لضحّوا أحياناً بأنفسهم ونزلوا إلى معترك الصراع برغبة واندفاع ذاتيين من أجل تحقيق الهدف الذي وضعتموه لهم. فالأفكار والكلمات مؤثّرة فيهم

حتماً. فقد جاء في الحديث الشريف «مَنْ تعلّم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر».

لذا ينبغي الإهتمام بهذه الميزة واستغلال قابلية التغير عند الشباب وتوجيههم نحو الأهداف المنشودة من خلال دعوتهم وتعليمهم. ولا تنسوا أنهم سيعودون إلى صوابهم فيما لو نصحهم آخرون يحبّونهم فيسمعون كلامهم.

مجالسة الأب:

ينبغي للأب أن يصاحب ولده ويجالسه في كل حالاته حيث ان هناك أساليب معينة تؤثر في الولد عادة.

فقد يجالس الأب ولده ويكون إلى جانبه باستمرار دون أن يؤثر فيه ذلك أبداً، وهنا يجب على الأب أن يحذر هذه الحالة تماماً.

حري بالأب أن يؤثر في ولده وينفذ إليه من خلال حديث معه وإبداء وجهات نظره وإظهار عواطفه وأحاسيسه ومشاعره، وأن يخطو في سبيل إصلاحه وإرشاده، فوظائف الأب عديدة في هذه المرحلة أهمها امتلاكه لقابلية إيجاد تغيير في أفكار الولد وسلوكه.

إذ ان من الخطأ الكبير أن يُعامل الأب ولده كالند والخصم فيضطره للتمرّد عليه وعصيانه. وعليه عوضاً عن ذلك أن يقدم له الأفكار الجيدة ويخطو من أجل ترسيخ عقيدته وبناء عواطفه وأحاسيسه لأن تجاهلها يؤدي بلا شك إلى ظهور مشاكل عديدة.

على الأب أن يبدي استعداداً كبيراً للتعامل مع ولده وأن يستخدم أفضل الأساليب وأحسنها لتحقيق هذا الغرض. فقد ورد عن رسول الله (ص) قوله: «أوصيكم بالشبان خيراً»، فالتعامل السليم والكلام الجميل يؤديان إلى بناء الفكر والنفس وتحقيق الحيوية والنشاط عند الشباب.

الشباب والمسؤولية:

من الضروري أن يُكلّف الأولاد ببعض المسؤوليات الحياتية وذلك من

أجل بنائهم وزيادة خبراتهم وتجاربهم في هذا المجال ولا بدّ أن تبذل الجهود من أجل أن يشعروا بالفخر والاعتزاز جرّاء تحمّلهم لهذه المسؤوليات.

أما إذا فشلوا في أداء تلك الوظائف، فإياكم - والحال هذه - أن تجرحوا كرامتهم أو أنْ تسيئوا إلى شخصياتهم، بل حاولوا تعزيز معنوياتهم وخلق الوازع عندهم لإعادة العمل من جديد.

ولو كان للشباب وجهة نظر معينة ازاء تلك المسؤولية فلا تستبدوا برأيكم لتأثير ذلك سلباً، وبالتالي يؤدي إلى شعوره باليأس من الحياة. إذ ينبغي للشاب أن يكون واعياً في سلوكه كي ينتخب طريقه بشكلٍ صحيح ويمارس مسؤوليته بدقة. وهذا يرتبط بطبيعة تعاملكم معه.

كما يجب على الآباء أن يهتمّوا بالجوانب الأخلاقية عند الشباب وهم يؤدون وظائفهم. فلا توجهوا اللوم للولد الشاب أبداً، ولا تقولوا له بأنكم كنتم كذا وكذا في شبابكم، فليس مطلوباً من الإنسان أن ينجح دائماً في عمله، وعليكم أن تقيّموه من خلال ظرفه ووضعه الخاص، وتوفّروا له الأجواء الملائمة للنمو والتكامل وإظهار استعداداته المختلفة.

البرنامج لوقتُ الفراغ:

فكّروا لأوقات فراغ أولادكم، وخططوا لملئها حتىٰ لا يجدوا الفرصة فيلجأوا إلى الفساد والضياع وتعاطي المخدرات. فالفراغ من أعظم البلايا خاصة للشباب لأنّهم يمتازون بحب الاستطلاع ويحملون أذهاناً نابهة.

كما تؤدي بهم البطالة إلى وضع الخطط والبرامج الفاسدة بسبب قصورهم ذهنياً عن البناء واشتياقهم في الوقت نفسه للقضايا المثيرة فتؤدي هذه الأمور بمجموعها إلى جلب المشاكل لأنفسهم وللآخرين والوقوف موقف المتفرّج ازاءَها.

لذا فإن البرنامج السليم يقيهم من التورط والآخرين بمختلف المشاكل والصعوبات.

ما هو المطلوب من الشاب:

لا تنتظروا من ولدكم الشاب أن يؤدي جميع الأمور كما تطمحون. صحيح أن الشباب يمتازون بطول القامة ويبدون ـ ظاهراً كباراً، لكنّهم قليلو الخبرة والمراس، ويجب عليكم أن تشرفوا على جميع البرامج وتراقبوا تطبيقها حتىٰ تتم عملية الهداية والتوجيه تدريجياً.

فقد لا يحترمكم الشاب كما تطمحون، وعليكم أن لا تنتظروا منه أن يحسب لكم ألف حساب. فمثلاً قد يتطاول عليكم لكنه لا يستهدف ذلك متعمداً. ويعود السبب إلى شعور الشاب عادة بالاستقلال والحرية. وينبغي عليكم أن تعاملوهم باحترام لكي يتعلموا معنىٰ الإحترام.

تحدثوا معهم، وازرعوا عندهم الثقة بأنفسهم وافتحوا أمامهم أبواب الخير وتيقنوا أنهم سيسلكون هذا الطريق.

جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) قوله: «عليكم بالأحداث فإنهم أسرع إلى كلّ خير».

الباب السادس

أساليب البناء

سوف نتناول موضوع هذا الباب في ثلاثة فصول موجزة:

* في الفصل الأول نتحدث عن موضوع الأب القدوة وميل الطفل لتقليده ومماثلته في السلوك ونمط العيش في الحياة. فالأب يمكنه أن ينفذ إلى طفله فيما لو تمكن أن يلفت نظره إليه. وبطبيعة الحال فإنّه مسؤول وينبغي عليه الإهتمام والحذر الشديدين وأن يراقب نفسه.

* أما الفصل الآخر فسنتحدث فيه عن موضوع تنبيه الأب واستدلاله بلغةٍ يفهمها الطفل والحدث لكي يتمكن من خلال ذلك بناء أفكار الطفل وتوجيه سلوكه. ويجب على الأب أن يستخدم الموعظة والدليل المناسب، ويا حبذا لو كانت هذه الأمور في الخفاء لأثرها الكبير على الطفل بَيْدَ أن هذا لا يعني أنه سيماثل أباه كاملاً.

* أما الفصل الأخير فسنتحدث فيه عن موضوع اصطحاب الولد في الزيارات والأسفار والاجتماعات والمشاركة في المجالس والأوساط المختلفة. وتؤدي هذه الأساليب إلى أن يكتسب الطفل المعرفة، ويتفكر ويتدبر ويعتبر.

الفصل الثاني والعشرون

الأب والقدوة

الطفل والمحاكاة:

المحاكاة أمر لا بدّ منه لوجود اعتقاد بأن الطفل يلجأ من خلاله إلى حل بعض مشاكله عن طريق التشبّه ببعض الحالات أو الممارسات لأولئك الذين يعيشون حوله، فنراه يحاكيهم في السلوك ويحقق عن هذا الطريق رغباته.

وتبرز هذه الحالة بشدة عند الطفل لوجود ظاهرة المحاكاة وحب الاستطلاع والبحث عن البطل دائماً وتقديسه وميله إلى لفت أنظار الآخرين وإثارتهم.

فالمهم في التربية هو استقلال هذه الظاهرة من أجل توجيه الطفل واتخاذ أساليب تمكننا من النفوذ إليه وجرّه إلى الهدف الذي ينشده المربي. ويمكن مشاهدة هذه الظاهرة عند جميع الأعمار لكنّها تشتد في السنوات ٤ ـ ٦ لازدياد ميول الطفل الإجتماعية. فلو كان المثال للطفل هو ذلك الإنسان المسالم والمرح لتعلم الطفل منه ذلك. أما لو كان قاسياً لحاكاه الطفل في نهجه أيضاً.

أهمية المحاكاة:

يعتبر الطفل من المحاكين الجيدين ويمكنه ببساطة أن يتعلم بمفرده أموراً معينة من خلال المحاكاة، فهو ينظر ويسمع ويطيل النظر، ويلجأ بعد مدة إلى تكرار ذلك، وقد يكون التكرار أحياناً دقيقاً للغاية بحيث لا يترك الطفل حتى تلك الأمور الصغيرة.

وقد أشارت بعض الأبحاث إلىٰ أنّ الأولاد (الذكور) يحاكون الآباء منذ السن السادسة، وأن البنات يحاكين أمهاتهن.

وتؤثر هذه المحاكاة على الأولاد دون إرادتهم رغم تحولها فيما بعد إلى محاكاة إرادية حيث يكون الطفل واعياً لما يفعله.

فالأطفال يحاولون محاكاة الوالدين في المعايير الأخلاقية والممارسات السلوكية كما يفهمونها ويدركونها ويلتزمون بها كما يشاهدونها. وتشتد محاكاة الولد (الذكر) لوالده كلما زاد عشقه وحبه له. ويحصل ذلك أيضاً بسبب الخوف أحياناً وزيادة نفوذ الأب واقتداره مما يكشف عن وظيفة الآباء ومسؤوليتهم في هذا المجال.

أهمية دور الأب:

يتأثر الطفل خلال مسيرة بنائه وتكامله بأشخاص عديدين فيلتزم بما يشاهده ويسمعه. إذ يعتبر جميع الذين يحيطون به نماذج له، لكن الأب هو الأهم من بينهم.

وتستمر أهميته هذه، حتىٰ مرحلة النشوء حين يصبح الطفل حدثاً.

ويمثّل سلوك الأب كل شيء للطفل في مراحل حياته الأولىٰ فهو درس له في البناء أو الهدم ويتعلم منه الأخلاق.

ويكتسب الطفل من والده الحب والإشفاق والوفاء والإخلاص والشهامة والأدب والتواضع وعزّة النفس وجميع السجايا الأخلاقية الأخرىٰ كالصدق والهمة العالية والفخر والشرف وغير ذلك.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد وصف بعض علماء النفس التربويين أن الطفل يمثل انعكاساً لسلوك الأب وقالوا مقولتهم الشهيرة «أرني طفلك أولاً لكي أقول لك مَنْ أنت».

فطريقة استدلال الأب واستخدامه للمفردات وتعامله مع الأمور وحقده وتكبره وغير ذلك تؤثر كلها على طفله.

لذا فإن الآباء مسؤولون إزاء سلوكهم الشخصي لانتقال سماتهم إلىٰ

أولادهم. ويقومون بدور الموجّه لأفكارهم وسلوكهم ويكونون سبباً لتكامل أولادهم أو تحطيم شخصياتهم.

شروط تأثير الأب:

لا يوجد شك في أن للأب تأثيراً كبيراً على طفله ولكن في ظل شروط معينة، فقد نلاحظ أحياناً أن بعض الآباء لم يتمكنوا من بناء أطفالهم أو أنْ يغيّروهم وذلك بسبب انزعاج الولد من والده.

ومن شروط حدوث تلك التأثيرات أن يكون الأب حاضراً في البيت مع أطفاله وأنيساً ومحبّاً ورفيقاً لهم في اللعب حيث ينظرون إليه على أنه عادل معهم ولا يفرّق بينهم في تعامله أبداً وإنّه قادر على توفير حاجاتهم.

وفي ظل هذه الظروف يمكن للطفل أن يقتدي بأبيه ويحاكي سلوكه، وإلاّ فإنه قد يحاكيه في غضبه وقساوته أحياناً ولكنه لا يكون ثابتاً دائماً لأنه مضطر إلى ذلك ومُكره عليه. ولا يحمل الطفل ـ والحال هذه ـ في قلبه أي حب لوالده ولا يفكر بمماثلته أبداً.

وإنّه لأمرٌ طبيعي أن تفشل جميع الجهود المبذولة في هذا المجال.

التربية بواسطة القدوة:

فلو أراد الآباء تربية أولادهم وتوجيههم لتوجب عليهم أن يكونوا القدوة لهم في هذا الطريق، وإلاّ لكان الفشل حليف أولئك الآباء الذين لا يتطابق قولهم مع عملهم بل سيكون خلافاً لما يأمرون به ولا ينتهون عما ينهون الآخرين عنه.

ولا يتمكن أولئك الآباء الذين لا تسنح لهم الفرصة لإقامة العلاقة مع أولادهم والإرتباط بهم، من تحقيق أهدافهم.

ينبغي للأب أن يكون مثالاً لولده في الإخلاص والشرف واحترام الوقت ورعاية النظافة والإلتزام بالوعود والسخاء والجرأة والصبر. إذ سيكون قادراً على بناء شخصية ولده من خلال تحليه بهذه الصفات ويوفر له الأجواء الملائمة ليعيش عزيزاً كريماً.

ولا يفوتنا أن نحذّر من أنّ الصفات السلبية في الأب ستنعكس على

ولده أيضاً وتدفعه إلى السير في نفس الطريق. فالآباء المنحرفون والمتحللون والمدمنون يؤثرون على أولادهم سلباً، وقلما نشاهد أولاداً صالحين لآباء سيئين.

أثرة القدوة في الأخلاق:

يكتمل البناء الخلقي للطفل تدريجياً وبشكل غير محسوس من خلال محاكاته لوالده إذ ستكون عاقبته إما حسنة أو سيئة.

وقد ذكر علماء علم النفس التربوي ان اتخاذ القدوة يُعتبر أهم عامل في تربية الطفل أخلاقياً. وينبغي لمن يريد أن يزرع في طفله الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة أن يوفر له قدوة صالحة.

الإنسان بطبيعته يحترم العظماء، ويشمل حمده وتضرعه جميع أولياء الله والناس العظماء إضافة إلى معبوده وخالقه.

وينظر الطفل إلى والده نظرة ذات أهمية لأنه يشاهده إلى جانبه في جميع مراحل نموّه فيقوم بجميع الأعمال المدهشة خاصة تلك الممارسات التي تنال استحسانه. لذا فهو يسعىٰ أن يكون والده قدوة حسنة له فيسير خلف المعايير التي يرتضيها ويؤمن بها.

ويحاكي الطفل والده حتىٰ في العادات والتقاليد، فنراه يرغب في المجاملة على شاكلة أبيه، ولبس الملابس كما يلبسها وحتىٰ أن يحاكيه في مواقفه ازاء المشاكل والاختلافات.

نعم، إنه يحاكي والده في كل شيء رغم أنه قد لا يطابقه تماماً. فالفرح والحزن وطريقة الكلام والتعامل مع الأصدقاء والأعداء ومع الزوجة وأفراد الأسرة، والإنفاق، وجميع السمات الأخرىٰ. وبكلمة مختصرة نقول: ان الأب هو الذي يحدد نوع سلوك ولده.

مسؤولية الأب في هذا الطريق:

للأب مسؤولية ثقيلة للغاية ما دام دوره مهماً جداً وينبغي عليه أن يكون مثالاً لما يريده لولده «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم». ويجب

عليه ـ من خلال عمله ـ أن يمنح لولده الفرصة الكافية لينتفع من سلوكه وخلقه.

فما دام الكلام القبيح والبذيء مذموماً فيجب عليه أن يحذر ذلك فلا يذكر منه شيئاً حتى في علاقته مع أولاده وزوجته. ولو أراد من ولده أن يعمل ويتخذ قرارته في الوقت المناسب لتوجب عليه أن يحترم الزمن.

وأخيراً لو أحبّ أن يؤدي ولده الصلاة في وقتها لوجب عليه أن يلتزم بها أيضاً، وأن لا يطرح أعذاراً لتأخير الصلاة.

ولا يختص هذا بالأب فقط، وذلك لوجود أشخاص آخرين ينظر إليهم الطفل باهتمام في حياته ويضاعف من مسؤولية الأب. لذا ينبغي أن يكون الوسط الذي يعيش الطفل فيه والبيئة الاجتماعية التي تحيط به خالية من هذه الدروس السيئة لقابلية الطفل على المقارنة بين عمله والآخرين.

إهتمامات ضرورية:

لو أراد الأب أن يكون قدوة صالحة لولده لتحتّم عليه أن يهتمّ بما يلي:

- أن يحذر من إرسال أولاده إلى أوساط تشتمل على الأخلاق المنحرفة فيتعلمها الطفل.
- عليه أن يشرح للطفل ويوضّح له البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية حتى لا يحمل عنها إنطباعاً سيئاً.
- عليه أن يستهجن ويرفض الأعمال السيئة أمام الطفل فيعتبرها أعمالاً تجلب العار والشنار حتى يرفضها الطفل أيضاً.
- أن يمتدح الأعمال الصالحة أمامه أيضاً حتى يرغب بها.
- أن يكون تعامله مع طفله مؤدباً وقائماً على الإحترام حتى يتعلم الأدب من والده.
- عليه أن يحذر من توتير العلاقة بينه وبين ولده لأنه سيفرّط ـ والحال هذه ـ بالقدوة.
- عليه أن يستفيد من القصص والحكايات في بعض الأحيان فيلفت النظر بشكلٍ غير مباشر إلى الأعمال الصالحة.

الفصل الثالث والعشرون

تنبيه الأب واستدلاله

التعقل والتربية:

جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) قوله: «نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل». إذ لو توقف العقل عن عملية الهداية والتوجيه لأقدم الإنسان على ممارسة أقبح الأمور.

ومن العوامل التي تؤدي إلى سبات العقل وجموده هو تأجيل الإنسان عمل اليوم إلى الغد، فلا يمكنه في هذه الحالة التعويض عن الخسائر التي لحقت به. أو أنه يترك حلّ مشكلة بسيطة مما يعرّض نفسه للأذىٰ، وهذا ما يؤسف له حقاً.

فالتربية الصحيحة لا بدّ أنْ تبدأ في وقتها. فكلما زاد سن الطفل ونموّه، كلما تصلّبت مواقفه ازاء والديه فيرىٰ في نفسه القوة لمقاومتهما، وتصعب ـ والحال هذه ـ عملية التربية.

لا بدّ من تحقيق تربية سليمة منذ البداية لأنّها أسهل بكثير من إعادة البناء. والنجاح حليف ذلك الأب الذي يبادر بسرعة إلى بذل جهده وسعيه في هذا الطريق.

توجيه الفكر والسلوك:

فكما أن الأب مسؤول عن توفير نفقات الطفل في حياته المعاشية، فإنّه يعتبر في نفس الوقت مذكّراً له، ومنبّهاً ومعارضاً ومانعاً له من الإنحراف، ومسلياً له ودافعاً نحو الأمام. فنراه يلجأ إلى الموعظة والنصيحة أحياناً لهداية طفله وإلىٰ القوة والحرمان في أحيانٍ أخرىٰ.

فالمهم هو بناء الطفل وتوجيه فكره وسلوكه وتنشئته كما يرغب بذلك الوالدان. وتقع عليه ـ أي الأب ـ مسؤولية التوجيه ومنحه الفرصة للعمل والاستماع إلى آلامه وهمومه. وأن يعتبر نفسه مشاركاً له في غمّه وفرحه، ويحلّ مشاكله وأخطاءه.

ولكي يوجّه الأب ولده في سلوكه ينبغي عليه أن يقدم له وجهات نظره الإصلاحية والانتقادية من خلال كلمات مؤثّرة ومفيدة حتى يقتنع بها الطفل، وأن يحدثه بلغةٍ يفهمها ويصاحبه في لعبه فيلقنه ما يريد.

ضرورة التوعية:

إنّ توعية الطفل هي من ضروريات التربية، فينبغي عليه أن يدرك ماذا يفعل والمواقف التي لا بدّ أن يتخذها.

فالجهل يفسح المجال للعديد من الممارسات السيئة، ووصف بأنّه عدوٌ للإنسان لأنه يورطه في مشاكل عديدة.

وليس المقصود بالوعي أن يُكَلِّم الطفل بلغة العلم وما يدرَّس في الجامعات، إذ إنه لا يفهم هذا النوع من الكلام. ولكن يمكن التحدث معه بلغةٍ علىٰ قدر عقله لكي يفهم الكلام ويعيشه بوجدانه.

عليه أن يعرف ما هي الأعمال الجيدة والصالحة، وما هي الأعمال السيئة والطالحة. وما هو السبب في اتخاذ الموقف الفلاني وأداء ذلك النوع من العمل.

ويجب على الأب أنْ يتحدث مع ولده ويقدم له مختلف المعلومات من أجل توعيته، وأن يطالبه بالقيام بوظيفته بعد كلّ درس يتعلمه حتىٰ تتضح عنده الصورة، هل إنه تمكن من تحقيق الأهداف التي توخّاها أم لا؟

فلا بدّ أن يشمل الوعي جميع المسائل التي تؤثر على حياة الطفل الآنية والمستقبلية. وأن يتعلم الطفل في حياته الإجتماعية أو الأسرية المفاهيم الأولية للحياة فيكون قادراً على مواصل الطريق في ظل مختلف الظروف والحالات.

ضرورة التنبيه:

يعتبر التنبيه أمراً مهماً ونافعاً. فأنتم تقدمون المعلومات العامة والضرورية للطفل لكنه بحاجة إلى التنبيه والتذكير دائماً حتى لا ينساها ويقوم بتنفيذها. فالإنسان سريع النسيان عادة.

وليس من الصحيح ما يعتقده بعض الآباء والمربين أحياناً أن على الطفل أن لا ينسى تلك الأوامر التي أصدروها إليه أبداً. إذ أن عوامل البيئة والمحيط تدفعه وتضطره إلى التفكير في برامج جديدة في حياته سواء على مستوى الفكر أو العمل. وينبغي تذكير الطفل بين فترة وأخرى ما دمتم تشعرون بأهمية موضوع معين.

ويختلف التنبيه طبقاً لسن الطفل. فقد يكون ضرورياً أن ننبّه الأطفال في السنة الثالثة أو الرابعة مرتين أو ثلاث مرّات يومياً. بينما ينخفض عدد المرات لدى الأعمار ٦ و٧ سنوات إلى مرتين أو ثلاث مرّات في الأسبوع الواحد. وتقل هذه النسبة كلما زاد سن الطفل.

بيد أنه ليس صحيحاً ترك عملية التنبيه لأن التكرار يمنع الخطأ. وهذا أفضل بكثير من اللجوء إلى العقاب بعد صدور الخطأ.

واستناداً لهذا ينبغي أن لا تغضبوا فيما لو لم يلتفت الطفل إلى تنبيهكم، ولا تفكّروا أن ذلك يعتبر إهانة لكم، أو أنه أراد الإنتقاص من شخصيتكم. ولا تنظروا إلى عملية عدم الالتزام بأنّها تمثل نوعاً من الإعلان عن السخط، بل افترضوا أنه أصيب بالنسيان ولم يسمح له اضطرابه الفكري لتحقيق ذلك الأمر. فالأصل هو أن تقبلوا عذره حتى يستمع إلى تنبيهكم دائماً فيعمل بموجبه.

مواعظ الأب:

تعتبر الموعظة والنصيحة من العوامل المؤثرة في العملية التربوية ولهما الدور البارز في عملية البناء. فكلنا بحاجة إلى الموعظة ولا يمكن لأيّ إنسان أن يرفضها إلاّ إذا كانت واهية ولا أساس لها.

فقد تغيّر المواعظ أحياناً مسيرة الحياة، وتوجد نوعاً من الإنشراح والحيوية عند الأشخاص لعثورهم على الطريق وتدفعهم لمواصلته. ويمكننا أن نشير في هذا المجال إلى نماذج للكبار وأخرىٰ للصغار.

والموعظة التي يقدّمها الأب تكون بنّاءة. فالطفل يصدق ما يسمعه منه، ويجب على الآباء أنْ يزرعوا الثقة عند أولادهم كي يطمئنوا بأن آباءه لا يتكلّمون عبثاً ولا يستهدفون خداعهم.

ولكي تؤثر الموعظة في الطفل لا بدّ أن تكون في الخفاء، وأن يتم الإمتناع عن الإعادة والتكرار لئلاّ تفقد الموعظة أثرها، إذ إنّها لا بدّ أن تكون مرة واحدة، وليس صحيحاً اللجوء إلى الإعادة وتكرار الكلام مخافة أن يشعر الطفل بأن والده ثرثاراً في كلامه.

إستدلال الأب:

يمكن للأب أن يستعين بأسلوب الاستدلال من أجل تربية ولده، لكن الطفل قلّما ينتفع به إلاّ عندما يكون بلغةٍ يفهمها ومنطق بسيط، فاستدلال الكبار لا يؤثر في الصغار إلاّ عندما يشعر الطفل أن ذلك لصالحه ومن أجله.

فالطفل لم يصل بعد إلى مرحلة الإستدلال، وليس صحيحاً أن يُفرض عليه ذلك. كما أن هذا الأسلوب لا يؤثر في الطفل إلاّ عندما يصبح حدثاً. ويمكن توجيه الطفل منذ السنة السابعة نحو التفكر والتدبرّ من خلال ذكر بعض الأسئلة والموضوعات أو الإستفسار منه عن بعض التصرفات حتىٰ يشعر بأنّه على خطأ، لكن هذا الإجراء لا يؤثر بشدة.

لا بدّ من استخدام المنطق وأسلوب الاستدلال مع الحدث إضافة إلى الأساليب الأخرىٰ. فمن طبيعته أنه سيرفض كل ما لا يدركه أو يفهمه، وأنه يريد الإلمام بحقائق الأمور ويرغب بإدراكها بحدود فهمه. وطبيعي أن يحتاج ذلك إلى الصبر الذي لا يتمتع به أغلب الآباء.

شروط التنبيه والموعظة والاستدلال:

لا بدّ من الاهتمام بالملاحظات التالية حتىٰ يمكن لهذه الأساليب أن تؤثر على أولادكم:

١ ـ لا بدّ أن تقوم العلاقة بين الأب والطفل على الحب والمودة، وليس صحيحاً أن يشتمل التنبيه على الأمر والنهي، فيكون كالمعول الشاخص فوق الرأس.

٢ ـ على الآباء أن يدخلوا إلى أولادهم من باب طلب الخير لهم وخاصة الأحداث والبالغين والشباب.

٣ ـ ليس صحيحاً التأكيد على الأوامر أمام الأحداث والشباب فتصوّرونها لهم بأنها نازلة من السماء ولا يمكن التنازل عنها.

٤ ـ لا تحاولوا أن تشعروا الولد بالخجل، وعليكم ترك تنبيهه أو نصحه أمام الآخرين.

٥ ـ لتبدأ عملية التنبيه مع ذكر نقطة إيجابية عند الطفل حتىٰ ينجذب إليكم.

٦ ـ استمعوا بصبر كبير إلى كلام أطفالكم كما ترغبون أن يستمعوا إليكم.

٧ ـ إبذلوا جهدكم حتىٰ تكونوا قدوة في ذلك العمل الذي تحثونهم عليه.

٨ ـ إلجأوا إلى التنبيه الغير مباشر لأنّه أكثر وقعاً في أغلب الأحيان.

ورغم هذا كله فلا تشعروا باليأس أبداً، فقد تؤثر الموعظة في يومٍ ما.

ملاحظة مهمّة:

تقتضي وظيفة الأب التربوية أن يبذل قصارىٰ جهده من أجل ولده ليكون إنساناً صالحاً ومفيداً. بَيْدَ انه قد لا يحدث دوماً أنْ يماثل الولد والده فيكون صورةً عنه وذلك لوجود عناصر إنسانية أخرىٰ ـ غير الأب ـ تؤثر في تربيته.

فلا تلجأوا إلى الأمر والنهي المستمرّين، ولا تتشاجروا مع أولادكم

لأنكم ستفقدون مكانتكم أولاً وسيشعر الولد بالضجر ثانياً، إذ أنّ وظيفة الآباء لا تقتصر على الكلمات الرنانة والمواعظ المستمرّة من أجل هداية الطفل، بل تكفي جملة بسيطة واحدة أحياناً لإحداث التغيير المطلوب فلا تحمّلوا أولادكم فوق طاقاتهم.

الفصل الرابع والعشرون

السفر والمشاركة في المجالس

الأسرة والسفر:

إن محيط الأسرة هو محيط صغير يضيق بأفراده خاصة بالنسبة للأولاد. وان الثقافة التي يتلقاها الطفل إنما هي ثقافة محدودة أيضاً، ولا توجد أية مشكلة في السنتين أو الثلاثة الأولىٰ التي يتربّى فيها الطفل في البيت وينشأ فيه. لكن الصعوبة تبدأ مع ازدياد سن الطفل وتجاوزه لمرحلة الطفولة إلى مرحلة النشوء.

وحتىٰ يتهيأوا لدخول معترك الحياة الاجتماعية، ينبغي لأولادنا أنْ يتعرّفوا على المجتمع وثقافة الناس فيطبقوا في الميدان الاجتماعي ما تعلّموه نظرياً أو عملياً في الأسرة.

عليهم أن يدركوا ماذا يفعل الناس؟ وما هي الأحداث في المناطق الأخرىٰ؟ وما هي طبيعة الأفكار والمبادىء الأخلاقية السارية في ذلك المجتمع؟

لذا يجب على الأب أن يصطحب ولده في أسفاره وأن يُشركه في المجالس المختلفة لكي يتعرّف على الضوابط والأعراف في ذلك المحيط، وأن يقدّم له الدروس اللازمة والضرورية لعملية البناء.

عليه أن يعرّف طفله بمواقف الناس المختلفة... وسوف نشير إلى هذا باختصار في هذا الفصل.

فوائد السفر:

ثمة فوائد عديدة للسفر والمشاركة في المجالس والاجتماعات نشير إلى بعضٍ منها فيما يلي:

١ ـ **تحقيق النجاح**: من فوائد هذا الإجراء هو زيادة المعرفة والثقافة. فما أكثر الأمور التي لم يسمع الولد من والده شيئاً عنها سوىٰ اسمها، لكنه الآن يشاهدها بحقيقتها. وما أكثر المواضيع التي تُطرح في محيط البيت، لكنه الآن يسمعها من خلال طرق أخرىٰ.

فمثلاً عندما يصطحب الأب ولده إلى مدينة مشهد المقدسة سيشاهد الولد بعينيه تلك القبّة وذلك الحرم المطهّر للإمام علي بن موسى الرضا (ع) وحب الناس لأهل البيت سلام الله عليهم فيقتبس كل ذلك ويلم به.

وعندما يصطحبه إلى مجلس ديني أو إلى المسجد فإنه سيكتسب معلومات من الخطيب في المجالات الاعتقادية أو المسائل الدينية والفقهية الأخرى مما لم يتحدّث عنها الأب.

٢ ـ **التفكّر والاعتبار**: يؤدي السفر بولدكم إلى التفكّر والاعتبار فيكون سبباً ليعيد النظر في سلوكه وعمله مما يساهم في توفير مقدمات إيجابية لنموّه وتكامله. وثمة مجالات واسعة يتفكّر فيها الإنسان في أسفاره فيكتشف فيها أموراً عديدة، أو انه يتذكر في سفره وسياحته أموراً كان قد نسّيها لكنه تذكرها الآن بسبب الراحة النفسية فيتدبّر فيها.

ولكي يعتبر الإنسان لا بدّ من حدوث مسائل معينة في حياته فيدرك مثلاً أن الكذب لا يدوم ولا بدّ أن يفتضح الكاذب، وما هو مصير الظلم والاستبداد؟ والنتائج المرة التي تنتظر الإنسان عندما يلجأ إلى ممارسات متهوّرة؟

ويستطيع الأب أن يقدم هذه الدروس إلى ولده من خلال السفر والمشاركة في مختلف المجالس والاجتماعات.

٣ ـ **القضاء على الملل**: يصاب الإنسان بالملل أحياناً بسبب العمل الكثير والجهود الفكرية التي بذلها سواء في الدراسة أو في مجالات أخرىٰ.

ويمكن اللجوء في مثل هذه الحالة إلى السفر والتجوّل والترفيه عن النفس وزيارة الآخرين أحياناً والمشاركة في المجالس والاحتفالات الدينية والسياسية من أجل القضاء على تلك الظاهرة. ولا سيما أن الطفل بحاجة إلى مراكز للترفيه حتى يحقق في ظلّها نموّه اللازم. ومن المناسب جداً أن يشارك في مخيمات خاصة لمدة قصيرة بشرط أن يطمئن الأب من صلاحها وسلامتها، لأن الطفل سيتعلم من خلالها أساليب المعاشرة الاجتماعية والاختلاط بالآخرين واتخاذ المواقف.

ومن العوامل المؤثرة الأخرىٰ تجوّل الأب وممارسته للرياضة مع ولده ولكن بشرطين: الأول، أن يشعر الأب بلذة حقيقية وهو يمارس هذا العمل لا أنْ تكون لذته للطفل.

أما الثاني، فهو أن يكون قادراً على أداء ذلك العمل وأن ينتفع منه شخصياً.

٤ ـ **المجالسة والإلفة:** من الفوائد الأخرىٰ للسفر والمشاركة في المجالس هو توفير الأرضية المناسبة لمجالسة الولد وتحقيق الإلفة، ففي الأسفار يجد الأولاد الفرصة المناسبة لإقامة علاقة حميمة مع الأب والأم. فالكلمات الطيبة والممازحة والابتسامات ومرافقة الوالدين توفّر أفضل فرصة للتربية.

ويؤدي السفر أيضاً لأن يكتشف الولد جيداً خلق والده فيكتسب منه ويحاول محاكاته، وما أكثر الدروس العملية التي تكون مصيرية بالنسبة للأطفال فيلجأ الأب إلى تعليم طفله إياها، كما إنه ينتفع منها في مسيرة نموّه وتكامله.

٥ ـ **إكتشاف الطفل:**

وأخيراً فإن مجالسة الأب ومرافقته لولده تمثل الأساس في الحصول على العديد من المعلومات. إذ سيكون الأب قادراً على اكتشاف ولده جيداً والتعرّف على خلقه وسلوكه وانحرافاته أيضاً.

فالمتابعة الدقيقة لحاله وسلوكه من خلال الدقائق التي تصرفونها معه تمثل أفضل وسيلة لاكتشاف بعضكم بعضاً. ويمكنكم ـ والحال هذه ـ أنْ

تتعرفوا على الأمور التي يهواها ويحبّها، وطموحاته وكفاءته إذ ان ذلك يعتبر ضرورياً ما دمتم تريدون التأثير عليه.

فالخطأ التربوي لأغلب الآباء هو أنهم لا يجدون الفرصة الكافية لمجالسة أولادهم والتعرّف عليهم مما يجعلهم محرومين من الأرضية المناسبة للبناء.

إرسالهم إلى المجالس:

من الصعب جداً على الآباء أن يقدّموا لأولادهم كل ما يحتاجونه عملياً وفكرياً. فقد لا تتوفر عندهم الفرصة الكافية، وحتى لو توفّرت، فقد لا يتمتعون بالكفاءة والقدرة العلمية والثقافية المطلوبة.

تتوفر في بعض الأحيان الشروط المذكورة أعلاه لكن الآباء يشعرون بالخجل بسبب نوع العلاقة القائمة، فلا يمكنهم التحدث مع أولادهم كما يرغبون خاصة في تلك المواضيع التي ترتبط بمرحلة البلوغ مثلاً. أو قد يرتبط الموضوع بالآباء شخصياً فلا يمكنهم مثلاً أن يوضّحوا لأولادهم بأن يكونوا مؤدبين معهم فيلجأون إلى الصمت لخشيتهم بأن الأولاد سيعتبرون ذلك نوعاً من الاستغلال لمنزلة الأب ومكانته.

ويمكن تفادي العديد من تلك الصعوبات والمحاذير من خلال مشاركة الولد في المجالس النافعة والمفيدة، كما يمكنكم أن تنسّقوا مع الآباء الآخرين وتطلبوا من المسؤول عن المجلس أو الاجتماع أنْ يتحدث عن ذلك الموضوع الذي ترغبونه. فلو سمع الولد كلاماً من الآخرين لقبل به في حين انه قد يلجأ إلى رفضه فيما لو سمعه منكم.

نصائح تربوية:

إجعلوا من السفر والتجوال صفّاً دراسياً تمارسون فيه مهمة التعليم، ولو قررتم السفر لمدة خمسة أيام مثلاً فخططوا لذلك، وفكّروا بالمواضيع التي يمكن طرحها في القطار، والقصص التي ينبغي سردها ليعتبر منها الطفل، وهذا أفضل أسلوب لترجمة أهدافكم التربوية.

تحدثوا للولد عن كل شيء تجدونه في طريقكم، واذكروا له التواريخ

المختلفة وفوائد الأمور وأضرارها. وكل الملاحظات الأخرىٰ التي يمكنها أن تكون نافعة.

تطرّقوا إلى موضوع معين واستغلّوا الفرصة لأنّها تمرُّ مرَّ السحاب. أو قد تحدث فرص أخرىٰ، ولكن بعد فوات الأوان، أي بعد بلوغ الطفل ووصوله إلى مستوىٰ الأحداث أو البالغين أو الشباب.

إهتمامات ضرورية:

إنّ الهدف من السفر ومرافقة الأولاد لكم خاصة في السنوات السبع الثالثة وإطلاعهم على المشاهد والمناظر المختلفة هو إزالة الهم والغم عنهم أولاً وبناؤهم ثانياً وإقامة علاقة جيدة بينكم وبينهم ثالثاً.

لذا ينبغي الاهتمام بهم وإن تحاولوا ـ طيلة هذه المدة ـ أن تقيموا معهم علاقة طبيعية وسليمة بعيدة عن أي نوع من الاضطراب.

لا تعترضوا عليهم كثيراً، ونبهوهم إلى أخطائهم بشكل غير مباشر، والأفضل أن يكون في الخفاء.

وثمة تأثير كبير لصبركم، فاضبطوا أنفسكم وحاولوا التصرف بشكل سليم حتىٰ لا تخسروا أولادكم خاصة في السنوات السبع الثالثة إذ سيكون من الصعب كسب القلوب وجذبها بعد أن تميل عنكم، بحيث سيكون صعباً جداً أن يألفوكم.

الباب السابع

تعامل الأب مع الولد

سنتحدث في هذا الباب عن نوع تعامل الأب مع أولاده ضمن فصول أربعة:

يتناول فصل منه موضوع الحب والإلفة حيث يبحث تلك العلاقة الحميمة بين الأب وولده وتأثيراتها وفوائدها والحذر من أعراضها السلبية. كما يشير إلى بعض الوصايا والنصائح وضرورة أن يعلن الأب عن حبّه ويكشف عن ذلك لولده.

أمّا الفصل الآخر فيتحدث عن موضوع دعم الطفل وتشجيعه وحاجته إلى ذلك. ثم ما هي مظاهر هذا التأييد، وما هي مساوىء عدم توفره للطفل؟

وسوف نشير ضمن هذا الفصل إلى السعي الذي يبذله الطفل في سبيل نيل ذلك وضرورة الحذر والدقّة.

ويتناول الفصل الثالث موضوع الأب وعلاقته بلعب الطفل. إذ أشرنا فيه إلى أهمية اللعب، وكيف نتمكن بواسطته أن نكتشف الطفل ونوجد عنده قابلية التعلم والإلفة والانضباط.

وتحدثنا في الفصل ذاته عن بعض المحاذير التي ينبغي للأب أن يهتمّ بها.

وأمّا الفصل الأخير فإنّه يتناول موضوع الأب وسرد القصص للطفل، وقد تحدثنا في هذا الفصل عن أهمية القصة ودورها في بناء الطفل خاصة

وأنها تجسد سلوك البطل الذي سيحاكيه الطفل حتماً. وأشرنا إلى ضرورة أن يقدم الآباء على البناء العقائدي لأطفالهم وكيفية ذلك. والوقت المطلوب لهذا الأمر، وحاولنا أن نطرح المواضيع المذكورة بإيجاز واختصار.

الفصل الخامس والعشرون

الحب والإلفة

غريزة الأبوّة:

ثمة سؤال يطرح نفسه هنا، وهو لو أننا قبلنا بوجود الغريزة عند الإنسان، فهل توجد غريزة تسمّىٰ بالأبوّة أو الأمومة؟

للإجابة على هذا السؤال فإنّ بعض علماء النفس يتحدثون عن غريزة الأمومة فقط، فهم يعتقدون بأن خصوصيات الغرائز تصدق بشأن الأم فقط دون الأب.

فغريزة الأمومة هي السبب في أن تهب الأم ـ بشكلٍ معين ـ حبّها لولدها وتهتمّ به، وهذا ما يمكن مشاهدته عند الحيوانات أيضاً بصور متعددة. وهنا سيثار سؤال عن حب الأب لولده وما هو نوعه؟

وفي جوابهم على ذلك قالوا إن أساس حب الأب لولده يقوم على أساس القرب والتعامل والإلفة.

فالآباء يحبّون أولادهم بموجب هذا الأساس، وان الطفل بحاجة إلى هذا الحب، ويبحث عنه في محيط الأسرة، والحق فإنّ الأسرة تمثل مصداقاً للحب الحقيقي السعادة الناشئة بسببه.

الأب وحب الولد:

ينبغي للأب أن يحتضن ولده منذ اليوم الأول لولادته ويقيم معه علاقة تقوم على الحب والإلفة، ويكون معه حميماً لتأثير ذلك وبشدّة على روحية

الطفل وبنائه وعلىٰ روحية الزوجة أيضاً، لإدراكها بأنّ ولدها نال قبولهما معاً ودعمهما في نفس الوقت.

يجب على الطفل أن يشعر بأن والديه أو القائمين على تربيته يهتمون به ويحبونه وراضون عنه ومسرورون به، وانه ينتظر من والده أيضاً أن يشمله بحبه ويربيه ولا يفرق بينه وبين باقي الأولاد في الحب والعاطفة والرعاية بل يلتزم بمبدأ المساواة في ذلك.

ولكي تتحقق هذه الأمنية يجب أن يخصص الأب بعضاً من وقته اليومي لهذا الغرض فيتسامر مع طفله ويتحدّث معه ويُعرِب له عن حبّه ووده. ويقوم ببنائه ويمهد له الأجواء ليسلك طريق الخير والصلاح وليكون موافقاً في بنائه العاطفي مع المجتمع.

ضرورة ذلك للطفل:

لا بدّ أن يشعر الطفل بأن والده يحبّه، فيكون مستعداً للتضحية من أجله. وسوف يندفع لاحترام والده والآخرين ويتعامل معهم بحرارة. بل إنه سيسعىٰ ليكون جيداً وسوياً حتىٰ يكسب حب الأب.

ويمثل هذا الحب بالنسبة له الغذاء الروحي الذي لا بدّ أن يتجدد باستمرار وإلاّ لشعر الطفل بالإحباط في هذا الطريق.

فولدكم بحاجة إلى حبكم حتى يكون إنساناً سعيداً في الحياة؛ وإنّ هذا الحب هو أساس الحياة وضروري أيضاً للبناء العاطفي والأخلاقي.

ولكي يحقق الطفل هدفه فإنه بحاجة إلى حب الأب الذي يوفّر له الأجواء المساعدة ليكون عميقاً في تعامله مع الأمور وقادراً على حلّ المشاكل.

وكلّما يشتد حبّه لولده، كلّما تشتد رغبته في محاكاته وأن يكون رجلاً مثله وعلى شاكلته. فلو أدرك الطفل أن شخصاً يحبّه لأحبّه أيضاً أو خفّفَ من عداوته له.

النتائج والفوائد:

ثمة نتائج عديدة لحب الأب وإلفته لولده منها انها تدفعه نحو حياة أفضل وبناء أوسع. والحب هو أساس سلامة الجسم والنفس، وإن انعدامه يؤدي إلى ظهور العديد من الانحرافات السلوكية بل وحتىٰ قسوة القلب.

يزرع حب الأب عند الولد شعوراً بالأمن ويدفعه نحو ضبط السلوك ويجعله قادراً على نفسه. إدعموا ظاهر المحاكاة عنده كي تكون سبباً لمحاكاة والده والسير على خطاه في الحياة.

فالحب والرعاية يدفعان الطفل إلى الصبر على سلوك والديه والقبول بذلك برغبته، ويلتزم بأوامرهما وينتهي عن نواهيهما، وينفذ توجيهاتهما ويثق بهما ويجعل سلوكه كما يرغبان.

أعراض الحرمان من الحب:

يمكننا أن نشبّه الحب بالمغناطيس فنراه يجذب الناس نحوه. وان المحروم منه كمثل ذلك الإنسان الذي لا يرتبط بأي رابطة فيكون هذا سبباً للعديد من أشكال التفسخ والمصائب، وأساساً للعداوات والصراعات.

وقد أظهرت الدراسات أن الطفل الذي يتمتع بحب أفراد أسرته منذ طفولته ويألفهم ويقضي أوقاتاً ممتعة معهم، يكون ـ إلى درجة كبيرة تقريباً ـ إنساناً عطوفاً ومحبّاً للآخرين. وعلى العكس من ذلك فقد أشارت الإحصائيات المنتشرة عن المجتمعات الغربية أن المحرومين من الحب والإلفة سينحرفون حتماً في المستقبل ويلجأون إلى العنف.

إنّ حرمان الولد من الحب يؤدي به إلى التمرد والعصيان بل وحتىٰ إلى الفشل الدراسي. وتحدثت الإحصائيات أن ٤٤٪ من الراسبين في ألمانيا إنما هم من المحرومين من حب الأب وعاطفته. ويمكن لهؤلاء الأشخاص حتى أن يقفوا في وجه أصحاب المناصب والنفوذ ويقاوموهم.

لقد أظهرت بعض البحوث أن مثل هؤلاء الأطفال سيصابون بأمراض نفسية، إذ سيؤثر ذلك على البناء العاطفي ويتوقف النمو العادي والعضلي؛

وينبغي القول بأن اليتيم حقاً هو ذلك الطفل الذي يشعر بأنه لا يملك أي موقع في قلب والديه.

كما ذهبت تلك البحوث إلى أبعد من ذلك عندما تحدثت عن إصابة الطفل ببعض الأمراض بسبب عدم تجلّي الحب ووضوحه رغم ممارسته فعلاً.

فيجب على الأب أن يبتسم لولده ويُعرب له عن حبّه حتىٰ يلمس الطفل ذلك ويشعر به. وبغير ذلك فإنه سيصاب بالكآبة والاضطراب الفكري والسلوكي.

نصائح بشأن إظهار الحب:

أكّد الإسلام كثيراً على حب الطفل وضرورة إظهار ذلك، فمثلاً وصيته بشأن تقبيل الولد. وسوف نشير فيما يلي إلى بعض الروايات والأحاديث الواردة عن النبي (ص) والأئمة المعصومين عليهم السلام:

١ - ورد في السيرة عن الرسول الأكرم (ص): «وكان النبي إذا أصبح مسح على رؤوس وُلْده».

٢ - جاء عن الإمام الصادق (ع) قوله: «إنّ الله عزّ وجل ليرحم الرجل لشدّة حبه لولده».

٣ - جاء عن الرسول الأعظم (ص) قوله: «أحبوا الصبيان وارحموهم فإذا وعدتموهم ففوا لهم، فإنهم لا يرون، إلاّ إنكم ترزقونهم».

٤ - ورد في الحديث الشريف: «أكثروا من قبلة أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة مسيرة خمسمائة عام».

٥ - ورد في الحديث الشريف: «مَنْ قبّل ولده كتب الله عزّ وجل له حسنة ومن فرّحه، فرّحه الله يوم القيامة».

وبشكلٍ عام ينبغي للأب أن يكون صميمياً في علاقته مع ولده فيعرب له عن حبّه، وفي الحقيقة فإنه يرغبه في إبداء أحاسيسه ومشاعره.

الحب دليل الرحمة:

إنّ حبّ الأب للولد دليل على رحمة الخالق ورعايته؛ وفي الحقيقة فإن القلب الخالي من الحب لا تدركه الرحمة الإلهية أبداً.

فقد جاء رجل إلى رسول الله (ص) فشاهده يقبل الحسن والحسين عليهما السلام فقال له: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً. فقال الرسول (ص): مَنْ لا يَرحم لا يُرحم.

نعم، فالدين الإسلامي يؤكّد بأن الرحمة واللين يؤديان إلى جلب رحمة الباري جلّ وعلا، وأنّ سيئي الأخلاق لا تنالهم الرحمة الإلهية. ولذا يجب الإهتمام بالصغار وتقديم الحب لهم إذ أن تقبيل الطفل وإظهار الحب له لا يمثّل عيباً أبداً، بل إنّه عمل صالح يدلل على عطف الأب ورجولته.

نوع الحب:

لا بدّ أن تكون المحبة بمستوىٰ سن الطفل، وينبغي مراعاة بعض الأصول في كل مرحلة سنيه. فلو كانت المحبة لا تنسجم مع العمر لأصبح الطفل فاشلاً في حياته وفاقداً للاستقلال والجد والمثابرة. إذ أنّ أكثر الأطفال الخجولين لم يحصلوا على الحب الكافي الذي يناسب أعمارهم رغم تربيتهم في أحضان آبائهم.

يجب على الطفل أن يلمس الحب ويتذوّقه ولكن بشرط أن لا يحرفه ويجرّه إلى السقوط في الهاوية أو أن يكون بسبب جماله وحلاوة لسانه، بل أن يكون بمستوىً يقدر الطفل من خلاله أن يشعر بالسعادة والانشراح فيرضىٰ بحياته.

لا بدّ أن نكون صادقين في حبنا للطفل، فلا نلجأ إلى التمييز بين هذا وذاك بسبب المكانة أو الموقع، فنتجاوز الحدود المرسومة لنا وعندها سيسلك الطفل طريق التملّق والرياء من أجل نيل محبتنا.

موانع الحب والإلفة:

قد تبرز بعض الحالات التي يضطر فيها الأب إلى الامتناع عن إحاطة طفله بحبّه أو أن يبدي له ذلك. وهذه الحالات والموانع هي:

- الإمتناع عن قبول الطفل بسبب جنسه، كرغبة الأب مثلاً في الولد الذكر أو البنت بينما يولد له خلافاً لرغبته.
- عدم شرعية الطفل وسلوكه تكون سبباً لإصابة الأب بخيبة الأمل.
- قبح الوجه حيث سيشعر الأب بأنه غير قادر على التفاخر.
- المشاكل العائلية التي تصل تأثيراتها إلى الأطفال أيضاً.
- الإنهماك في العمل مما يُفقِد الأب فرصة الجلوس مع ولده.

ولكن رغم كل ما قلناه فإن الولد يعتبر ضيفاً عندكم، وإنكم السبب في مجيئه إلى هذا الوجود. فعليكم أن تحترموا الضيف خاصة وأنه يمثل وديعة الخالق عندكم.

الفصل السادس والعشرون

الدعم والتشجيع

تربية الطفل:

تقوم تربية الطفل على أصول ومبادىء لا بدّ للوالدين أنْ يلتزما بها، كتوعيته بالقضايا الضرورية حتىٰ يدرك كيف يتصرف، والتعامل معه بإخلاص لكي يشعر بالحب والإلفة فيكون مستعداً لإقامة العلاقة معهما، والتأكيد عليه بأن يلتزم بتطبيق الضوابط والقوانين لأنّها ضرورية لنشأته ونموّه، والاهتمام به في جميع أموره من أجل سلامته وتحقيق تكامله.

فالطفل جاهل بطبيعته ولا يميز بين الأمور التي تنفعه أو التي تضرّه في الحياة. وإنّه قاصر عن اتخاذ المواقف الصائبة ولا يدري هل يكرر العمل الفلاني أم انه قبيح وينبغي تركه؟

وتقع المسؤولية في مثل هذه الحالات على المربي الذي سيتخذ الموقف المناسب فيرشد الطفل نحو حقيقة الأمور.

حاجة الطفل إلى الدعم:

يحتاج الطفل إلى الدعم من أجل أن يدرك موقعه ودوره وسلوكه. فلو نال سلوك الطفل السليم استحسانكم لشعر بالتشجيع ذاتياً ولجأ إلى تكرار ذلك العمل وتوصل إلى الهدف الذي يبتغيه من سلوكه. أما إذا حصل العكس فلم يبالِ المربي بما قام به الطفل لكانت النتيجة شعور الطفل باللاإبالية ازاء عمله.

إنّ حاجة الطفل إلى الدعم والتشجيع هي لكي يطمئن إلى عمله

ويشعر بالثقة بنفسه فيقوم بممارسة دوره بجدٍ، وهذا ما لا يتحقق إلاّ من خلال ثناء الوالدين.

ينبغي أن يشمل هذا الدعم والثناء جوانب أخرىٰ كجماله، وعقله وذكائه وفهمه وإدراكه. فمثلاً يجب على الأب أن يمتدح طفله ويثني عليه لأنّه عاقل وقادر علىٰ الفهم والإدراك والقيام بأعمالٍ معينة.

وأظهرت التجارب أن هذه المواقف تُبني الشخصية وتُشبع الميول والرغبات وتدفع الطفل نحو تصرفات عقلانية. والعكس صحيح أيضاً إذ ان اللوم والتحقير ونعت الطفل بصفات كالبلادة والتخلّف تدفعه نحو الجهل والحمق. وعندها سيصدق تدريجياً أنه غبي ومتخلّف فيسمح لنفسه بالتجاهل وعدم الفهم.

مظاهر الدعم:

يمكن للدعم أن يكون على صور عديدة منها الثناء والتشجيع والتبسّم وقول كلمة «أحسنت» وإحتضان الطفل وتقبيله وغير ذلك، إذ ان هذه الأساليب تشجّعه وتمهّد له الأجواء في المستقبل لممارسة مختلف الفعاليات.

كما أن دورها في بناء الطفل يفوق دور المنطق والاستدلال إذ أن الطفل لا يمكنه أن يدرك المنطق الصحيح والحجج البالغة وأنه أشدّ ما يتأثر بالأمور التي يشاهدها ويلمسها، وسوف يلتذ الطفل من أعماقه بهذا التشجيع ويشعر بالسعادة بسببه.

إنّ الثناء والمديح لا يؤثّر في الطفل فحسب بل إنّه يؤثر في الكبار أيضاً. جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) في عهده إلى مالك الأشتر قوله: «ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة».

وبشكل عام ينبغي أن لا ننسىٰ أن الطفل بحاجة إلى امتداح تصرفه المناسب. ويجب على الأب أن يلبي هذه الحاجة لا أنْ يكبتها، ويقوم

بتنميتها بسبب تأثيراتها التربوية النافعة العديدة لكي تكون سبباً في احترام الطفل لكم.

تأثيرات أخرىٰ للدعم:

يمكن للدعم والتشجيع أن يكونا عاملين مهمين في التربية والبناء فيما لو استخدما بشكل صحيح. ويمكننا أن نسميهما بالمعلم لأنهما تدفعان الطفل إلى التغلب على المشاكل والصعوبات التي تعترضه فيتعامل معها بشجاعة وهمّة عالية.

ويوفّر دعمنا للطفل الأجواء الملائمة للّعب ويقوي عنده قدراته الخلاّقة وينمي استعداداته المختلفة. فيجد نفسه محبوباً في عالمه حتى أنه ينسىٰ العديد من مشاكله الحياتية وأحزانه وهمومه.

إنكم توجّهون الطفل ـ من خلال هذا العمل ـ نحو الخير والفضيلة ومواصلة هذا الطريق، وتدفعونه ـ من خلال إرشاده وإثارته ـ للتقدم نحو الأمام والسير نحو الاستقلال. لذا فإن عملكم هذا يؤثّر على شخصية الطفل الذي يجد في نفسه الجرأة المطلوبة في كل حالاته.

مساوىء فقدان ذلك:

أما لو فقد الطفل التشجيع المطلوب فإنه سيفقد الثقة بنفسه لإنجاز عمل ما، وسوف ينشأ عنيداً وجاهلاً، ولا يهمه إلاّ رضاه من أجل القيام بذلك العمل وستكون تصرفاته سيئة ولا تؤثر فيه جهودكم شيئاً.

إننا نرىٰ أن بعض الآباء لا ينطقون ولا حتىٰ بكلمة تشجيع واحدة لأولادهم حتى عندما يكونون راضين عنهم مما يؤدي ذلك بالطفل إلىٰ الشعور باليتم. وإن المَنْ والتفاخر والابتعاد والتخويف، أسباب أخرى لتحقيق هذا الشعور عنده. وينبغي القول بأنّ هذه الممارسات ـ وخلافاً للتصوّر السائد ـ لا تحقق نفوذ الأب إلى قلب الطفل أبداً بل تسيء إليه وتضرّه.

فالأبُ المثالي يحاول بواسطة الدعم والتشجيع أن يزرع الثقة عند طفله

بأن يحكم على عمله الفلاني بأنّه صحيح وسليم، وإذا ما مارسه مرة أخرىٰ فسوف ينال دعمه أيضاً.

وهذا هو أفضل إسلوب لزرع الثقة بالنفس عند الطفل وملء قلبه بالحب. وسوف يزداد إيمانه واعتقاده بذلك العمل وتنخفض نسبة تأثيرات العوامل المؤدية إلى الحسد.

موارد الدعم والتشجيع:

يمكن اللجوء في الموارد التالية إلى دعم الطفل وتشجيعه:

- عندما يلجأ الطفل إلى عمل معين يكون ـ ظاهراً ـ فوق طاقته.
- عندما يُنجز الطفل العمل المكلف به بمهارة فائقة.
- عندما يكون وسط مجموعة معينة فيمتدح الآخرون أولادهم بينما لا يوجد مَنْ يمتدحه ويشيد به. ومن الضروري ـ في مثل هذه الحالة أن يستذكر الأب نقطة إيجابية في حياة طفله فيذكرها ويمتدحه بسببها.
- عندما يكون الطفل في ظرف يفتقد فيه إلى الجرأة والإقدام وأداء عمل معين، فيقف خائفاً حائراً. وسوف يؤدي الدعم والتشجيع في مثل هذا الظرف إلى إنقاذ الطفل من حالته.
- عندما تراود الطفل الوساوس للجوء إلى العصيان والتمرّد فيقضي دعم الأب وتشجيعه على تلك الوساوس.

وأخيراً فإنه ينبغي الدعم والتشجيع متىٰ ما كان الطفل حزيناً ويشعر بعدم الإرتياح بسبب كثرة التكاليف والوظائف، أو إنّه تعرض للعقاب فيجب مواساته.

الجهد الذاتي للطفل:

يحتاج الطفل بذاته إلى الدعم والتشجيع فنراه يبذل جهده وسعيه من أجل نيل ذلك. وما الرياء وحب الظهور إلاّ تعبير عن حاجة الطفل إلى الدعم، ولكنّ الآباء والمربين يغفلون عن ذلك عادة.

ويمكن إدراك هذه الحاجة من خلال أسئلة الطفل المتعددة، وإلحاحه عليكم لتسمعوا له ولجوئه إلى مقاطعة كلامكم وعشرات المواقف الأخرى.

حاولوا بشكلٍ مباشر أو غير مباشر أن توفروا مقدمات تشجيع الطفل حتى لا يشعر بالحاجة إلى اللجوء لمثل هذه المواقف، وإنّ عملكم هذا يؤثر بشدة على نشأة الطفل وتكامله، علماً أنّه ستظهر في هذه الأثناء بعض التأثيرات الأخرىٰ التي يحتاج إليها الطفل في حياته اليومية.

إهتمامات ضرورية:

ثمة اهتمامات ضرورية في موضوع الدعم والتشجيع لا بدّ من الالتفات إليها وأهمّها:

١ ـ أنْ لا يتخذ التشويق طابع الرشوة فيستعين به الطفل لإنجاز وظائفه.

٢ ـ أن لا يكون التشجيع بدون سبب بل يجب أن يكون بمقدار معين يتناسب مع قابلية الطفل.

٣ ـ لا بدّ من الاهتمام بنوع العبارات والكلمات والمكافآت المخصصة في هذا المجال.

٤ ـ لا بأس من اللجوء إلى التشجيع أمام الآخرين ولكنّ تكرار ذلك يؤدي إلى بروز ظاهرة الرياء عند الطفل.

٥ ـ أن يكون الدعم والتشجيع مقروناً بالاحترام ولكن بشرط أن ينتبه الطفل في نفس الوقت إلى نقاط ضعفه.

٦ ـ إنّ الهدف من التشجيع هو بناء قدرة الطفل وكفاءته فينبغي الحذر عملياً حتى لا يحدث أي تناقض بين الهدف والممارسة.

٧ ـ لا بدّ أن يتمّ التشجيع وفق برنامج مدروس وعلى ضوء ضوابط معينة لكي يحسب الطفل لذلك حساباً.

٨ ـ ينبغي الإنتباه إلى أن التشجيع المفرط يكون خطيراً في بعض الأحيان، إذ ستزداد توقعات الطفل منكم ويكون ذلك سبباً لإقدامه على ممارسات سلوكية سيئة.

ويشكل عام نقول:

لا بدّ من مراعاة حدّ الوسط في جميع الأمور.

الفصل السابع والعشرون
الأب ولعب الطفل

موضوع اللعب:

اللعب هو ذلك العمل الذي تصاحبه الحركة والنشاط، وبذلك الجهد والطاقة حيث يشغل حيزاً مهماً في حياة الطفل ويرتبط بوجوده. ومن خلاله يتسلىٰ الطفل حتى انه ينسىٰ أحياناً تناول طعامه. ويؤثّر اللعبُ علىٰ الطفل كثيراً، ويمكننا أن نصفه بأنّه أساس حياته بل كأن الطفل لا يستهدف شيئاً آخر سواه.

وبسببه يشعر الطفل باللذة التي تملأ نفسه ويعتبره هدفاً مقدّساً بالنسبة له. وبواسطته يشعر الطفل بالاستقرار.

ولا توجد أية حاجة لنا لندفعه نحو اللعب ونشوّقه به، إذ إنّه يبحث عنه دائماً ويفكّر به وسوف يشعر بالأذىٰ فيما لو منعناه عنه.

أهميته للطفل:

يعتبر اللعب مهماً للطفل لأنّه يؤدي إلى بنائه جسمياً واكتسابه الكفاءة والخبرة وقوة الأعضاء. وبواسطته يتخلّص من الاضطراب، ويتعلّم دروس الحياة، ويفتح أمامه الآفاق للإبداع.

ويمكننا أن نقول عنه أنه كالجسر الذي يربط الطفل بالحياة ويخرجه من صومعة الطفولة إلى معترك الحياة والعمل والفعالية.

وإنه يصور له العالم الذي يعيشه ويبنيه عاطفياً، وهو أفضل وسيلة تجعل الطفل يدرك مسؤولياته، وتنقذه من التشرّد والخمول والكسل.

وبواسطته تتقوىٰ إرادة الطفل وتنمو قابلياته في القضاء والتحكيم، ويتعلم دروساً في الأخلاق ويزيد من ذكائه وعزمه.

ويمكن في ظله بناء الأخلاق وتعلم قواعد الانضباط وتوجيه الطفل نحو الأهداف المنشودة، وبواسطته يتمرّن الطفل على العمل ويتحرّك في الطريق الذي نبتغيه، وانه وسيلة لاكتشاف هذا العالم وظواهره المختلفة، وبسببه يشاهد الطفل عوالم جديدة تقف أمام ناظريه، وتتغير تصوراته عن الظواهر ويسير تدريجياً في الطريق الصحيح.

اللعب واكتشاف الطفل:

اللعب وسيلة لاكتشاف عالم الطفل المجهول والتعرّف علىٰ عالم وجوده، وثمة صفات عديدة وممارسات مختلفة كالحب والبغض والحقد والعطف لا يمكن أن يكتشفها المربي إلاّ في ظل اللعب فيشاهد لعبه مثلاً معه أو مع الآخرين.

ويكشف الطفل من خلال لعبه عن شخصيته فيتبين هل انه قائد أو مقود، وصبور أم عجول، وهادىء أم حاد المزاج، ونشيط أم كسول، وضعيف أم قوي، وكفوء أم فاشل، وقلق أم مستقر، وعدواني أم مسالم، وهل يحمل أفكاراً جميلة أم لا؟ وغير ذلك من السمات، ويمكن - من خلال تشخيص الحالات - العمل على إصلاح الطفل وإنقاذه من الأعراض السيئة ودعم الجوانب الإيجابية، بل ويمكن اتخاذ اللعب علاجاً لمختلف الاضطرابات التي تصيب الطفل.

اللعب والأدوار المختلفة:

يتسلىٰ الطفل في لعبه - سواء كان فردياً أم جماعياً - بممارسة أدوار مختلفة والتمرن عليها. فنراه يحاكي أدواراً عديدة، وهذه العملية بحدّ ذاتها جيدة للتمرن على الفعاليات ويمكنها أن تساهم في المستقبل في بنائه وتكامله وممارساته للعمل.

ويسعىٰ الطفل في اللعب الجماعي أن يختار ذلك الدور الذي يكون قادراً على أدائه بشكلٍ جيد مما يؤهله للمشاركة في النشاطات الإجتماعية.

وما العمل في أوساط المجتمع إلاّ عبارة عن مجموعة من التمارين لنشاطات إجتماعية مختلفة حيث يكتشف كل شخص دوره ويسعىٰ للقيام بوظيفته.

ويتعرّف الأطفال خلال اللعب الجماعي أيضاً على الضوابط في الحياة الإجتماعية ويتعلمون طريقة التعامل مع الآخرين والأسلوب الأفضل لتعلم القوانين والقرارات. كما ويهتدي الطفل ـ خلال لعبه الجماعية ـ إلى كيفية احترام الآخرين ورعاية حقوقهم. وسوف يشعر بالسعادة لأنّه يؤدي وظيفته ضمن المجموعة.

الأب واللعب مع الطفل:

لا شك أن اللعب هو من المواضيع التربوية المهمة وينبغي للأب أن يلعب مع ولده ويسعىٰ إلى بنائه ويزيل عنه تلك الأعراض السيئة والاضطرابات السلوكية. فقد جاء عن رسول الله (ص) إنّه قال: «مَنْ كان له صبي فيتصاب له». وجاء عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) قوله: «من كان له ولد صبا».

فالأب يلعب مع طفله لتنشأ بينهما الإلفة ثم يداعبه ويسعده ويجعله نشيطاً ويأنس به ويكتشف عالمه الداخلي ويزيل قلقه وتأثره.

نعم فاللعب مع الطفل يُعتبر مهماً للغاية بشرط أن يكون ذا هدف تربوي. ويتمكن الأب من خلاله أن يعلم ولده مختلف الدروس والمبادىء والأعراف والتقاليد. وأن يوجهه نحو جادة الصواب والبناء الفردي والاجتماعي.

ويجب على الأب أيضاً أن يحث ولده على أنْ يتحدّث معه وهو يلعب لكي يكشف له عن أفكاره وطموحاته ومشاكله وما تواجهه من أمور خارج نطاق البيت وفي المدرسة ليكون مطلعاً على وضعه.

الربح والخسارة في اللعب:

لو سلمنا بأن اللعب ينفع الطفل في بنائه لتوجب علينا أن نفكر بأساليب تجذب الطفل وتجرّه إليه. ومن تلك الأساليب موضوع الخطأ

والصح، والربح والخسارة. وينبغي أن يعلّم الأب ولده من خلال اللعب ويرشده إلى الطريق الصحيح ويحذره من الأخطاء.

ولكي ندعم الطفل ونبني معنوياته لا بد أن يقوم الأب باختلاق بعض المواقف التي يبدو فيها الطفل هو الفائز على والده والوالد هو الخاسر فيشعر بالفخر والثقة بنفسه. أما لو كانت هزيمة الأب مستحيلة لشعر الطفل باليأس ولتنفّر من اللعب.

اللعب والانضباط:

يمثل اللعب للطفل درساً يتعلّم منه القانون والإنضباط وهذا أدنىٰ ما نتوقعه من اللعب ولا بدّ أن يلتزم الطفل من خلاله بالانضباط والقواعد والأصول.

وينبغي عليكم أن تنظموا حركات الطفل وسلوكه ونشاطه من خلال لعبه، وأن ترشدوه إلى الطريق الصحيح، وتعلمونه ما ينفعه وتحثونه لقبول القواعد والمبادىء، وأن يراعي الآخرين.

أجعلوه يقتنع بالفشل ويتحمل الخسارة أحياناً ويعتبر هذا الأمر ضرورياً لكل إنسان لأن الحياة لا تعني الفوز والنجاح دائماً.

ويمكن بواسطة اللعب أيضاً تهذيب تطرّف الطفل ووقاحته فيدرك عملياً أنه لا يقدر أن يفعل ما يشاء وكيفما يشاء.

لُعَب الأطفال:

ثمة حاجة في بعض الأحيان لتوفير بعض اللُعَب للأطفال من أجل بنائهم الفكري والذهني ورفع مستوىٰ الكفاءة والخبرة والمهارة عندهم، فالطفل بحاجة إلى تلك اللعب مهما كان سنّه وعقله.

لكنّ الشيء المهم هو اختيار هذه اللعب، فلا داعي للتفكير بلُعَب غالية الأثمان أو أنْ توفروا تلك اللعبة التي ترغبونها أنتم؛ يجب أن تمتاز اللعب بخاصية دفع الطفل نحو التفكير والعمل والنشاط، وأن لا تثيره وتهيجه، فثمة لُعب تَضرّ الأطفال ولا تنفعهم أبداً لأنها لا تقوم بأي دور سوى أن يقف الطفل ليتفرّج عليها.

إهتمامات ضرورية:

نشير فيما يلي إلى بعض المحاذير والاهتمامات التي ينبغي مراعاتها في موضع لعب الأطفال:

١ - إن اللعب مفيد للطفل، بَيْدَ أن علينا أن نمنعه منذ السن الخامسة من الإفراط فيه، وأن نمهد له الأجواء ليتعامل مع بعض الأمور الجدية والمهمة.

٢ - لا بأس من ممارسة اللعب مع الطفل ولكن بشرط عدم الإفراط حتىٰ لا يصاب الطفل باللاإبالية ازاء هذا الأمر فيضطركم تدريجياً حتى ينفذ صبركم.

٣ - من الضروري أنْ يمارس الطفل الألعاب المرحة وتلك التي تعيد إليه نشاطه ولكن بشرط أن لا يصاب بالهيجان لأنه يؤدي إلى ضعف الأعصاب والنوم القلق.

٤ - علّموا الطفل من خلال اللعب ما ينفعه واحذروا أن يلجأ إلى إثارة الضوضاء وإلحاق الأذىٰ بالآخرين والعبث وتحطيم الأشياء.

٥ - إلعبوا مع الطفل وداعبوه ولكن احذروا أن يعتدي علىٰ القانون ويرفض الضوابط.

٦ - يكون اللعب مفيداً للطفل متى ما لم يكن قسراً أو بالإكراه.

٧ - لا تحقدوا على الطفل بسبب لعبه ولا تلحقوا به الأذىٰ لذات السبب وإلاّ لفرطتم بدوركم التربوي.

٨ - ليكن اللعب هادفاً حتىٰ يتعلم منه الطفل دروساً عديدة تعوض عن تلك الدروس التي تقدّم بشكلٍ مباشر.

الفصل الثامن والعشرون

الأب والقصة

أهمية القصة:

تعتبر القصة واحدة من العوامل المهمة والمؤثرة في التربية ويتأثر الأطفال بل وحتىٰ الكبار بها. ويمكن من خلالها الإشارة إلى مواضيع ومبادىء عديدة لكي يلتزم بها الناس ويعملون بموجبها.

وتثير القصة عند الطفل إحساساته وعواطفه، وتوجه أطماعه التي لا حد لها. وتقضي على تكبره، وتحذره بشكل غير مباشر من أخطائه الأخرىٰ، وتوفر أجواء ملائمة للقيام بالعملية التربوية.

فجميع الأطفال يفرحون لسماع قصة ما ويتعلمون منها شيئاً معيناً، وتثير القصص عند الأطفال عادة مشاعرهم وتدفعهم ليقلدوا ما يرد فيها من خلال ما يستوحونه منها. لذا ينبغي تخصيص الوقت لذلك خاصة لو علمنا بأن الطفل يتعلم منها أحياناً بمقدار ما يتعلمه من كتاب آخر يستغرق ساعات عديدة لقراءته.

القصة من أجل التربية:

إنه لأمر جميل حقاً أنْ يستفاد من القصة في تحقيق الأهداف التربوية خاصة وأن الأطفال لا يتثاقلون منها بسبب أسلوبها الغير مباشر. فهم سوف لا يصابوا بأية ردود فعل عندما يدركون بواسطة القصة بأنهم أساؤوا بسبب الخطأ الذي ارتكبوه.

ويمكننا من خلال القصة أن نعلّم الطفل مبادىء وأصول عديدة

ومهمة، فمثلاً يمكنكم أن تعلموه آداب تناول الطعام ونوع التعامل مع الآخرين وكيفية النوم والاستراحة ومسؤوليته إزاء نفسه والآخرين، وكيف يستفيد من أعضائه ومختلف الوظائف والمسؤوليات الأخرىٰ.

ويستطيع الطفل أن يحصل على معلومات مفيدة ونافعة من خلال إصغائه إلى القصة دون أن يزاحمه أحد. ومن الضروري أن تستعين الأسر التي لها أطفال صغار بالكتب المصوّرة لأنها تبني عندهم أفكاراً جميلة. كما انّهم يفرحون كثيراً عندما يشاهدون الصور الجميلة ويسمعوا المصطلحات الجديدة والأمثال التي تمرّ عليهم مسبقاً.

القصة وتجسيد البطل:

يسبح الطفل في بحرٍ من الخيال الواسع ويجسّد في مخيلته تلك المشاهد التي ينقلها إليه والده في قصصه سواء عن الإنسان أو الحيوان، ويتصوّر نفسه البطل لتلك القصة، ونراه يحاول محاكاة البطل في سلوكه وممارساته خاصة لو استحسن سلوكه وتأثر به إيجابياً.

ويندفع نحو النشاط والعمل والاختراع وسلوك طرق جديدة وأساليب مستحدثة. فالقصة توجّه الطفل بشكلٍ غير مباشر إلى ذلك الهدف التربوي المنشود.

وثمة ملاحظة مهمة، وهي أن الأطفال يتأثرون بكل ما يعجبهم ولا يملكون قابلية التشخيص (التمييز) بين الأمور النافعة والمضرّة بالنسبة لهم. كما لا يهمهم أيضاً أن يستمعوا إلى القصة من أبيهم أو من وسائل الإعلام، لذا ينبغي الحذر والاهتمام بدقة لهذه الأمور.

القصة والأخلاق والانضباط:

يتعلم الطفل من القصة دروساً في الأخلاق والانضباط والإلفة. فما أكثر الدروس الأخلاقية التي لا يتأثر بها الطفل فيما لو استمع إليها بشكلٍ نظري في حين إنها ستضفي تغييرات على سلوكه فيما لو طرحت على شكلٍ قصة.

فلو أردتم أولاداً منضبطين وملتزمين فما عليكم إلاّ أن تعلموهم أصول

الانضباط وقواعده منذ صغرهم وتبينون لهم ذلك من خلال القصص التي تسردونها لهم. إذ يمكنكم والحال هذه أن تعلموهم مبادىء عديدة تفوق مئات الكتب والدروس.

وأخيراً يمكنكم من خلال القصة أن تألفوا أطفالكم وتأنسوا بهم وتمهّدوا لهم الأجواء لممارسة الفضائل، فالطفل يأنس بكم ويرتبط معكم بعلاقة حميمة ويصادقكم ويطلبكم دوماً بسبب القصص التي تذكرونها له. ويمكنكم في هذه الحالة أن تؤثروا فيه وتنفذوا إليه وتجعلون مطيعاً لأوامركم. وإن أوامركم ونواهيكم تدفعه نحو الشرف والتقوىٰ والصلاح والنزاهة.

شروط القصة:

ينبغي أن تكون القصص المقدمة للأطفال نافعة ومفيدة وهادفة وموجهة. وأن تساهم كل واحدة بزيادة نضجه وتكامله.

ويجب أن تكون بمستوىٰ سن الطفل وإدراكه وفهمه وتلبّي حاجاته الأساسية في الحياة فتزول الحاجة إلى طرح الأمور بشكلٍ مباشر. وأن يكون الطفل قادراً ـ بسببها ـ على تقييم حاله (حاضره) وماضيه والتفكير بمستقبله.

لا بد للقصة أن تكون بعيدة عن بعض الخرافات كالجن والعفريت والأمور الأخرىٰ التي تثير الرعب والخوف عند الطفل وتضطره لمشاهدة أطياف موحشة. كما ينبغي لها أن لا تكون من النوع الحزين أو العنيف والخالية من الحب والعطف والشفقة والرحمة، وأن لا يتعلم الطفل منها دروساً في التطاول على الآخرين والغضب والوقاحة ومفاهيم سلبية أخرىٰ.

ينبغي أن تكون القصص واقعية ونابعة من الحياة لكي يتمكن الطفل من مشاهدة مثيل لها في المجتمع، ويمكن الاستفادة أحياناً من بعض قصص الحيوانات ولكن بشرط عدم الإفراط فيها.

القصة وتعليم العقيدة:

إننا نعتقد بضرورة أن يقوم الأب بترجمة دورة كاملة من قضايا الدين

والعقيدة إلى قصة يقدمها لطفله بمدة زمنية بحدود عشر دقائق في كل ليلة قبل نومه. فمثلاً يتحدث له عن رحمة الخالق جلّ وعلا وعنايته وقدرته وخلقه ومظاهر عظمته، وأن يبيّن له قصص الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين، ومبادىء الدين وآدابه، وأن يوضح له عظمة النبي (ص) وخدماته وحروبه وكذلك الأئمة الطاهرين عليهم السلام وعملهم وغير ذلك.

ولو تمكّن الأب أن يقوم بهذا العمل في كل ليلة بمدّة عشر دقائق فقط لاستطاع خلال ثلاث دورات سنّيه (سبع سنوان لكل دورة) أن يعلم ولده أصول العقيدة ويطلعه على المعرفة الدينية والاعتقادية الضرورية ويجعله خاضعاً لتأثيره حتى مرحلة النشوء أو البلوغ.

ضرورة تخصيص الوقت:

نعلم جيداً أن التربية إنما هي عملية مكتسبة ولا يمكنها أن تتم تلقائياً، لذا ينبغي على الوالدين أن يخصصا وقتاً لهذه العملية. وقد جاء الإسلام ليؤكّد على ضرورة الإتزان في العمل وبذل الجهد من أجل أن يجد الإنسان الفرصة الكافية فيتابع شؤون أولاده وينظم حياته ويعوض عن القصور والتقصير في هذا المجال.

فالعمل جيد ولكن بشرط أنْ لا يُبعد الإنسان عن هدفه الأصلي. والهدف من العمل إنما هو للحصول على لقمة العيش التي تهب الإنسان قوة ونشاطاً فيكون قادراً على بناء نفسه وأولاده. لذا يجب عليكم أن تخصصوا ساعة لتحقيق هذا الغرض مهما كانت ظروفكم، وأن تنظموا أوقات فراغكم وتستغلوها لصالح بناء الطفل وتكامله.

محاذير ضرورية:

لا بدّ أنْ تكون القصة بمستوىً عقل الطفل وعاطفته. وأن تُستَغَلّ الفرص السانحة في الحياة، والحوادث الحاصلة في المجتمع والممارسات الحياتية المختلفة، فتكون دروساً بنّاءة للطفل.

من الضروري أن تكون القصص واقعية ولكن لا داعي لإِحراج أنفسكم كثيراً. إذ يمكنكم أحياناً أن تختلقوا بعض القصص التي تحقق أهدافكم،

وأن توجهوا الطفل نحو تلك الأهداف من خلال ذكر بعض المشاهد الأخلاقية والمواقف الإنسانية.

فالقصة هي فرصة جيدة لبناء الطفل وفق السلوك الخاص الذي تبغونه. وينبغي أن تنتبهوا في هذا الطريق إلى ثبات شخصية الطفل والتحذيرات الضرورية التي لا بدّ من تقديمها له حتىٰ يمكنكم أن تشاهدوا الآثار العملية لذلك على حياة الطفل. وأخيراً نقول إياكم أن تدفعوا الطفل إلى الإشمئزاز من سماع القصص والنفور منها، لأن أهميتها لا تعدّ ولا تُحصىٰ.

الباب الثامن

علاقات الأب في الأسرة

يتحدث هذا الباب عن علاقات الأب مع أعضاء الأسرة وكيفيتها ونوعها. إذ سنتحدث عن العلاقة مع الزوجة والبنت والإبن، والمعاقين. حيث ينبغي للأب أن يقيم علاقة إنسانية وأخلاقية خاصة مع زوجته في محيط الأسرة بحضور الأطفال. فالطفل يشعر بالسعادة تجاه الاتحاد الموجود بين الوالدين، والعلاقة الحميمة التي تربطهما والتعاون المبذول في مختلف شؤون الأسرة.

ويجب عليه أن يقيم العلاقة المطلوبة إسلامياً مع أولاده الذكور والإناث ويراعي في ذلك اختلاف الجنس. فقد أكّد الإسلام على ضرورة بذل اهتمام أكبر بالبنت خاصة، وأنه يمثل أملها في الحياة، وله دور متميّز في بنائها النفسي.

كما أكّد في نفس الوقت على ضرورة تربية الأولاد الذكور وإرشادهم، وأنْ يكون الأب قدوة صالحة بالنسبة لهم.

وحري بالأب أن يهتم بأولاده المعاقين والمرضىٰ. وأن يقبل بهم ويبذل جهده من أجل معالجتهم وبنائهم، وأن يكون إلى جانبهم في جميع مراحل حياتهم. عليه أن يربيهم تربية خاصة ويزرع في قلوبهم الأمل حتى يمكنهم المساهمة في عملية البناء، وأن لا يبخل عليهم بشيءٍ من ذلك.



الفصل التاسع والعشرون

العلاقة مع الزوجة

الرجل في الأسرة:

إنّ للرجل في أسرته أدوار متعددة، فهو زوج لزوجته وأب لأطفاله، وملاذ ومعين لجميع أفراد أسرته، يحقق الأمن لهم ويدافع عنهم. وينبغي عليه أن يتخذ المواقف المناسبة التي هي من شأن العقلاء لتحقيق تلك الأدوار. فالأسرة ترغب بمشاهدة مواقفه عندما تواجههم الصعوبات والمشاكل، ومعرفة الأساليب التي يمارسها. فلو مُني بالانهزام النفسي عندما تواجهه حادثة معينة أو اتخذ موقفاً خاطئاً لترك ذلك أثره على أفراد أسرته. وبعبارة أخرىٰ فإن معنويات أفراد أسرته إنما ترتبط بمعنوياته شخصياً.

يبرز هذا الدور للأب منذ الزواج وخاصة في مرحلة الحمل، إذ تدفع مشاكل الحمل وصعوباته بالمرأة إلى البحث عن ملاذ لها وملجأ، ولا يمكن أنْ يحقق ذلك سوىٰ الرجل.

ويشعر الأولاد منذ اليوم الأول الذي يدركون فيه مكانة الأب في الأسرة بدوره المهم في الإشراف على العائلة وحمايتها، ويحسبون لذلك حساباً.

الوحدة مع الزوجة:

يرتبط تنظيم الأسرة بالنظام الذي تتبعه، ويقف الأب على رأس هذا النظام، لأنّه رب الأسرة وموجهها، ولكن في العوائل المثالية لا يوجد رئيس ومرؤوس بل إن الكل مسؤول حسب دوره وقدرته.

ولكي يمارس الأب مسؤولية الأبوّة عليه أن يحافظ على الوحدة مع زوجته وينسّق معها ويدفعان أولادهما معاً لأداء تلك الوظائف الأخلاقية والتربوية. وقد أظهرت بعض الدراسات أن سبب انحراف ٧٠ ـ ٩٠٪ من الأطفال الجانحين في المجتمعات الغربية يعود إلى عدم وجود الوحدة في الرأي والاتفاق بين الأب والأم في محيط الأسرة.

فوحدة الوالدين في الفكر واتفاقهما في الممارسات الأخلاقية يؤثران بشدة على تحديد مستقبل الطفل وإلاّ فإنّه من غير الصحيح أن يحسب الطفل حساباً لأحد والديه ويعتبره مسؤولاً عن تحقيق الانضباط وتنظيم الأسرة.

ويجب على الأب قبل غيره أن يفكر مع زوجته بموضوع تربية ولدهما ويختارا له الطريق الصحيح. وعليهما أن يقررا على أداء الفرائض الدينية أمام أنظار الطفل وأن يمتنعا عن إبداء غضبهما والصراخ والهيجان، الاتفاق في قراراتهما.

مظاهر الوحدة:

يمكن القول ان للوحدة مظاهر عديدة منها قلة الأوامر والنواهي، والاتفاق في التوجيه، والدعم المتبادل، والتغاضي عن المشاكل والاختلافات. فلو أصدر الأب أمراً معيناً لولده لتوجب على الأم أن لا تنقضَ ذلك. العكس صحيح أيضاً.

يجب على الأسرة أن تكون نواة للوحدة بين الزوج وزوجته. وبغير ذلك فإنها ستتفكك وتنهار ويصاب الأطفال باضطرابات سلوكية.

ولكي يتحقق هذا المعنى، حري بالزوجين ـ وخاصة الرجل ـ أن يتغلبا على أهوائهما. وهذا دليل على الشجاعة «أشجع الناس مَنْ غلب هواه» ـ الإمام علي (ع).

ويجب على الرجل أن يبادر لتحقيق هذا الأمر ويمهد، الأجواء لتحقيق الإصلاح والإحسان. فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته... فقد أوكله الله عزّ وجل ناصيتها وجعله القيّم عليها».

إحترام الزوجة:

أكّد الإسلام على ضرورة أن يحترم الرجل زوجته، حيث ورد عن رسول الله (ص) قوله: «من اتخذ زوجة فليكرمها»، وانه لجميل حقاً أن يتم ذلك بمرأىً من الأولاد حتىٰ يشعروا بالسعادة والانشراح ويكون ذلك درساً لهم يفهموا من خلاله أنّ عليهم الحذر بسبب وجود اتفاق في وجهات النظر بين الأب والأم.

وقد ورد عن الرسول الأعظم (ص) قوله: «حق الولد على والده إذا كان ذكراً أن يستفره أمه» إذ سيشعر بالثقة بالنفس ويكتشف أنه يجب عليه أن يطيع أمه كما يطيع أباه مما يؤثر كثيراً على تحقيق انضباط الطفل والتزامه بالقرارات.

ومن جانب آخر، فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» و«ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي».

فلو قام تعامل الأب مع زوجته على مبدأ الاحترام والحب لنظر الأطفال إلى ذلك نظرة إيجابية بل لسلكوا سلوكاً إنسانياً مع زوجاتهم في المستقبل.

التعاون في شؤون البيت:

نعلم جيداً أن تقسيم العمل في البيت جعل من المرأة مسؤولة عن إدارة شؤون البيت بنفس مستوىٰ مسؤولية الرجل خارج البيت خاصة في المجال الاقتصادي. لكنّ هذا لا يعني أن يمتنع الرجل عن المشاركة في أعمال البيت أيضاً.

يجب على الآباء - رغم مسؤولياتهم ووظائفهم خارج البيت - أن يساعدوا زوجاتهم في شؤون البيت الداخلية لإظهار سمة التعاون والإلفة. وسوف يكون ذلك سبباً لتوفير الفرصة الكافية للزوجة لإنجاز أعمالها أو إنها ستبذل جهداً أكبر من أجل إبداء كفاءة أكبر.

إننا لا نريد القول إنه ينبغي للأب أن يبدّل ملابس الطفل، لكنه ليس عيباً فيما لو فعل ذلك، لأنه ولده وعليه أن يتحمّل بعضاً من مسؤوليته في

هذا المجال. وأن يوفر المناخ الملائم لئلاّ تشعر الزوجة بأنّها وحيدة ولا ملاذ لها، ولا معين. وكذلك الطفل أيضاً.

إنّ مساعدة الرجل زوجته في شؤون البيت تزرع الأمل عند الزوجة، وتدعم موقعها ومكانتها، إذ ستشعر بالفخر والاعتزاز بكونها محترمة من قبل زوجها. وسيكون هذا درساً في الأخلاق والإنسانية ينفع الأولاد كثيراً في حياتهم المستقبلية.

التعامل والعلاقات:

يؤثر تعامل الرجل مع زوجته ونوع السلوك المستخدم بشدّة على معنوياتها وعلى أخلاق الأولاد وسماتهم السلوكية، فقد يؤدي ذلك مثلاً إلى تمتين أواصر الأسرة وتشييد بنائها أو على العكس من ذلك فإنّه يؤدي إلى تصدّعها وانهيارها.

ينبغي للرجل أن يقيم علاقات حسنة داخل البيت لكي تشعر الزوجة بالأمل بزوجها ويطمئن الأولاد إلى والدهم.

وإنه من الخطأ الفادح أن يلجأ الرجل إلى استخدام قدرته مع زوجته والافتخار عليها. وقد ورد عن رسول الله (ص) قوله: «اتقوا الله في الضعيفين المرأة والمملوك». وجاء عنه (ص) أيضاً: «عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد إلى الله عزّ وجل أحسنهم صنيعاً إلى أسرائه».

فالتعامل مع الزوجة بإحسانٍ وبخلق حسن يؤثر كثيراً على التربية العاطفية والأخلاقية للأولاد، بل ويقضي على جذور العنف عندهم. وان الأخلاق الحسنة للأب تهدم في كثير من الأحيان الحواجز الموجودة بينه وبين زوجته أو أولاده وتنمّي عندهم الصفات الحسنة والفضائل الحميدة.

الحفاوة والشكر:

يدرك الآباء جيداً أن المرأة في الأسرة المسلمة ليست كالخادمة للزوج تقوم بمهة طبخ الطعام وغسل الملابس فهي عندما تمارس هذه الأعمال فإن ذلك تفضّلاً منها، وعليه يجب على الزوج أن يحتفي بها ويشكرها بصدقٍ وإخلاص. كما يجب عليه أن يعلم حتى بتلك الأعمال التي تمّت في غيابه

فيشكرها عليها. لأن هذا الشكر يدفع بالمرأة إلى الظن بزوجها خيراً والاطمئنان إليه والثقة به، بل وسوف يزول عنها أحياناً شعورها بالتعب والضجر والسأم.

فسعادة المرأة في الحياة هي أن تجد زوجها مهتمّاً بعملها عارفاً بجهودها وتضحياتها. وإن شكر الرجل لزوجته يضيء تلك الزوايا المظلمة في قلبها ويزرع فيه شعوراً بالأمن والثقة والإيثار والتضحية.

اهتمامات ضرورية:

إن الأساس في الحياة الأسرية هو أن لا يبرز أي تصرّف سيء بين الرجل وزوجته ولا يلجآن أبداً إلى تبادل الكلمات البذيئة لأن القلوب ستصاب في هذه الحالة بالانقباض والانكماش ولا يمكن التخلّص بسهولة من آثارها السيئة.

وقد تختفي تلك الآثار بسرعة في بعض الأحيان، لكنّ آثارها ستبقىٰ عالقة كما يبقىٰ لون الحبر عالقاً بالملابس.

ينبغي أن تقوم أخلاق الرجل على أسس دينية، ويدفع التذبذب في الأخلاق والممارسات للشعور بالقلق، وضعف العلاقة وإحساس الزوجة بالمظلومية في محيط الأسرة.

ويتأثر الأطفال كثيراً بهذا الأمر ويعتريهم القلق والاضطراب ويسأمون حياتهم. فيجب على الأب ـ من خلال سلوكه الرزين مع زوجته ـ أنْ يخلق الإحساس عند الطفل بأنّ العلاقة الزوجية إنما هي علاقة مقدّسة لا يمكن التفريط بها بسهولة. لذا يجب أن تكون التصرفات مدروسة، وأن تتم المشاركة في جميع الأمور كالأفراح والأحزان حتىٰ يمكن توفير أجواء البناء والتكامل لتلك الأسرة.

فالأب الذي يصرخ في وجه زوجته إنما يُلقّن طفله درساً سيئاً فيجعله لاأبالياً ازاء الأسس الأخلاقية والمبادىء الإنسانية.

وإن الرجل الذي يعرب عن تنفره من زوجته إنما يقوم بجرح مشاعر

أطفاله وعواطفهم. فالزوجة مهما كانت ستبقىٰ أُمّاً لهؤلاء الأطفال الذين يحبّونها ويعتبرونها جزءً من وجودهم.

وبشكلٍ عام تقتضي المسؤولية الإنسانية ـ وهي من لذائذ الحياة ـ أن يتعامل الرجل في بيته بالصفح والتسامح ويتّسم بالنصرة والإعانة والمشاركة في الأفراح والأحزان حتى يكون فخراً لأعضاء أسرته يتعلمون منه الدروس التي توفّقهم في الحياة وتدفعهم نحو الأمام.

الفصل الثلاثون

العلاقة مع البنت

الإسلام والبنات:

ينظر الإسلام إلى الأولاد أنهم ودائع الخالق جلّ وعلا بأيدي الآباء والأمّهات والمربين. ويجب على الجميع أن يقوموا بوظائفهم في متابعة شؤونهم والدفاع عنهم وإرشادهم، وأن يحققوا تلك النتائج المرجوة ويوفروا سبل النمو والترقي في جميع المجالات.

ولا يوجد أي فارق بين البنت والإبن في هذا الشأن. وليس من الإسلام تلك الأفكار التي يؤمن بها بعض الآباء إذ يضعون الفوارق بين الذكور والإناث. فالولد الذكر لا يمتاز عن البنت بشيءٍ أبداً ولا يحقّ للوالدين أن يكسرا قلب البنت أو يحرمانها من بعض الأمور.

ولكي تزول هذه النظرة التفضيلية، أكّد الإسلام على الآباء بضرورة الاهتمام بالبنت والوقوف إلى جانبها. وقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «خير أولادكم البنات» و«البنون نعمات والبنات حسنات» وإن الإنسان محاسب على النعم ومثاب على الحسنات.

أُخبر الرسول (ص) بأن زوجته ولدتْ بنتاً فرأىٰ في سيماء أصحابه آثاراً للكراهية وعدم الرضىٰ فقال لهم: «ريحانةٌ أشمّها ورزقها على الله. كما جاء عنه (ص) أيضاً قوله: «مَنْ عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة».

حاجة البنت إلى الأب:

تشعر البنت بحاجة ماسة إلى الأب، ولكن إلى أبٍ عطوفٍ يتسم بسلوكٍ لائق يكون أهلاً للإحترام حتىٰ يمكنها أن تتخذه قدوة لها. إنها بحاجة إلى أب تثق به يكون سنداً لها لكي تستلهم منهم وتفتخر به وتحبّه.

فالبنت بحاجة إلى أب يحقق الانضباط والأمن والعدالة، ويكون قادراً على تحدّي صعوبات الحياة وحلّ مشاكلها ولا يشعر بالبؤس وسوء الحظ. ويحذّرها فيما لو ارتكبت خطأً معيناً.

إنها تريد أن يكون أبوها رجلاً بمعنىٰ الكلمة وعادلاً وقادراً علىٰ إزالة الظلم والتمييز عنها حتىٰ ينال رضاها وودّها. إنها تريده أن يدرك روحها اللطيفة وأحاسيسها الرقيقة التي تختلف عن الولد الذكر، وأن يجعلها جريئة ومستقرة الحال. إنها تريده أن يكون قادراً على إدراك مشاعرها خاصة في مرحلة البلوغ فيعاملها كالأم ويمهّد لها الأجواء لتسلك سبل الخير والفضيلة.

موقف الأب ازاء البنت:

لا يختلف موقف الأب ازاء ابنته عن موقفه إزاء إبنه إلاّ بشيءٍ واحد هو أن البنت أكثر حساسية من الولد الذكر فينبغي ـ والحال هذه ـ أن لا يؤذيها أو يجرح عواطفها بل يهيأها لقبول مسؤولية الأمومة.

ورغم وظيفة الأب في عدم التفريق بين البنت والولد لكنّ كفة الميزان ينبغي أن تميل لصالح البنت. لذا نرىٰ أن الإسلام يؤكّد على الأب بتقديم الهدية إلى البنت أولاً ثم إلى الولد، أو أن يكتفي بتحذيرها وإرشادها دون معاقبتها. وذلك من أجل أن تنشأ نشأة صحيحة.

حري بالأب أن يوفر أرضية الشجاعة للبنت من خلال ذكر جملٍ معينة لكي تتقدم وتسير نحو الأمام، وأن يشوّقها لتقوم بأداء وظائفها ومسؤولياتها في الحياة. ويستطيع الأب أن يزرع الثقة عندها من خلال تمجيده لسلوكها وأدبها وخلقها لتكون قادرة علىٰ مواصلة حياتها.

فهي بنت في الوقت الحاضر لكنها زوجة وأم في المستقبل. ويجب

عليها أن تكون إنسانة ملتزمة وناضجة، ولا بدَّ من توجيهها نحو الأعمال المنزلية وتشجيعها والثناء على عملها لكي تشعر بالثقة بالنفس.

الهداية والتربية:

من وظائف الأب إزاء إبنته هدايتها وتربيتها تربية سليمة تؤهلها لتحمل مسؤولية الأمومة وإدارة شؤون البيت وتربية الأولاد.

ويجب عليه أنْ يثقفها تلك الثقافة التي ستحتاج إليها في المستقبل، ويكون دليلاً لها في الفكر أيضاً حيث يقوم بناءِ أفكارها وعقائدها، وينمّي استعداداتها الخاصة، ويوفر لها مجالات النضج والنمو والشعور بالمسؤولية.

كما أنه من الضروري أن يلجأ الأب إلى تشجيع ابنته على إدارة شؤون البيت وتنظيمه، والتمرّن على العمل ورعاية الأطفال والاهتمام بقضايا المطبخ. وأن يكون ذلك مصحوباً بالاهتمام بدراستها حتىٰ تكتسب الوعي والثقافة.

في التعامل:

قد تخطأ البنت أحياناً أو تنحرف كما الولد الذكر، وبلا شك إنه يجب الوقوف بوجه الأخطاء والانحرافات.

ولكن تعامل الأب مع البنت يختلف عن تعامله مع الولد الذكر، إذ ليس صحيحاً أن يلجأ الآباء إلى الخشونة مع البنات رغم تأثيره الآني وحل المشكلة حلاً مؤقتاً. فالسلوك الخشن مذموم بذاته وسوف يزداد قبحه فيما لو مارسه الأب مع ابنته.

إن عاطفة البنت وخصوصياتها النفسية لا يمكنها أن تتحمل هذا السلوك أبداً، وإنّه لعمل مثير للإشمئزاز أن يلجأ الأب إلى صفع ابنته أو لكمها أو ركلها. وإنّه سيؤثر سلباً عليها وعلىٰ مستقبلها.

بل يجب - في موارد عديدة - أن يغفر الأب وقاحة ابنته، ويسامحها على أخطائها ويتعامل معها بلطفٍ وعطفٍ وحب، ولا يسمح لتساقط دموعها. وثمة أحاديث عديدة تحذرنا من اللجوء إلى ضرب البنت أو إجبارها على البكاء.

إظهار المحبة للبنت:

يجب على الأب أن يُظهر حبّه لابنته فيحتضنها في سنوات الطفولة الأولى ويمسح بيده على رأسها ويقبلها ويواسيها عندما تبكي. فإظهار الحب والعاطفة يؤثر بشدّة على النمو العاطفي للطفل ويجعله إنساناً لائقاً ويجعل من البنت أمّاً حنوناً.

وينبغي الحذر في سنوات النشىء والبلوغ ـ رغم ما قيل عن إظهار الحب والوجود. فالروايات الإسلامية مثلاً تحذّر الأب من إحتضان ابنته في هذه المرحلة أو إجلاسها في حضنه أو على ركبته لأن ذلك قد يكون مثيراً بالنسبة لها.

وعلى الأب أن يُشبع إبنته حبّاً وعطفاً في محيط البيت لكي لا تشعر بالحاجة إلى حب الآخرين. فقد أظهرت دراسات المحققين أن الإحساس بالقصور والنقص في الحب هما أساس العديد من الانحرافات.

القضايا الممنوعة:

ثمة مسائل عديدة ينبغي على الآباء أن يلتفتوا إليها في تربية أولادهم وخاصة البنات، منها ما يرتبط بالمعاشرة والأكل والشرب والملبس والسلوك وغير ذلك.

فسوء الأدب والكلام البذيء هما من الأمور القبيحة التي يجب الحذر منها وخاصة بالنسبة للبنات، إذ إنّهن بحاجة إلى وقار أكبر. وعليهن أن يهتمنَ بكلامهن أكثر من الذكور، وأنْ يراعين الضوابط والأدب لأنهن سيصبحن زوجات وأمهات.

وفي مجال الملبس لا بدّ أن تبذل الجهود من أجل أن يكون للبنت حجاباً ولباساً نسوياً، فالإسلام يرفض تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ويمقت المرأة التي تقلّد الرجل في كلامه وتلتزم بسمات لا تناسب شأنها. كما أنه ليس صحيحاً في نفس الوقت إيجاد التنافس بين البنت والإبن. بل يجب على الآباء أن يحمّلوا البنت فوق طاقتها خاصة وإنها أكثر طاعة من الإبن. وإنّه لقبيح جداً سلوك ذلك الأب الذي يستغل حياء ابنته وضعفها فيكلفها بأمورٍ لا تطيقها.

الأب أملُ البنت في الحياة:

تنتخب البنتُ رجلها المثالي من خلال تفحصها في سلوك والدها، وتفكّر بالزواج من خلال النموذج الذي تشاهده في العلاقة بين والديها.

صحيح أن البنت تتعلم من أمّها لكنّها ستتعلم من أبيها الشروط التي ستطالبها في زوجها ونوع المعاشرة التي سيعاشرها في حياتها المستقبلية.

وثمة مشكلة تعاني منها البنات اللواتي يحصلن على إطراء مفرط من قبل الأب، إذ إنهن قد يفشلن في حياتهن المستقبلية.

فالأب عليه أن يحترم إبنته ويهتم بشخصيتها، ولكن بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى ظهور إحساس عند البنت بأنّها قادرة علىٰ العيش مع أبيها دون الحاجة إلى أمّها.

وثمة خطر يواجه البنات اللواتي يشعرن بأن الأب هو ملاذهن الوحيد، وهذا الخطر هو الفشل في الحياة المستقبلية. وإن إفراط الأب في حبّه لابنته يؤدي بها إلى الدلال فتنافس أمّها في محيط الأسرة وتحاول أن تبين أفضليتها عليها.

الأب والبناء النفسي:

من وظائف الأب توفير الأرضية لبناء البنت نفسياً وعقلياً لكي تكون قادرة على تعديل عواطفها وأحاسيسها. ولكي يتحقق البناء والنمو النفسي لا بدّ للأب أن يحافظ علىٰ بعض الأواصر قوية بينه وبين ابنته. ومن هذه الأواصر الإعلان عن حبّه لها وإدخال السرور عليها. فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «من فرح إبنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل». وعليه أن يقوم برعايتها عندما تكون مريضة لكي يزرع عندها الأمل والرغبة في الحياة.

ويحدث أحياناً أن بعض البنات يشعرن باليأس من البيت ويفقدن أملهن لعدم إمتلاكهن لملاذٍ أو ملجأٍ، أو أنّ مستوىٰ عقولهن لا يتناسب مع إحساساتهن، لذا نراهن يلجأن إلى ممارسات قبيحة لانعدام العلاقة والأواصر القوية، ويتمكّن الأب من خلال سلوكه وذكر الأمثلة والقصص المختلفة أن

يضع أسس البناء العقلي عند البنت وينمّيه فيكون قادراً على تربيتها بأفضل وجه. وعندها سترفض جميع تلك التفاصيل الغير مهمة وتبتعد عن جميع الأمور الفاسدة.

الفصل الحادي والثلاثون

العلاقة مع الولد (الذكر)

سمات الأبناء وسلوكهم:

يتشابه الذكور والإناث في بعض الحالات والسمات لكنّ الأبناء أكثر خشونة وصلابة من البنات ويمتازون بقلّةِ العاطفة. وتلجأ البنت عادة إلى تحبيب نفسها ولفت أنظار الآخرين إليها من خلال حلاوة لسانها، والتدلل كثيراً بحيث انها تبحث عَمنْ يدللها، في حين ان الذكور لا تتجسّد فيهم هذه الصفات أو قلما يمكن مشاهدتها.

إن لهذين السلوكين جذوراً حياتية. . جسمية، ونفسية، إذْ تعود سمات الذكور إلى التربية الاجتماعية للأسرة. وتؤثر الأم بالطبع على تربية إبنها لكنه أشدّ ما يتأثر بوالده. فالطفل يبذل جهده لكي يحاكي والده في سلوكه ويماثله في صفاته، ويحاول أن يقيم علاقته مع أكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع ـ كما يحصل ذلك في مجتمعاتنا ـ ويشعر بحرية أوسع في هذا المضمار. أما البنات فيشعرن بحياء مفرط ويختلفن عن الأبناء في ذلك.

وواضح أن الأبناء لا يكتسبون سلوكهم الرجولي لأنهم ولدوا ذكوراً، بل إنّ موضوع التربية على سمات الرجولة إنما هو موضوع آخر مختلف، ولكنه يمكن القول في نفس الوقت ان سلوك الولد (الذكر) في البيت يختلف عن سلوك البنت.

الأب وبناء إبنه:

إنّ للأب دوراً كبيراً في تربية إبنه تربيةً خاصة، وجعله رجلاً، حيث

يدرك الطفل منذ السنة الثالثة تقريباً ـ كما تشير إلى ذلك الأبحاث ـ أنه ذكر وعليه أن يكون رجلاً على شاكلة أبيه لذا نراه يسعىٰ لمحاكاة والده في سلوكه وعمله.

فيجب على الأب أن يبدي حبّه وتفهمه لابنه ويقيم معه تلك العلاقة المتبادلة التي تمكّنه من تنمية إحساسه الرجولي باعتدال والسير على خطى والده وهديه.

فالآباء يربون أبناءهم على الرجولة، ويؤهلونهم لدخول معترك الحياة من خلال ما يؤمنون به من آداب أو تقاليد إجتماعية خاصة، وبموجب أساليبهم في العمل أو طبقاً لميل الولد ورغبته وتفكيره الخاص.

ولا يمكن لهم أن يكونوا رجالاً منذ عهد الطفولة، بل لا بدَّ من الانتظار لعدة سنوات حتىٰ تؤثر فيهم الأسس التي يطرحها الآباء.

لذا يجب على الأب أن يشارك ولده في شؤون حياته ويدفعه لممارسة مختلف النشاطات المفيدة ويطالبه بالقيام بدورٍ بنّاء في الحياة. وعليه أن يكون أيضاً مستودع أسراره خاصة في مرحلة البلوغ حتىٰ لا يتعرّض لصدمات في حياته المستقبلية.

التعامل والمراحل المختلفة:

ولكي يصل الطفل إلى مرحلة النمو والتكامل ويكون قادراً على الوقوف على قدميه، لا بدّ أن يطوي مراحل حياتية ونفسية وعاطفية مهمة، حيث تمتلك كل مرحلة خصوصياتها. فحريّ بالأب أن يلتفت إليها.

ففي مرحلة الطفولة ومن خلال ارتباطه بالطفل واللعب معه يجب على الأب أن يلفت نظر ولده إلى عالم الرجل والمرأة لكي يتعلم الطفل تلك المواقف التي لا بدَّ أن يتخذها ازاء مختلف الأمور.

وتستمر هذه العملية حتىٰ السن السابعة لتختص بالعموميات، وانها تمثل في الحقيقة دورة تعليمية كاملة ولكنّها بسيطة يقدّمها الأب لابنه.

وفي السنوات (٧ ـ ١٢) والتي لا يزال فيها الأبناء ضمن مرحلة الطفولة، لا بدَّ أن تتخصص التوجيهات وتكون دقيقة، ويجب على الأب أن

يسعىٰ لتعريف ولده بالشعائر الدينية خاصة، والالتزام بضوابطها وقوانينها، وأن يكلفه في البيت بأداء بعض الوظائف وتنفيذها.

أمّا في السنوات (١٣ و١٤)، والتي هي مقدمة لمرحلة النشوء والبلوغ، ستحدث ظاهرة اليقظة عند الطفل، فينبغي للأب في هذه الحالة أن يستثمرها من أجل القيام بهداية الطفل وتربيته.

وأما في السنوات التي تعقب السن الرابعة عشر فحري بالأب أن يكون في إشرافه كالوزير والمستشار، فيقف إلى جانب إبنه دائماً، وأنْ يقيم معه العلاقة القائمة على التفاهم والإلفة، وأنْ يتعامل معه كالكبار. ومن الضروري أن يلتفت إلى شخصية الولد ويكلفه ببعض المسؤوليات ويمنحه الصلاحيات المطلوبة، وأن يكون على حذرٍ بأن لا تضطرب علاقته مع ابنه بل يجب أن تكون تصرفاته منطقية وقراراته مدروسة.

ضرورة التعليم:

ما أكثر المشاكل والصعوبات التي تعترض الإنسان بسبب جهله وعدم إلمامه بكل جوانب موضوع معين مما تؤثّر أحياناً على الآخرين فتورطهم أيضاً. ولذا فإنّ من وظائف الآباء والأمهات أنْ يقوموا بتعليم أولادهم.

فولدكم يولد جاهلاً، وعليكم أن تقوموا بتعليمه وتعريفه بأسرار الحياة وشؤونها المختلفة. وينبغي عليكم أن تعرفوه بوظائفه الذاتية ومسؤولياته ازاء الآخرين وما يشتمل عليه هذا الكون من ظواهر ذاتية مختلفة. وهذه المسؤولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة.

ومن الضروري أن يزداد وعي الولد منذ أن يكون حدثاً وبالغاً وبشكلٍ يتناسب ومستوىٰ إدراكه وفهمه. فمن جانب يمكن وصف هذه المرحلة بأنّها مرحلة معرفة الذات وحدوث اليقظة الدينية والجنسية.

ومن جانب آخر فإنها تمثّل مرحلة الشعور بالمسؤولية والرغبة لنيل الاستقلال والحرية. وحري بالأب أنْ يكون إلى جنب ولده في هذه المرحلة الحساسة ويقدّم له ما يحتاجه من الوعي في مختلف المجالات. وإنّ الغفلة ـ مهما كانت ـ تؤدي إلى الإنحراف بكل أنواعه أو توقف عملية النمو والتكامل.

التربية والتوجيه:

ينبغي للأب أن يهتمّ بتربية أبنائه وتوجيههم، لأن بناء الجسم وزيادة كفاءة الأعضاء تمثل واحدة من هذه الوظائف، ولكنّ الأهم من ذلك هو بناء النفس والعاطفة والفكر والعقل، إذ ان هذه الأمور تضمن حياة شريفة للإنسان.

لا بدّ من التربية والتوجيه لكي تسهل عملية استخدام المفردات التي تعلمها، وتتفتق الإبداعات حتىٰ تسير في طريقٍ هادف.

وهذه هي من مسؤولية الأب الذي يجب عليه أن يوفّر المناخ الملائم لولده ليسلك طريقاً صحيحاً في علاقته معه والآخرين وتنتظم أفكاره إزاء مختلف الظواهر والأحداث.

ومَثَلُ ذلك الأب في مجال تربية ولده وتوجيهه كَمَثَلِ ذلك المزارع الذي يراقب نمو النبتة وحركتها حتىٰ لا تنحرف. فنراه مثلاً يُبعد عنها الأدغال ويُزيل منها الأغصان الزائدة واليابسة لكي تنمو باستقامة.

ومن جانب آخر فإنّ الأب يقوم بدور المشجّع والمشوّق لولده فنراه يدفعه إلى الأمام من خلال توجيهاته الصحيحة والمنطقية، وعليه يجب أن يمتلك ـ في كل الأحوال ـ أسلوباً هادئاً وبنّاءً رغم أنّه قد يكون عنيفاً في بعض الأحيان، إلاّ أن الهداية تحتاج إلى كظم الغيظ.

لا تدفعوه نحو التمرّد:

ينبغي للأب أن يمتنع عن دفع ولده نحو التمرّد والعصيان، إذ يعتبر هذا بحدِّ ذاته سبباً لانحرافه وابتعاده عن والده وزوال فرصة البناء. وقد يتساءل البعض: هل يوجد في الآباء مَنْ يقدم على هذا العمل فيدفع ولده نحو التمرّد والعصيان؟

نقول ومع الأسف الشديد نعم، فثمة آباء يجبرون أولادهم بشكل غير مباشر علىٰ العصيان والتمرد والانحراف، وهذا ما يمكن أن يحدث بصور مختلفة وذرائع متعددة. فمثلاً يجبرونهم علىٰ القيام بعمل لا يملكون القدرة على أدائه، أو أنهم يطالبونهم بأمورٍ لا يتمكنون من إنجازها، أو يتصرفون معهم بصورة تثير الدهشة فلا يناسب ذلك شأنهم وشخصياتهم.

وفي هذه الحالات نرىٰ أنّ الولد يلجأ إلى العصيان ويسلك طريق التمرّد. ويصدق بشأن هؤلاء الآباء هذا الاعتراض وهو لماذا دفعوا أبناءَهم إلى هذا العمل؟ فقد ورد عن الرسول الأكرم (ص) إنّه لعن مثل هؤلاء الوالدين.

ينبغي على الأب أن يسلك مع وُلدِه سلوكاً يشوّقهم لطاعة أوامره، بل أن يشعروا بالفائدة المشتركة مع الأب فيما لو طبّقوا تعليماته.

ولا بدّ أن تكون الأوامر والنواهي بصورة لا يضطر الطفل معها إلىٰ العناد فيقف بوجهها.

الأب والقدوة:

إنّ الأب هو القدوة لجميع أفراد أسرته وخاصة الأبناء؛ ويرغب الأولاد كثيراً بمحاكاة سلوكه البطولي والإنساني، ويخجلون عادة من رفض قوله وأوامره بسبب إنسانيته وخلقه. وإنّ أكبر أمنية للأولاد (الذكور) هي أن يكونوا كأبيهم في السلوك والكلام، ويمكن مشاهدة هذه الظاهرة منذ انتهاء السنة الثالثة تقريباً حتى ان بعض الأطفال يرغبون بلبس النظارة كما يلبسها ويمشون كما يمشي، ويصدرون الأوامر والنواهي كما يفعل بل إنهم قد يشغلون مكانه فيما لو غاب من البيت في يومٍ ما.

يقول فرويد إنّ سبب محاكاة الأبناء لأبيهم في سلوكه هو الخوف، ويزيد على ذلك قائلاً، انه الخوف من عقاب الأب الذي يكون هجومياً وشرساً؛ وهو يختلف في طرحه هذا عن أصحاب مدرسة التعلم الاجتماعي الذي يعتبرون محاكاة الطفل تقوم علىٰ حبّه لأبيه ورغبة به. فكلما زادت عاطفة الأب ومحبته للطفل كلما اشتدتْ محاكاة الطفل له، ويمكن للمعنىٰ الثاني أن يكون أكثر قبولاً من الأول.

فإذا سلّمنا بعد كل ذلك أنه يمكن للأب أن يكون قدوة صالحة لتوجب عليه أن يسلك في البيت وخارجه ذلك السلوك الذي يحبه ويرتضيه لأولاده، وأن يتحدث معهم كما يريدهم أن يتحدّثوا، ويتصرّف كما يرغب أن يكونوا، وأن يؤمن بهذه الحقيقة التي تقول إنّ الولد على شاكلة أبيه.

القيام بالتربية:

رغم ما نبذله من جهود لتربية أولادنا، ومع كل ذلك الاهتمام الكبير، لا بدَّ لنا أن تكون توقعاتنا من أولادنا معقولة. فلكل سن ومرحلة مستوىً معين من الطموح، وان القابليات مختلفة ولا يتساوىٰ الذكاء عند جميع الأولاد وكذلك الإدراك والاستعداد البدني والنفسي؛ ويؤدي هذا الاختلاف إلى التباين في السلوك بحيث لا يمكننا أن ننتظر نفس الشيء من جميع أولاد الأسرة الواحدة.

ويحاول بعض الآباء بسبب حبّهم الشديد لأولادهم أن يزرعوا عندهم الخلق الحسن والأدب الجميل بأسرع ما يمكن، ويرغبوا أن يسلكوا طريق الكمال بفترة زمنية قياسية غافلين بأن ممارسة الضغط واللجوء إلى العنف يدفعان الطفل إلى استخدام الحيلة واللجوء إلى العصيان ووقوع هُوَّة بين الطفل والمربي، فتفشل ـ والحال هذه ـ عملية البناء والإصلاح والتوجيه.

فلا يوجد أي مبرر لطموحنا هذا ولا داعي لطي هذه المراحل المتعددة بزمنٍ قصير. وإن من الخطأ أن يلجأ الآباء إلى استخدام العنف والقوة مع الولد لتحقيق هذه الرغبة، بل من غير الصحيح اللجوء إلى التشجيع المفرط أيضاً. وسوف يضطر الطفل بسبب تلك الممارسات الخاطئة إلى سلوك طريق العصيان والعناد، والمشاكسة أحياناً، فتنعدم فرصة البناء والكمال ويصبح إنساناً ضالاً ومنحرفاً.

الفصل الثاني والثلاثون

العلاقة مع الأولاد المعاقين

مَنْ هو المعاق؟:

المعاق هو إنسان كباقي الناس لكنه مصاب بعاهة أو قصور ونقص في الجسم أو الذهن. ويمكننا أن نسمي المعاقين أحياناً بذوي الحالات الاستثنائية بسبب إصابتهم بنقص في الجسم أو النفس أو العاطفة أو الذهن أو غير ذلك. وثمة حالات لم يتوصل فيها إلى تحديد نوع تلك العاهة.

وطبيعي أن تكون الحياة طبيعية وعادية لأولئك الذين يمتازون باعتدال جسمي ونفسي وذهني وعاطفي، لكن المعاقين بحاجة إلى مساعدة الآخرين حتىٰ يمكنهم توفير الاعتدال المطلوب.

إن أول مَنْ يقوم بمساعدة أمثال هؤلاء والاهتمام بهم هما الوالدان، وخاصة الأب الذي يجب أن يوفر كل ما هو مطلوب لحياة سعيدة. وعليه أن يتفهم الطفل المعاق ويدرك علته ويتخذ موقفاً مناسباً من أجل خيره وصلاحه.

أنواع العاهات:

قد يكون ولدكم معاقاً لكنه يختلف عن الآخرين في عاهته. وينبغي عليكم في هذه الحالة أن تتخذوا موقفاً مناسباً ينسجم مع تلك العاهة ونوعها.

وتختلف العاهات عند الأطفال في العوائل والأسر، ويمكن الإشارة إلى أهمها: الحمق والتخلف العقلي، والحول، والصرع، والعمىٰ والبكم،

وقصر القامة والنقص العضوي ولكنة اللسان وشلل الأطراف والعرج بسبب قصر إحدى الساقين وغير ذلك. وهذه العاهات يمكن أن تكون هامشية أو واسعة التأثير.

وقد يشتمل النقص ذلك الخلل الحاصل في عملية التعلم، أي لا يمكن مشاهدة ـ في الظاهر ـ أية عاهة جسمية على الطفل لكنه غير قادر على التعلم جيداً بسبب إصابته بالتخلّف العقلي البسيط أو عدم القدرة على التركيز وانعدام التنسيق في العمل بين قسمي المخ، أو ضعف في السمع والنظر أو سبب انخفاض مستوىٰ الصوت.

وتؤدي هذه الأمور إلى إصابة الطفل بأعراض تظهر علىٰ شخصيته أو سلوكه فلا يمكنه أن يسلك سلوكاً عادياً ومتزناً. وإن جرأتكم وشجاعتكم في قبول الطفل وتربيته تقضي علىٰ العديد من هذه الصعوبات والاضطرابات ويقرّبه أيضاً من الهدف الذي تبتغونه.

ضرورة القبول:

إنّ أول نصيحة للأب هي، أن يقبل الطفل كما هو. فإنّه ولدك وبضعة من وجودك وأنت الذي دعوته إلى هذا العالم.

والأهم من ذلك فهو وديعة الباري جلّ وعلا بين يديك وينبغي لك أنْ تشعر بالفخر والاعتزاز لأن الخالق تبارك وتعالىٰ سلّم إليك هذه الوديعة وجعلك أميناً عليها، كما إنك مكلّفٌ شرعاً وخلقاً بأداء هذه الوظيفة بأحسن وجه.

لا بدّ أن ينال قبول الأب فيتخذ موقعه في الحياة العادية وأن تتوفر له مجالات المشاركة في شؤون البيت وحتىٰ في الحياة الاجتماعية.

تصرّفوا معه بصورة لا تجعله يشعر بأن دوره معدوم، ولتكن تصرفاتكم عادية وطبيعية.

لا يحق لكم أن تعيّروه أبداً بعاهته وتلومونه عليها، فالطفل يكون حساساً جداً في تلك الحالة، ويدفعه هذا التصرف في المستقبل ليشعر بالسأم والضجر واليأس، بل وحتىٰ اتخاذ قرارات غير مدروسة أحياناً، إنه غير مسؤول عن عاهته فلا تجعلوه منزعجاً.

إننا ومن خلال رفضنا للطفل ندفعه للتفكير بأنه إنسان عديم الدور والأهمية ولا قيمة له. ولا يمكن والحال هذه أنْ يتحلّىٰ بوضع عادي وسوف يمتنع ذاتياً عن المشاركة في المجالس المختلفة ويُحْرَمُ من فوائدها ويصاب باضطرابات ويلجأ إلى ممارسات شاذة.

لا داعي للشعور بالذنب:

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى هذه الملاحظة وهي إنّه لا داعي للشعور بالذنب. نعم، قد تكون بعض إنحرافات الآباء والأمهات كالإدمان على الكحول والمخدرات والإصابة بمرض السفلس وغير ذلك السبب في ظهور العديد من العاهات في الأولاد.

وهذا يكشف عن دور الوالدين وتقصيرهما. أمّا في الحالات التي يجهل فيها الإنسان السبب، أو إنه تعرّض لظروف قاهرة فلا داعي للقلق.

لا تحاولوا أن تتهموا الأم ـ أو الآخرين ـ بأنها السبب في هذه العاهة أو تلك إذ لا فائدة من ذلك. والشيء المهم هو أن يفتح الإنسان عينيه عند الزواج ويختار زوجته بوعي طبقاً للشروط المطلوبة، أمّا لو حصل خطأ أو تفريط في ذلك فلا داعي للوم.

يختلف الناس بعضهم عن بعض وهذا يعود لعوامل عديدة تدريجياً وصون أنفسنا عن تلك الأعراض. فقد ورد عن الإمام علي (ع) قوله: «لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا استووا هلكوا».

المرافقة من أجل العلاج:

إن الشعور بالذنب والتأوّه وإظهار الأسىٰ لا يداوي جرحاً. والمهم هو التفكير بأسلوب ناجع للعلاج... والموقف الذي ينبغي إتخاذه هو كيف يمكن مرافقته لزرع الأمل في أعماقه.

يمكنكم في أغلب الحالات اتخاذ خطوات معينة تساهم في معالجة الطفل وإنقاذه من النقص الذي يعانيه، فقد تؤثّر أحياناً الفحوصات الطبية والمعالجات النفسية وتوفير صفوف خاصة للتقوية في حالات الضعف الذهني.

إصطحبوه معكم أحياناً في سركم وشاركوه في برامجكم ووفّروا الأجواء الملائمة ليشعر بالسعادة والانشراح، فذلك يؤثر فيه كثيراً. وتقف التربية الخاصة والاستثنائية بوجه العديد من الاضطرابات وأنواع التخلّف.

إنّ أدنىٰ مساعدة تقدمونها هي أن ترفعوا معنوياته ليشعر بالثقة والاطمئنان بأنكم تهتمون به وتريدون إنقاذه مما يعانيه وحلّ مشاكله. وسوف يندفع بسبب ذلك ليغير أفكاره ويطرد شعوره بعدم أبالية الآخرين به.

التربية الخاصة:

نعرف أن لهؤلاء عالم مختلف عن عوالم الآخرين فهم لا يفهمون معاني اللذة والألم والجمال والقبح كما نفهمها نحن. وهم بحاجة إلى تربية خاصة لتتزن خصائصهم السلوكية فيسيرون نحو الإصلاح والصلاح.

ينبغي أن تكون صفوفهم الدراسية وحتىٰ برامجهم فيما لو أمكن ذلك مختلفة. ويجب الاهتمام أيضاً بعواطفهم، والحذر حتى لا يصابوا باليأس والبرود وأن لا تواجههم أية صعوبات في تعلمهم.

ويفرض الخلق الإنساني قيام هذه التربية الخاصة. ولا بد ـ بشكل عام ـ من وضع ضوابط معينة تسهّل العملية التربوية وتقضي على الصعوبات ما أمكن ذلك.

كما إنّه من الضروري أيضاً أن يسود الهدوء جوّ الأسرة ويخلو من الاضطرابات. أو أن يبرز عندهم شعور بالثقة والأهمية حتىٰ يمكن تحقيق النمو المطلوب. ويمكن أن يكون بعضهم راقداً لدىٰ ممارسة التربية أو قادرة على استخدام المقاعد المتحركة فيجب في هذه الحالة توفيرها.

الأمل في الحياة:

قلنا إنه من الضروري جداً بناء معنويات الطفل وزرع الأمل عنده في الحياة.

صحيح أن ولدكم مصاب بعاهة لكنه بحاجة إلى الشعور بالسعادة، وينبغي أن تساعدوه كي لا يفكّر بعاهته دائماً.

إزرعوا عنده الجرأة وشجّعوه وأكثروا من إبداء حبكم له وامنحوه حق المشاركة في شؤون الحياة والأسرة وابتسموا في وجهه واجعلوه يهوىٰ العمل والنشاط.

إنّ تعاملكم الصحيح معه يجعله قادراً على نسيان عاهته فلا يبالي بها كثيراً. وإنّ بذل الجهد والسعي لمعالجة الطفل المصاب بالقصور أو النقص يوفّر المناخ الملائم ليشعر بالأمل فيبتعد عنه الإحساس بعقدة الحقارة. ولتحقيق هذه الأمر لا داعي للترحم عليه فإن ذلك يؤدي إلى إصابته بصدمات أحياناً.

ينبغي أن لا تتوقعوا منه أموراً كثيرة بل طالبوه بأداء مسؤوليته، وان هذا الكلام لا يعني أن تجعلوا فواصل كبيرة بينكم وبينه، أو أن تعاملوه بصورة يشعر معها بالابتعاد عنكم أو بالحقارة أو بالغرور.

محاذير:

ثمة محاذير عديدة ينبغي الاهتمام بها في موضوع تربية الأطفال المعاقين أهمها:

- لا تعرّضوا طفلكم المعاق لضغوطات كثيرة.
- لا تستهزؤوا به.
- لا تعيره بعاهته.
- لا تلجأوا إلى تحطيم معنوياته.
- حالوا بناءه من خلال أسلوب التشجيع.

إن بعض الآباء ينفذ صبرهم بسبب تصرفات أولادهم المعاقين فيلجأون إلى ضربهم ولكمهم ظنّاً منهم أن ذلك يساعد في بنائهم. لكن هذا يعتبر عملاً شائناً ويزيد من آلام الطفل وخاصة عندما لا يتمكن من الهروب.

كما أن النظرات الغاضبة والكلام الجارح والأوامر والنواهي العديدة تجعله يشعر بأذىً كبير.

حاولوا أنْ تشرفوا على عملية بناء ولدكم بأنفسكم ولا ترسلوه إلى المؤسسات الخاصة لهذا الغرض خاصة إذا كان الطفل يمتاز بذكاء عادي لكنه مصاب بعاهة عضوية لأن المصيبة ستكون مضاعفة في هذه الحالة وسيشعر الطفل بأنه مرفوض.

عليكم أن تمنعوا الآخرين أيضاً من إدامة النظر إلى تلك العاهة أو أن يعطفوا على طفلكم لأن ذلك يمثّل صَدْمَة كبيرة بالنسبة له فقد ورد عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «لا تديموا النظر إلى أهل البلاء والمجذومين فإنّه يحزنهم».

الباب التاسع

الأب والاهتمامات

سنتحدث في هذا الباب عن اهتمامات الأب ضمن فصول أربعة. فقد خصصنا أحد الفصول للتحدث عن اهتمام الأب بسلوكه إذ يجب عليه أن يحذر كثيراً في حديثه وتعامله ومتابعته ومساعدته والتزامه، ويكون واعياً لما يفعل لأنه قدوة لولده وله دور كبير في بنائه وصلاحه.

كما تناول فصل آخر موضوع اهتمام الأب بمعاشرة أولاده والعلاقات التي يقيمونها مع الآخرين وخاصة تلك العلاقات مع غير أفراد الأسرة والمخاطر التي تسببها. فاهتمامه بهذا الأمر يمنعهم من السقوط في الهاوية ويزيل تلك الأضرار الفردية والاجتماعية.

أما الفصل الثالث فتحدثنا فيه عن اهتمام الأب بدراسة أولاده، إذ ينبغي عليه أن يختار مدرسته التي يدرس فيها والفيلم الذي يشاهده، ويهتم بدراسته والجهود التي بذلها بهذا الشأن.

وتأتي أهمية المدرسة من كونها تمثل البيت الثاني للطفل والمعلم بمنزلة الأب، ولا بدّ من حصول الانسجام بين الطرفين لكي تتم العملية التربوية.

وقد جاء الفصل الأخير ليتناول موضوع اهتمام الأب بتوفير حاجات الطفل الأساسية كاهتمامه بالمأكل والملبس والنوم والنظافة واللعب والأوامر والنواهي والأمور التي يبصرها أو يسمعها. فالدقة في هذه الأمور تؤثّر كثيراً على مستقبل الطفل.

وقد حاولنا في هذا الباب كما الأبواب السابقة أن نطرح المواضيع المذكورة مع الاختصار والإيجاز والإشارة إلى الملاحظات المهمة فقط.

الفصل الثالث والثلاثون

الأب واهتمامه بسلوكه

الإنسان والأمنيات:

ثمة أمنيات عديدة للإنسان في حياته يرغب بتحقيقها، وانّها من ضروريات الحياة. ولا بدّ أحياناً من توفير تلك الأماني ولكن بشرط عدم الاستسلام لها والقبول بها دون أي سبب لأن ذلك يعتبر نوعاً من أنواع الأسر والإذلال.

ولو كان ذلك مباحاً للطفل الصغير فإنه يليق وشأن الكبار، لأن العقل يفرض أن نفكر بتلك الأماني ويدعونا إلى انتخاب ما هو إنساني وعقلاني.

فالأمنيات عديدة والاستسلام لها يعني التورط في متاهات لا نهاية لها مما تؤدي إلى الفشل والسقوط والانحطاط.

وينبغي أن تتركز الجهود في التفكير بما يحتاجه الإنسان من أجل بنائه وكماله، وأن تكون تلك الحاجات وسائل لتحقيق هذا الهدف لا أن تكون هي الهدف بذاتها فنلتذ بها.

اهتمامات ضرورية:

توجد بعض القضايا الضرورية التي ينبغي على الإنسان أنْ يهتمّ بها من أجل نفسه وسلوكه، ومنها ما يرتبط بذاته، إذ يجب عليه أنْ يوفّر موجبات نموّه من خلال تمييزه وتشخيصه لكي يكون قادراً على التقدم في طريق الكمال.

ويُعتبر بناء النفس ـ وخاصة إيجاد صفة المقاومة ـ ضرورياً جداً لوجود عوامل عديدة تحيط بالإنسان تمنع بناءَه وتقدمه.

فما أكثر العوامل التي تجرنا إلى الأسر والإذلال نكون بؤساء بسببها. لذا يجب الاهتمام بالسلوك والقضاء على عامل السقوط.

ويتأكّد هذا الاهتمام للآباء لأنّهم سيكونون في عملهم وسلوكهم قدوة لأطفالهم وأنموذجاً لهم. وبسبب شدة هذا التأثير قيل أنّ الولد على سرّ أبيه، أو إنّهم قالوا ولد العالم نصف عالم.

إهتمامات كليّة:

لو أردنا التحدث عن السلوك المباح والممنوع لواجهتنا أمورٌ عديدة ينبغي البحث عنها في كتب الأخلاق وفي تلك التي تتناول موضوع بناء النفس.

يجب على الإنسان أن يفكّر بنفسه وخلقه وبعثه من أجل تحقيق التكامل والنمو المطلوب، إذ يعتبر ذلك من ضروريات الحياة الإنسانية. أمّا أهم الأمور التي لا بدّ للأب أن يهتمّ بها لتأثيرها على الطفل فهي:

١ ـ الإهتمام بالسلوك الذاتي:

ينبغي على الأب أن يصدق بأن الأجهزة الحسيّة للطفل هي كالنوافذ المفتوحة على العالم الخارجي، فنراه يلتقط ما يشاهده ويدركه ويعمل بموجبه. لذا يجب عليه أن يهتمّ بسلوكه ويلتزم بضوابط معينة في هذا الطريق.

فالسلوك الإنساني وغير الإنساني واللين والقسوة والعطف والعنف وغير ذلك يؤثر بأجمعه على الطفل. وكذلك إلتزامه بالآداب والمبادىء، ونوع تعامله مع الأمور، والبناء والانحراف وما إلى ذلك من صفات أخرى.

يجب على الأب أن يحذر في سلوكه كثيراً لئلاّ يحيد عن حدود الأدب، أو يستخدم أسلوباً يؤدي إلى انحراف الطفل وضلاله.

فجميع المشاهد وحالات التقصير والأخطاء والانحرافات تؤثّر على الأطفال وسلوكهم.

٢ ـ الإهتمام بالكلام والعمل:

إذ يعتبر ذلك مهماً جداً، فما أكثر الدروس السيئة التي يتعلمها الطفل من حديثكم وكلامكم. في حين يمكنكم أن تبنوا شخصيته من خلال كلماتكم الجميلة بينما يؤدي الكلام القبيح إلى انحطاط الشخصية وسقوطها.

ومن وظائف الأب التربوية والأخلاقية أن ينادي ولده (ذكراً كان أم أنثىٰ) بعبارات جميلة يسودها الاحترام. وأن يتحدث معه بكلمات تشوّقه لطي طريق الأدب والأخلاق والكمال لكي ينشأ إنساناً عاقلاً وجليلاً. وليس صحيحاً أبداً اللجوء إلى الكلمات البذيئة حتىٰ في حالات الغضب لأنه سيتعلمها وينطق بها؛ بل يجب أن تحذروا أنْ لا يألف ولدكم أفراداً بذيئي اللسان فيصاحبهم ويتعلم منهم الكلام البذيء.

٣ ـ الإهتمام بالتعامل:

يمكن لتعامل الأب مع ولده بل ومع الآخرين أيضاً من الذين يشاهدهم الطفل أن يكون درساً نافعاً له أو ضاراً. إذ يجب علىٰ الأب أن يعاشر أولئك الذين لهم منزلة تنسجم ومكانة الأسرة، وأنْ يتعامل كما يجب أن يكون طفله.

فما أكثر العلاقات الاجتماعية التي تكون سبباً للانحطاط والتخلّف وبالتالي تهدد عملية بناء الطفل وتقدمه.

والخلاصة، فلو أردنا بناء أولادنا بحيث لا تكون أية حاجة لتقويم سلوكهم وإصلاح أخلاقهم، لتوجب علينا أن نقوِّم أخلاقنا وسلوكنا وتعاملنا، فنمتنع مثلاً عن النفاق والازدواجية في إظهار المشاعر والعواطف ازاء الآخرين.

٤ ـ الإهتمام بالعمل والمساعدة:

ينبغي للأب أن يكون قدوة صالحة لولده في العمل وبذل الجهد ومساعدة أفراد الأسرة وإعانتهم على قضاء حوائجهم. ومن الضروري أن يتقدّم الأب لقضاء حاجة معينة في محيط أسرته بدلاً من اللجوء إلى إصدار

الأوامر والنواهي. فهذا العمل سيؤدي بالأطفال إلى الاعتماد على أنفسهم والشعور بالاستقلال والاندفاع ـ في الوقت نفسه ـ إلى مساعدة والدهم.

ويستطيع الأب من خلال توفير حاجات أولاده أنْ يعلمهم ـ وخاصة الذكور ـ كيف يكونوا آباءً. فلو تعرّض أحد أفراد الأسرة إلى حادث ما لتوجّب على الأب أن يساعده ويعينه ويكشف عن عاطفته ويبدي أحاسيسه لزوجته وأولاده.

٥ ـ الإهتمام بالنظم والانضباط:

يشار إلى الأب ـ في الأسرة عادة ـ بأنّه المسؤول عن تحقيق النظم والانضباط، والمسؤول عن تنفيذ القوانين في ذلك المحيط. فيجب عليه أولاً أنْ يكون مثالاً للنظم والانضباط ومن ثمَّ يدفع أولاده إلى تحقيق ذلك.

لا بدّ للنظم والانضباط أنْ يشملا جميع مرافق الحياة الإنسانية والأسرية، ويمثل هذا شرطاً من شروط الحياة. ولولاه لسادت الفوضىٰ وشاع العدوان، وقامت الحياة على هوىٰ النفس.

والمهم في الموضوع أن يكون الانضباط عادلاً وقائماً على تلك المبادىء التي يؤمن بها الأب. إذ يجب عليه أن يهتم بأصول التعامل وطرح العادات الجيدة، وتقديم مفهوم صحيح للطاعة والانقياد، والتأكيد علىٰ قيمة الوقت ورعاية النظم في المأكل والملبس والاستراحة واللعب وغير ذلك.

لا يوجد شك في أن للأسرة نظاماً يختلف باختلاف الظروف. ولا بدّ من الأخذ بنظر الاعتبار القابليات والأعمار والفهم والإدراك والمحيط وأموراً أخرىٰ. فالنظم والانضباط اللذان يحتاجهما طفل في السادسة من عمره يختلفان عن ذلك الذي يبلغ العاشرة أو الثانية عشر من عمره.

٦ ـ الإهتمام بالعلاقة مع الزوجة:

لا بدّ أن تخضع العلاقة مع الزوجة لاهتمام واسع، ويجب علىٰ الزوج أن لا ينسىٰ بأن زوجته هي أم أطفاله، وانهم ينظرون إليها باهتمام بالغ رغم أنها قد لا تكون كذلك ـ لا سمح الله ـ بنظر الأب.

قد يحصل نزاع أو إختلاف في محيط الأسرة، ولكن إيّاكم أن يحدث ذلك أمام أنظار الأطفال.

ينبغي أن لا يشاهدوا نزاع الأب والأم، وأنّ تحقير الأب او الأم وإهانتهما يؤدي إلى حدوث مأساة تربوية.

إنّه لمن الخطأ أنْ يلجأ الرجل إلى ضرب زوجته أمام أطفاله. وإنه من غير الصحيح أيضاً قيام الأم بتحطيم شخصية الأب أمام أطفالهما، فهما سيفقدان دورهما ومكانتهما عند الأطفال.

كما توجد محاذير أخرىٰ ترتبط بالعلاقة الزوجية والجنسية ينبغي للأب أن يهتم بها، فالإسلام لم يسمح بإقامة العلاقة الجنسية بمرأىٰ من الطفل الرضيع فكيف ببقية الأطفال؟ بل جاءت التأكيدات بمنع سماع الأطفال لصوت أنفاسهما أيضاً.

السلوك المستقر:

من المواضيع المهمة أن يكون سلوك الأب مستقراً وثابتاً فلا يليق بالإنسان أن يكون متلوّناً في الفكر والسلوك والعمل وخاصة الأب الذي هو القدوة لأولاده.

يجب على الأب أن يتحلّىٰ بسلوك جلي وواضح له أبعاد وأهداف محددة لكي يتعلّم منه الطفل المحظورات والمباحات.

فالأب الذي يطلب من ولده في كل يوم أن يمارس عملاً معيناً لتحقيق مصلحته لا يمكنه أن يكون أباً مثالياً، لذا تقع عليه مسؤولية التحلّي بأهداف وأفكار واضحة، وأن يتبنّىٰ المواقف التي يمليها عليه دينه ومعتقده.

الفصل الرابع والثلاثون

الأب واهتمامه بعلاقات أولاده

الحاجة إلى المعاشرة:

الطفل كائن اجتماعي، وهذا إمّا أن يكون فطرياً أو مكتسباً. فبسبب الطبيعة الاجتماعية للإنسان نراه يفتح باب المعاشرة ويتوسّع في هذا المجال ويأنس لمعاشرة الآخرين ويتخوّف من الانقطاع عنهم.

وإننا نعلم بأن أشدّ ما يقلق الإنسان هي الانعزالية والعيش منفرداً بسبب وجود بعض الموانع. فالسجن مثلاً، وخاصة الانفرادي يؤدي إلى ظهور آلام عديدة.

وتختلف حالات الأطفال في المعاشرة طبقاً لمراحل العمر. فنراهم في سنوات الطفولة الأولىٰ يبحثون عن علاقات سريعة. لذا فإنّهم يألفون أطفال الجيران. ثم بعد ذلك ـ وخاصة في السنة السابعة من العمر وعند ذهابهم إلى المدرسة ـ يعاشرون ويصادقون نظراءهم في السن وأحياناً مَنْ هم أكبر منهم سناً أو أصغر، ويبقون على هذه العلاقات.

أهمية المعاشرة وفوائدها:

ينتفع الطفل بالمجموعة كثيراً، فيتعلم منها إسلوب المعاشرة ودروساً في الحياة والأخلاق والتربية. ومن فوائدها أيضاً إنه يتعلّم الصبر والتضحية والإيثار والطّاعة والانضباط والشعور بالمسؤولية، ويسعد الطفل كثيراً لأنّه يقضي بعضاً من وقته إلى جانب أصدقائه فيجد ذلك الوسط الذي يستأنس إليه ويألفه.

ويمكن للأصدقاء أن يقوموا بدورٍ جيدٍ في مجال بناء وتقدم الولد إلى الأمام بشرط أن يكونوا أوفياء وصادقين وشرفاء ونزيهين. وسوف يصبح إجتماعياً بسببهم أيضاً. وتبرز هذه الظاهرة (الاجتماعية) من خلال مراقبة الطفل لسلوك أصدقائه وأخلاقهم وعملهم وكلامهم مما ستكون لها تأثيرات مفيدة وناجعة أو ضارة وخطيرة. وهذا هو سبب أهمية دور الأب ومراقبته لعلاقات أولاده والذين يعاشرونهم.

مخاطر المعاشرة:

يمكن اعتبار المجموعة التي يعاشرها الطفل ذات دور كبير في تعليمه والتأثير على شخصيته ولأهمية ذلك فقد ورد في الحديث الشريف عن النبي الأعظم (ص) قوله: «المرء على دين خليله» وقيل ان أفضل طريقة لمعرفة الإنسان هو السؤال عن صديقه وخليله. فمجالسة الشرفاء والمتدينين تجعل الإنسان شريفاً ومؤمناً، بينما مجالسة المنحرفين والفاسدين تجرّه إلى الفساد والرذيلة. ولو أقدم أولادنا على مرافقة السيئين لوصلوا إلى تلك الدرجة التي يرفضون فيها كلام آبائهم ولا يقبلون بنصائحهم وتوجيهاتهم.

علينا أن لا ننسىٰ هذه الملاحظة المهمة وهي ان الطفل يلجأ من خلال المحاكاة إلى تعلم أمور كثيرة من الآخرين سواء كانت إيجابية أم سلبية. فما أكثر الثقافات المنحرفة وآثارها السيئة التي تنتقل في محيط الأسرة إلى الأولاد ومن ثمّ إلى أصدقائهم ومعاشريهم.

لا بدّ للمعاشرة أن تستهوي قلب الإنسان ونفسه حتىٰ تغيّر في سلوكه. وما أكثر السلوك الحسن أو السيء، الذي تعلمه الطفل من المجموعة التي يعاشرها فأوصله إما إلى الكمال أو إلى الانحراف.

مجموعة القرناء:

ونقصد بالقرناء تلك المجموعة التي يصاحبها الطفل ويعاشرها ويتعلم منها الأدب والإخلاص والعادات والسلوك والكلام. ونراه يأتمنهم على سرّه ويرتبط بهم بعلاقة قوية وحميمة. ويمكن للقرناء أن يكونو نظراء للطفل في سنه أو يختلفون عنه، ولكنّ العلاقة تبقىٰ عميقة للغاية.

وقد كشفت دراسات علماء الاجتماع أن للقرناء دوراً مهماً يفوق دور الوالدين فيما لو تركا ولدهما، وذلك في مرحلة النشوء والبلوغ، أو عندما تعتري الأسرة اضطرابات معينة، الأمر الذي يعكس مسؤولية الأب الثقيلة وضرورة قيامه بوظيفته.

كما أن للقرناء دوراً مسلياً وإيجابياً ومؤثراً في إيجاد الطبيعة الاجتماعية عند الطفل، ولكن بشرط أن لا ننسىٰ بأن الطفل يقلّد كلّ ما يشاهده في أوساط المجموعة التي يعاشرها ويعمل بموجبه حتىٰ ولو كان ذلك العمل مخالفاً للعقل من وجهة نظر الآخرين.

ومن هنا فقد تؤدي تلك التأثيرات السيئة للقرناء إلى التفريط بجهود الوالدين وتضييع حياة الطفل الحالية والمستقبلية.

ضرورة المراقبة:

لهذا السبب فإنّه لا بدّ من المراقبة وخاصة في مراحل الطفولة الأولىٰ، وعندما يبدأ الطفل بإقامة العلاقات مع مجموعات صغيرة ثم تتسع تدريجياً في المراحل القادمة وتتعمق أيضاً.

ينبغي أن تعلموا بمكان تواجد أولادكم في كل لحظة، ومَنْ هم الذين يألفونهم ويعاشرونهم؟ بل وعليكم أن تعلموا بنوع العلاقة التي يقيمونها والكلام الذي يطرحونه وكيف يمارسون حرياتهم.

ولا بدّ من الاهتمام بموضوع المعاشرة لأن الطبائع قابلة للانتقال. وما أكثر الذين ابتلوا بالحقارة والدناءة بسبب قرنائهم فابتعدوا تدريجياً عن الوالدين.

وثمة خطر يهدد الأسرة ألا وهو عدم عودة الولد وابتعاده فيما لو تركه الوالدان بمفرده.

فيجب أن يكون الاهتمام على أشدّه بالنسبة للأحداث والبالغين لوجود أخطار عديدة تهددهم في هذه المراحل. فقد يقومون بتصرفات هوجاء فيما لو تعمّقت علاقتهم مع المنحرفين والفاسدين مما سيؤثر سلباً على حياتهم الشخصية وأسرهم أيضاً.

كيفية المراقبة ونوعها:

من الأفضل أن تتم مراقبة غير مباشرة خاصة بالنسبة للأحداث والبالغين، أمّا الطفل فلا بأس من القيام بمراقبته بشكل مباشر لكي يكون على حذر فيحاول عدم ارتكاب أي خطأ لشعوره بهيبة الأب وخشيته منه.

أما الأحداث والبالغون فقد يلجأون إلى التمرّد فيما لو شعروا بوجود مراقبة مباشرة لهم فيلجأون إلى معارضة الأب والتكتم على نشاطاتهم وأفعالهم وهذا يضرّ الأب والولد أيضاً والتكتم على نشاطاتهم وأفعالهم وهذا يضرّ الأب والولد أيضاً.

فهم في مرحلة قادرون معها على اللجوء إلى المكر والخداع والتستر، فلا يقدر الأب أن يكتشف حقيقة أفعالهم.

لذلك ينبغي أن تكون المراقبة سريّة وبعيدة عن الأنظار خاصة لأصدقاء الولد لأنهم سيلجأون إلى إثارة الولد ودفعه إلى التمرد والعصيان.

والخلاصة فإنّه من الصعب جداً تحقيق المراقبة المباشرة للأحداث.

عند حصول الخطأ والانحراف:

قد يخطىء أولادكم لدىٰ إقامة العلاقة مع الآخرين فلا يملكون لأنفسهم أصدقاءَ جيدين. وفي مثل هذه الحالات فإنّ من وظائف الأب تحذير الولد وتنبيهه كي يترك هذه الصداقة.

ويمكن للأب أن يستعين بأسلوب الإكراه والتهديد بالنسبة للأطفال الصغار لكنه لا ينفع مع الأحداث والبالغين، بل لا بدّ أن يكون بأسلوب جميل وبلهجة مؤثرة.

فالتوجيهات لا بدّ أنْ تكون متينة وقائمة على الود وتكشف عن طموحاتكم وتوقعاتكم من أولادكم، وأن تكون في نفس الوقت قوية وقاطعة لكي يشعر الولد بضرورة تنفيذها.

على الوالدين أن يحذرا كثيراً من أصدقاء السوء فلا يهملان هذا الموضوع أو يتركانه على أمل أن يشعر الولد ذاتياً بمضار ذلك فيعود إلى رشده، لأن ذلك سيؤثر على نموّه وتكامله.

ويمكن الاستعانة بالمدرسة أو بوالدي الأصدقاء المنحرفين لحل هذه المشكلة وإطلاع الآخرين على مخاطر هذه العلاقات.

ولو استطعنا أن نبني أولادنا من خلال عدم تأثرهم بالمجموعة لأمكننا إلى حدٍّ كبير أن نفسح المجال أمامهم ليتأثروا بالكبار.

المرافقة إضافة إلى المراقبة:

لا توجد أية ضرورة لأن تؤدي المراقبة إلى تعكير العلاقة بين الأب وولده، إذ يمكن للأب أن يكون مرافقاً لولده وأنيساً له، وعليه ـ في نفس الوقت ـ أن لا ينسىٰ مسؤوليته في المراقبة.

ومن الأساليب الأخرىٰ في مرافقة الأولاد هو اختيار أشخاص من بين الأقرباء والأصدقاء يحملون ذات الفكر والثقافة لكي يجالسوا أولادكم ويعاشروهم.

يجب على الأب أن يبذل جهده في اختيار قرناء ومعاشرين صالحين لأولاده، ولا يتجاوز في ذلك حدود الحق والأخلاق. فالمعاشرة مطلوبة بذاتها، ولكن بشرط أن تقوم على ضوابط ومعايير مدروسة لكي تساهم في تنمية الأخلاق والمبادىء والسلوك الصحيح عند الأطفال. كما يجب عدم إهمال المراقبة أيضاً من أجل أن نمنع الانحراف.

الفصل الخامس والثلاثون

الأب واهتمامه بدراسة أولاده

جهل الإنسان وحاجته إلى العلم:

يولد الإنسان جاهلاً، لا يعرف شيئاً عن ظواهر هذا الكون، والمواقف التي ينبغي إتخاذها. وإننا مكلفون بتوعية هذا الإنسان إلى أن يزول جهله ويصبح عالماً واعياً.

ويكتسب الطفل المعلومات من خلال إرتباطه بوالديه إضافة إلى أجهزته الحسية، ويتمكن من خلال استخدام حواسه أنْ يرىٰ الأشياء ويسمع الأصوات ويدرك الأمور ويعي طعمها ورائحتها ووزنها وحجمها وألمها.

فالمهم هو قيام المربي بتوجيه الطفل لأن ينظر جيداً ويدرك بدقة، وينقل إليه العلائم والأدلة ويطالبه بتحليلها وتفسيرها على أكمل وجه. ويعلمه تلك العلاقة القائمة بين العلة والمعلول بما يناسب سنّه وفهمه واستيعابه الذهني.

أهمية الوعي:

إن المعرفة ما هي إلاّ مقدمة للقدرة. ولا سبيل أمام الإنسان الذي تواجهه آلاف الظواهر المختلفة إلاّ أن يكون عالماً وواعياً يدرك كيف يتعامل مع الأشياء ولا يكون حائراً عندما تواجهه.

فالجهل هو سبب العديد من الأعمال السيئة والتصرفات القبيحة والمفاسد والانحرافات. وإن العلم النافع يؤدي حتىٰ إلى ظهور الإيمان أيضاً.

يحتاج الطفل في مستقبله (القريب) إلى فلسفة واضحة لكي يعي كيفية اتخاذ المواقف والتعامل مع الأشياء. وهو الوريث الأول لجهود الناس والمنتفع بها، وعليه أن يصل إلى مستوىً من الكمال يؤهله لتقديم خدماته للناس.

إنه بحاجة لتعلم طريقة استخدام الأشياء والتعامل مع الظواهر، وبذل جهده ـ فيما لو أمكنه ـ لإغناء التجارب. وأن يحاول في بعض الأحيان إختراع وسائل جديدة وأشياء نافعة تضاف إلى قائمة الظواهر، ويسعىٰ من خلال ذلك إلى تعبيد الطرق الوعرة وتحقيق الخير والسعادة لأبناء جنسه.

ولا بدَّ أخيراً من الوصول إلى تلك المرحلة التي تمكنه من الدفاع عن نفسه وأفكاره، ويعرف شأنه ودوره، ويبذل جهده ليحيا حياة شريفة، ويبتعد عن عوامل الانحراف، ويعصم نفسه من السقوط في مستنقع الدناءة والرذيلة.

دور الوالدين والمربين:

للوالدين دورٌ أساسيٌ في توفير الوعي الضروري للحياة. ولا شك أن للأمّ دوراً مهماً داخل البيت في نقل الوعي والتعريف بمختلف الظواهر، لكنه يبقىٰ للأب ذلك الدور المتميّز في البناء الفكري والمعرفي.

فالأم تعرِّف الطفل بالأشياء التي تحيطه بينما يقوم الأب بتعريفه بالمحيط الخارجي وكل ما هو موجود في هذا العالم وله طبيعة علمية.

وبشكلٍ عام فإن الأم مسؤولة عن معرفة الأشياء والعلاقات، والأب يقدّم دروساً لطفله في الأخلاق والآداب والجرأة والاقتدار والبناء.

ومنذ تلك السنوات التي تتضح فيها شخصية الطفل، أي منذ انتهاء السنة الثالثة، يمارس الأب دوراً آخر إضافة إلى أبوّته. فهو معلم لولده الذي سيسأله عن كل شيءٍ لأنه يتصوره عالماً بكل شيء ولا مثيل له.

وينظر الطفل إلى والده بأنه يجسّد عالمه الخارجي، ويقدر أن يشرح له كلّ ما هو موجود في هذه الدنيا ويتحدث له عن الفوائد والمضار. وأن

المعلومات التي يقدمها الأب لولده ستترسخ في ذهنه دائماً وأبداً فتساهم في نشأته ونموّه الفكري.

ثم يأتي دور المدرسة فيذهب الطفل في سن معينة إليها ليجدَ مساعداً لوالده وأباً ثانياً يمارس دور الأبوّة بشكلٍ أفضل. وهذا هو المعلم الذي سينقل المعلومات بشكل آخر إلى الطفل ويطالبه بأن يتعلمها ويمتحنه بها (يختبره فيها).

ضرورة الاهتمام:

تقع على الأب وظيفة مهمة في انتخاب مدرسة جيدة لولده ومعلم كفوء، وأن لا يغفل عن دراسته أبداً. أمّا أهم الاهتمامات فيمكن درجها ضمن النقاط التالية:

١ - **إنتخاب المدرسة:** إن أهم وظيفة للأب هي اختيار أفضل مدرسة لولده تناسبه وتليق به «وان تضعه موضعاً صالحاً»، وسبب ذلك هو ما للمدرسة من دور مهم وأساسي في بناء شخصية الطفل وأفكاره. فما أكثر الأطفال الذين ظلّوا ملتزمين بكل ما تعلموه من المدرسة بينما نسوا ما حصلوا عليه من البيت.

والمدرسة هي أفضل مكان لتحقيق المعاشرة وإقامة العلاقات الواسعة. وإنّها توفّر فرصاً جيدة لتكامل الإنسان أو تسلبه تلك الفرصة فينشأ محطماً منحطاً. كما إنّها قادرة على أن تجعله إنساناً ملتزماً بالقانون ومدافعاً عنه أو أنْ يكون عاصياً ومتمرداً.

فالجو الأخلاقي للمدرسة، والمستوىٰ العلمي لها، وسعتها، وجمال غرفها ومناضدها ومقاعدها أو قبحها، والأجهزة والوسائل المستخدمة فيها تؤثر بأجمعها علىٰ الطفل.

٢ - **انتخاب المعلم:** قلنا ان المعلم يؤدي وظيفة الأب في المدرسة، ويُلقّن الطفل ممارسات وأساليب خاصة. وقد تؤثر في الطفل توجيهات المعلم - غير تلك التي في الكتب الدراسية - وتصرفاته وإلتزامه وانضباطه وأسلوبه المستخدم مع الأولاد.

وما أكثر المدارس التي نراها قد عيّنت المعلمين مسبقاً فيضطر طفلكم ليتعلم على يد هذا المعلم لا غيره سواء كان جيداً أو سيئاً.

ولا بدّ ـ والحال هذه ـ من مصادقة المعلم والارتباط به لكي تأمنوا تلك الآثار السلوكية والتعليمية السيئة. وأن تتعاونوا مع الآباء الآخرين في تقديم النصائح والإرشادات له لتساعدكم في العمل التربوي.

٣ ـ الإهتمام بدراسة الولد: من الضروري أن يهتم الأب بدراسة ولده فيدفعه لتعلم تلك الأمور التي يحتاج إليها في المستقبل. وينبغي أن يكون هذا الحديث الوارد عن الإمام علي (ع): «مَنْ لم يتعلم في الصغر لم يتعلم في الكبر» نصب أعين الآباء.

ويتأكد هذا الاهتمام بالنسبة للناشئين لأنهم يفضلون عادة النشاطات الأخرىٰ على الدراسة ويقضون جُلّ وقتهم فيها مما يؤثر سلباً على مستواهم الدراسي والتعليمي. وإن اللاإبالية لها نتائج سيئة على مستقبل الطفل.

٤ ـ الحذر من الكسل: ينبغي على الآباء أن يحذروا من إصابة أولادهم بالكسل، ولكن في نفس الوقت عليهم أن لا يطالبوهم بما يفوق طاقتهم. فالكسل يقضي على ظاهرة حب التطلع لدىٰ الطفل ويحول دون تقدمه.

وقد يكون للكسلِ مخاطر أخرىٰ لا ترتبط بدراسته فتجرّه مثلاً إلى الانحراف وممارسة الجريمة مما يسبب ذلك في إيجاد مشاكل معقدة في حياته الحالية والمستقبلية.

فليس من الصحيح أن يقف الأب موقف اللاإبالي أزاء تعلم طفله ودراسته لأن الطفل لا يمكنه أن يدرك العواقب الخطيرة لعمله هذا.

كما عليه أن لا يمنعه أيضاً من الحركة ويقف بوجه شراسته وعناده لأن ذلك دليلٌ على زيادة عقله، فقد ورد في الحديث الشريف أن: «عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره». فالقراءة والكتابة والتعلم إنما هي أمور تختلف عن اللعب والحركة.

٥ ـ الإهتمام بتوفير مستلزمات الدراسة: تقع على الأب مسؤولية توفير

الظروف والمستلزمات المطلوبة لدراسة الولد. ولا تقتصر هذه المستلزمات على الكتابة والدفتر والقلم، بل إنها تشمل تهيئة المكان المناسب للدراسة والتفرغ إليها براحة بال.

فحريٌّ بالأب أن يوفّر أو يهيء مكاناً لولده ليقرأ فيه دروسه ويكتب واجباته. وأنْ يمنع الأطفال الصغار من الحضور في ذلك المكان في ساعات العمل، وأن يكون ذا إنارة جيدة، وأن يمتنع من التحدث إلى ولده في تلك الساعات ولا يكلّفه بشيء، وأنْ يساعده فيما لو تمكّن من ذلك.

ومن مستلزمات الدراسة أيضاً أن يكون محيط الأسرة مناسباً لهذا العمل. فالأطفال الذين يعيشون في أجواء أسرية مشحونة بالصراع والنزاع والاختلاف بين الأب والأم لا يمكنهم أن يمتلكوا الاستعداد الكافي للدراسة والتعلّم.

وتسري هذه الحالة أيضاً على تلك العوائل التي ينعدم فيها الحب والود بين أفرادها.

التعاون مع المدرسة:

تعتبر المدرسة البيت الثاني للطفل، وتقع على الأب مسؤولية تأثيث هذا البيت الذي سيقضي فيه الولد جانباً من وقته.

وحري بالآباء أن يكونوا على اتصال دائم مع المعلمين فيتحدّثوا معهم ويتباحثوا بشأن أولادهم لتحقيق نموّهم وتكاملهم وحل المشاكل التي تعترضهم.

فتربية الولد بحاجة إلى تعاون الأب مع المدرسة وبذل جُهْدِه وتفكيره، ومساعدة المعلمين من أجل الوصول إلى أفكارٍ مشتركة في هذا الشأن.

كما يمكنه من خلال تعاونه مع المدرسة أن يراقب تحركه وذهابه وإيابه ومعاشريه من الأصدقاء وتقدمه في الدراسة.

ومن أساليب التعاون الأخرىٰ مساهمة الوالدين في تأثيث المدرسة وأقسامها المختلفة كالمختبر والمكتبة وورشة العمل، وتقديم المعلومات

المطلوبة للمعلمين بشأن أولادهما وترميم الصفوف الدراسية ومختلف المرافق الأخرىٰ. وسوف يترك هذا الإنجاز أثره الكبير علىٰ حياة الطفل أيضاً.

حدود التوقّع:

رغم الجهود التي يبذلها الأب في مجال تربية ولده، عليه أن يعلم بأنّ المدرسة لا تؤدي الوظيفة التربوية بكاملها، ولا يحق له أن يترك ولده للمدرسة ويبرّىء ذمته. فالآباء مسؤولون شرعاً عن تربية أطفالهم، وإن الخالق جلَّ وعلا يحاسبهم علىٰ هذه المسؤولية، وإنهم سيتحملون كامل المسؤولية فيما لو فرّط المعلم أو المدرسة بهذه الوظيفة.

لذا ينبغي أن تكون توقعاتنا منطقية وطموحاتنا واقعية وأن يتحلّىٰ الآباء بالصبر ليعوّضوا عن النقص ويحلّوا مشاكل أولادهم التربوية والأخلاقية. وأن يسخّروا بعض وقتهم لهذا الأمر حتىٰ يصل الأولاد إلى ذلك المستوىٰ المطلوب من البناء.

الفصل السادس والثلاثون

الأب واهتمامه بالحاجات الحياتية

جذور الخلل:

يمكن العثور على جذور العديد من الاضطرابات والانحرافات في النقص أو ما يعبّر عنه بالإفراط والتفريط. فالإنسان هو ذلك الكائن الذي تحيطه الحاجات والميول. ويبذل البعض جهوداً مدروسة وصحيحة من أجل توفير تلك الحاجات، ولكن البعض الآخر ليس كذلك.

ويمكن للأعراض الناشئة بسبب التوفير الخاطىء للحاجات أنْ تؤدي إلى حدوث انحرافات مختلفة وظهور بعض النواقص الأخرىٰ. لذا فإن من وظيفه الأب هو أن يبذل جهده لتوفير هذه الحاجات.

مجالات الإهتمام:

ثمة اهتمامات عديدة في المجال الحياتي ينبغي على الأب أنْ يلتفت إليها، لكننا سنشير فيما يلي إلى بعضٍ منها:

١ ـ **إهتمامه بالمأكل:** تقع على الأب وظيفة الاهتمام بغذاء الطفل. وأول خطوة هي اهتمامه بطفله الرضيع حتى يستخدم ثديي أمّه، بل وفرض الإسلام على الأب أن يقدم الأجر للأم فيما لو طالبته بذلك.

ويساهم الغذاء في بناء روحية الطفل وسماته الأخلاقية، حيث ان قابلية القيام بالأعمال الصالحة تعتمد ـ كما يشير القرآن ـ على اللقمة الحلال والطعام الطاهر.

فالغذاء يؤثر على البناء الجسمي والذهني للإنسان، وان النقص في بعض المواد الغذائية يؤدي إلى حدوث قصور وتخلّف حتىٰ في الذكاء أيضاً. وقد أكّد الإسلام على الأب بضرورة إشباع عين الطفل وقلبه، وأنْ يطعمه من مختلف الفواكه الموجودة لكي يمنع انحرافه ونظره إلى أيدي الناس، أو أن يخسر الولد نفسه من خلال لقمة يتناولها عند الآخرين فيستسلم لهم، وهنا أمثلة عديدة على ذلك.

٢ ـ **الإهتمام بالملبس**: إن جميع الآباء يهتمون بتوفير الملبس لأولادهم ويجب أن لا ننسىٰ بأن الإسلام أكّد على ذلك كثيراً.

وتكون الملابس في سنوات الطفولة المبكرة وسيلة لوقاية الجسم من البرد والحر والمحافظة على صحة الطفل. لذا ينبغي أن تكون الملابس الداخلية بيضاء كي تكشف عن النظافة أو عدمها.

ومنذ انتهاء السنة الثالثة لا بدَّ أن يكون الاهتمام بالملبس وفق ذوق الطفل لأن ذلك سيشعره باللذة. ويؤكد الإسلام علىٰ ضرورة أن لا يؤدي الملبس إلى انحراف المرء ذاته أو قيامه بحرفِ الآخرين. ويرفض في نفس الوقت استخدام ملابس الذكور للإناث وملابس الإناث للذكور. ويحذر أيضاً من استخدام تلك الملابس الضيقة اللصيقة بالجسم سواء للذكور أو للإناث لتأثيراتها الأخلاقية والحياتية السيئة.

ويجب على الوالدين أن لا يختارا لباس الطفل طبقاً لذوقهما، فيلبسانه ثوباً يثير السخرية أو لا يليق به، وعليهما أن يسعيا لأن ترتدي البنت منذ صغرها حجاباً مناسباً حتى لا تتنفر منه في السنوات القادمة.

٣ ـ **الإهتمام بالنوم والاستراحة**: يمكن من خلال النوم تحقيق الراحة والسكون. وتعتبر الاستراحة من العوامل المهمّة في استعادة القوىٰ والقابلية على ممارسة العمل. ويشعر الإنسان بالأذىٰ والاضطراب بسبب عدم النوم أو الحصول على الاستراحة الكافية. وثمة مفاسد سلوكية وخلقية عديدة تعتري الإنسان بسبب إصابته بالتعب الجسمي أو الذهني المفرط ولا يمكن معالجتها إلاّ من خلال استراحة طويلة.

يجب على الآباء تنظيم عملية استراحة أولادهم ونومهم، فيطلبوا منهم

مثلاً النوم مبكراً في الليل بعد الانتهاء من واجباتهم. كما توجد ملاحظات عديدة في موضوع النوم يجب على الآباء الاهتمام بها. إذ لا بدّ من رعاية الآداب الإسلامية، كالنوم على الظهر وإخراج الرأس واليدين من تحت الغطاء وعدم التقلّب في الفراش، وارتداء الملابس المريحة عند النوم؛ وإنّ هذه الأمور تمنع العديد من الانحرافات.

كما ينبغي التفريق بين الأولاد في المنام وإبعادهم عن غرفة نوم الوالدين، وقيام الأب والأم بالإشراف على موضع نوم الأولاد ومراقبتهما لهم، والطلب منهم بترك الفراش مباشرة لدى الاستيقاظ والذهاب إلى الفراش متى ما شعروا بالنعاس. وتعتبر هذه الملاحظات مهمة لا بدّ من الاهتمام بها ورعايتها لتأثيرها على صلاح الطفل خلقياً وتربوياً.

٤ ـ **الإهتمام بالصحة والنظافة:** وهذه أيضاً من الوظائف الرئيسة للوالدين، ويجب على الأب أن يهتمّ بنظافة ولده لأن النظافة من الإيمان. وان الصحة النفسية تمنع العديد من الأمراض النفسية.

وقد تظهر بعض الأعراض بسبب عدم مراعاة مبادىء الصحة والنظافة، فمثلاً حري بالأب أن يهتمّ بنظافة ولده الذكر عند قضاء حاجته، وأن يراقبه في الحمام وفي بيت الخلاء حتى لا يعبث بأعضائه التناسلية. وأنْ يحذره من تعريض جسمه للأشياء الملوثة وأنْ يغسل جسمه بالماء الدافىء، ولا يلجأ إلى حك بشرته.

٥ ـ **الإهتمام بلعب الطفل وحركته:** يحتاج الطفل إلى اللعب والحركة والركض من أجل تحقيق نموّه واكتشاف عالمه الجديد وتنمية عضلاته واكتساب المهارة البدنية اللازمة والاطلاع على قابلياته واستعدادته.

ويجب أن تكون للطفل حرية مقيدة ومحدودة في مجال لعبه تناسب كفاءته في استخدام تلك اللعبة وأدائها. وتقع على الأب مسؤولية الاهتمام بنوع اللعب وزمانه ومكانه والجماعة التي يلعب الطفل معها.

فاللعب والحركة نافعان ولكن بشرط أن لا يصرف الطفل جلّ وقته في اللعب. وأن يكون اللعب مناسباً لسن الطفل ويدفعه للصلاح والفضيلة لا أن يُفسد أخلاقه ويجرّه إلى الإنحراف.

وأن يكتشف الطفل في ظل اللعب عالمه الخاص ويبني إرادته ويعي حدّه وقدره.

٦ - **الإهتمام بالسمع والبصر:** قلنا إن حواس الطفل هي كالنوافذ المفتوحة على العالم الخارجي، فتساهم في زيادة معرفته. وما أكثر الإنحرافات والدروس السيئة التي يقتبسها الطفل بسبب سمعه وبصره فتؤدي به إلى الإنحطاط والسقوط.

ليس صحيحاً أنْ يسمع الطفل ما طاب له من كلام أو يقرأ ما استهواه من كتب أو ينظر إلى ما يريد من مشاهد، إذ يجب الاهتمام بسمع الطفل ونظره، ويمكننا أن نقول عن الكتب والمقالات المنحرفة بأنّها كاللصوص تسرقُ ثمرة عمل الأب وجهده.

وإسلامياً لا يحق للوالدين أن يُنظرا طفلهما الرضيع إلى بعض ممارساتهما. فهو قد لا يفهم ما يشاهده في الوقت الحاضر بَيْدَ أنّه سيدركه غداً ويعمل به ويتمرّن عليه.

٧ - **الإهتمام بالسلوك:** إن أطفالنا أعزاء طبعاً، ولكن بشرط أنْ يكونوا مؤدبين وملتزمين بالقواعد والأصول، فقد جاء عن الإمام علي (ع) قوله: «مَنْ قلَّ أدبه كثرت مساويه».

يجب على الأب أن يهتمّ بسلوك ولده فلا يسمح له بالتجرؤ عليه حتى لو كان صغيراً. فهو مسؤول عن بنائه الديني والخلقي والاجتماعي بل وحتىٰ السياسي. وقد جاء عن الإمام الحسن العسكري (ع) قوله: «جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره».

والمقصود بالأدب والأخلاق هي تلك المبادىء والأصول التي يؤمن بها الآباء فيقدمونها لأولادهم ويحافظون بواسطتها على أمنهم ويوفرون مقدمات كمالهم، لا أن يلجأوا إلى تفريغ عقدهم بها.

٨ - **الإهتمام بالأوامر والنواهي:** الأصل هو أن تقوم الحياة وفق أسس عادية وطبيعية دون الحاجة إلى الأوامر والنواهي غير أنّه قد تحدث بعض المشاكل التي لا يمكن حلّها إلاّ من خلال هذا الطريق.

والشيء المهم هو أن يتناسب الأمر والنهي مع استعداد الطفل واستيعابه وقدرته على البناء، أي أن لا يكون فوق مستوىٰ طاقته وإدراكه وفهمه. وأن يُراعىٰ في ذلك حاجة الطفل إلى النمو والتكامل.

ينبغي أن تكون أسس التربية في مراحل الطفولة الأولىٰ بصورة جيدة، لكي لا يحتاج في مراحله القادمة أو في مرحلة النشوء والبلوغ إلى الأوامر والنواهي الكثيرة لأن ذلك قد يؤدي به إلى العصيان. فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله أنّه لُعِنَ الوالدان اللذان يضطران ولدهما إلى عقوقهما بسبب ممارساتهما.

ملاحظات:

يعتبر الإهتمام بالولد ضرورياً بسبب اتساع دائرة رغباته التي تقوم على ما يسمعه ويشاهده. وإن مصير الأطفال أو الأحداث أو الشباب المحرومين من هذه الإهتمامات هو الإنحراف والعصيان والتمرّد وعدم تحقيق البناء الفكري المطلوب.

ولا يوجد شك في أن الوالدين مسؤولان عن الطفل لكن المسؤولية الكبرىٰ والمباشرة هي مسؤولية الأب وعليه أن يكون النصير لولده والمعين له والموجّه لشخصيته ويقود زمام أموره.

ولا بدّ أن يستمر هذا الاهتمام والتوجيه حتى السن الحادية والعشرين كما أوصىٰ بذلك الإسلام. إذ لا حاجة بعد ذلك لعملية التوجيه والهداية.

وينبغي تعليم الطفل وهدايته منذ مرحلة الطفولة وعدم الغفلة عن ذلك بحجة فقدان الوقت الكافي أو أن الولد لا يزال صغيراً.

وان الطفل الذي يعمل ما يحلو له ويتصرّف كيفما يشاء سينتظره مستقبل حالك، وسوف يُحرم من أداء دوره في الحياة.

بعض المحاذير:

وأخيراً فقد ارتأينا أن نلفت نظر الآباء إلى بعض المحاذير المهمة منها:

١ - لا تدللوا الطفل فينشأ ذا أخلاق فاسدة وتربية منحرفة وعندها ستندمون في المستقبل.

٢ - يجب على الولد أن يكون حراً ولكن بشرط أن لا يمارس حريته في تحقيق رغبات باطلة.

٣ - الكلام اللين أكثر تأثيراً من الأمر والنهي.

٤ - إمنعوا تأثيرات ولدكم على الآخرين فيما لو كان عنيفاً وظالماً.

٥ - استعينوا بالقصص الأخلاقية لتربية الطفل وحذّروه في بعض الأحيان.

٦ - ضعوا البرنامج الحياتي منذ مرحلة الطفولة على ضوء أسس معينة لكي لا تواجهكم الصعوبات في المستقبل.

٧ - شجّعوا أولادكم على الالتزام بالأخلاق الحسنة ولكن بأساليب جميلة.

٨ - استعينوا بالآخرين على تربية ولدكم فيما لو كنتم غير قادرين على إصلاحه بسبب أفكاركم ومعلوماتكم المحدودة ولا تهملوا أمر تربيته أبداً.

٩ - مارسوا تعاملاً مختلفاً مع أولادكم الأحداث والبالغين، فأكرموهم لأنهم وزراؤكم ومستشاريكم.

١٠ -انتبهو دائماً إلى حال الطفل ومستقبله وافرضوا أنفسكم في مكانه لكي تكون الصورة واضحة في أذهانكم عن الشاب الذي تبغونه...

الباب العاشر

توقعات الطفل من الأب

يتوقّع الطفل من والده أموراً كثيرة أهمها ـ بعد توفير حاجاته الأساسية ـ، العدل والمساواة والود والتفاهم والإحترام والقوة إلى جانب اللين.

فالطفل بحاجة إلى عدالة الأب ومساواته. وهو يطالبه بأن يفي بعهده ووعده ويشمله بعطفه ويقبله كما هو. وأن يكون عادلاً حتىٰ في العقاب الذي يستخدمه معه.

ويطالب الطفل والده باحترامه أيضاً وأن يراعي موقعه ومكانته بين الآخرين. وهذا أمرٌ ملحوظ في الإسلام أيضاً، إذ كان رسول الله (ص) القدوة المتكاملة في هذا الخصوص. وانه بحاجة إلى إلفته وتفهمه وأن يكون قريباً منه من خلال كلامه الجميل رغم قاطعيته.

وأخيراً فإن الطفل يريد أن يكابر نفسه ويكون عنيداً بحيث يستخدم اقتداره ويمارس قوته فقط من أجل إرشاد الطفل وهدايته.

وقد حاولنا طرح مواضيع هذا الباب مع مراعاة الاختصار والإجمال.

الفصل السابع والثلاثون

العدالة والمساواة

الأب في أسرته:

الأب هو رب الأسرة ومثال العدل والانضباط فيها، وإن وجوده يعني القانون بذاته والمسؤول عن النظم والانضباط والعدل.

وعندما يكون الأب حاضراً على رأس أولاده في البيت فإنّهم سيمارسون وظائفهم باطمئنان وثقة أكبر، ويحاولون أن تتطابق أعمالهم وتصرفاتهم مع ضوابط وقرارات الأسرة.

صحيح أن الطفل يخشى أمّه أيضاً، لكنّ هذه الخشية في حقيقتها ليست إلاّ بسبب بعض الاهتمامات المتبادلة. فهو يطيعها ويستمع لأوامرها بسبب حبّها واهتمامها به. أما خشيته من الأب فإنها تنبع من خشيته وسيطرة هذه الخشية على القلوب.

إنّه يطيعه لإدراكه بأن والده هو المسؤول عن عملية التأديب وتنفيذ القرارات والضوابط.

الحاجة إلى العدالة:

يقبل الأطفال لاشعورياً بسلطة الأب وهيبته، وقد اعتادوا على قبول القرارات والضوابط الصادرة عنه. غير أن العدالة هي الشيء المهم بالنسبة لهم. إنّهم يريدون أن يجسّد الأب العدالة في تطبيق الضوابط ورعاية القوانين، فتتوفّر بذلك الأرضية الملائمة لشعور الطفل بالفخر والاعتزاز وتستقر أعماقه ولا يبالي حتى لو تعرّض للعقاب من أجل ذلك الشيء.

إنّ أغلب الاضطرابات والصراعات التي تعتري الأطفال في الأسرة إنّما تنشأ من الشعور بالفارق وانعدام المساواة داخل الأسرة أو الإحساس بالظلم. فالطفل يتصور بأنّه تعرّض إلى تقييم مجحف أو أن العدالة لم تراع في العقاب الذي تعرّض له.

وتكمن أسباب الاضطراب في سلوك الطفل في عوامل عديدة منها الشعور باللامساواة في اتخاذ المواقف. كما ويؤثر في الطفل شعوره بالملل بسبب التحقير والتدخل والممارسات السيئة فنراه يرغب من أعماقه بأن يراعىٰ مبدأ المساواة بشأنه.

أهمية العدل في الحياة:

إنّ أفضل عبارة تعكس أهمية العدل هي هذا الحديث الوارد عن رسول الله (ص) إذ يقول فيه: «العدل جُنَّة واقية وجَنّة باقية». وإن العدالة تنظم حياة الطفل فلا يمكنه مواصلة حياته بدونها، وهي ضرورية لأن تكون درساً له، ويعتاد عليها، إضافة إلى أنه مفطور عليها أيضاً.

ويطالب الطفل بالعدالة الحقيقية وهي تلك التي يشعر بها في أعماقه وتولد معه. كما أن الإسلام أكّد على ضرورة العدل بين الأولاد؛ فقد ورد في حديث عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «أعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم».

رعاية المساواة:

تعتبر المساواة من مظاهر العدالة. وينبغي على الأب أن يساوي بين أطفاله وأفراد أسرته خاصة في إظهار الحب والود فلا يفضّل أحداً على الآخر. فالأطفال حساسون جداً لهذا الأمر حتىٰ أنهم ينتبهون إلى الكلمة الإضافية الصادرة منكم.

وقد تكون ثمة حاجة في بعض الأحيان للتمييز بين طفلين ووضع فوارق بينهما، فيجب في هذه الحالة توضيح السبب للطفل بلغته لكي يفهم ذلك؛

فلا يقوم قوام الأسرة إلاّ علىٰ المساواة والعدل بين الأطفال، خاصة

وانهم يحملون رغبات عديدة. ويتأكد هذا الدور للأب قبل غيره. صحيح أن على الأب أن يمارس اقتداره أيضاً، ولكن بشرط أن لا يثير ذلك إحساساً عند الطفل بأن ممارسات الأب تعارض الأصول والمبادىء وانه يخطو خلافاً للعدالة. فهذا الإحساس ضروري للطفل وانه سيكون مستعداً للقيام بأي عمل داخل البيت ـ مهما كان صغيراً ـ بشرط توفّر العدالة.

مظاهر عدالة الأب:

يستطيع الأب أن يكشف لطفله عن عدالته من خلال صور مختلفة نشير إلى بعضها فيما يلي:

١ ـ الوفاء بالقول والعهد: من مظاهر عدالة الأب في نظر الأطفال الوفاء بالعهد والتطابق بين القول والعمل. فلا يليق به أن يَعِدَ الطفل ثم لا يفي بوعده. وإن عدم الوفاء يدفع الطفل ليحمل انطباعاً عن والده بأنه كاذب وغير عادل.

وقد أكّد القرآن الكريم على ضرورة الوفاء بالعهد **﴿وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولا﴾** كما جاء عن رسول الله (ص) قوله: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعد». وورد عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) قوله: «والخلف يوجب المقت عند الله والناس». وقد أوصانا رسول الله (ص) بضرورة الوفاء بالوعود المعطاة للطفل: «فإذا وعدتموهم ففوا لهم».

ثم جاءت بقية الحديث لتوضح «فإن الله لا يغضب لشيءٍ كغضبه للنساء والصبيان».

وتربوياً ينبغي أن تكون الوعود صادقة ومناسبة، فليس صحيحاً أبداً تقديم الوعود الكاذبة، أو تلك التي تطمّع الطفل فيستسلم لوجهة نظر معينة أو نزيد من شأننا بواسطتها.

٢ ـ إظهار الحب: من مظاهر عدل الأب أن يساوي في إظهار حبّه لأطفاله فلا يهتمّ بواحدٍ ويترك الآخر.

وقد اعترض رسول الله (ص) على شخص كان له ولدان عندما شاهده يقبّل أحدهما دون الآخر. فهذه التصرفات تجعل الطفل يشعر بالقلق

والغضب في نفس الوقت على الطفل الآخر إضافة إلى غضبه على والده.

وذات يوم شاهد رسول الله (ص) الإمام الحسن (ع) وهو طفل صغير يستيقظ من نومه ويطلب الماء، فأحضر له الرسول الأكرم (ص) اللبن، في هذه الأثناء استيقظ الإمام الحسين (ع) وطلب الماء أيضاً، ولكن الرسول أجابه بأن شقيقك الأكبر سبقك في هذا الطلب وينبغي أن يشرب أولاً؛ ولم يفلح الإمام الحسين في محاولاته لأخذ اللبن من يد جده الرسول الأعظم (ص).

يلجأ بعض الآباء بشكل لاشعوري إلى وضع الفوارق العملية بين الأولاد. فمثلاً نراهم يحملون الطفل الصغير أو يحتضنوه على مرأىٰ ومشهدٍ من الطفل الآخر.

٣ ـ قبول الأولاد: من مظاهر العدالة قبول الأولاد على أساس المساواة دون التمييز بينهم بالجنس، إنهم يريدون أن يقبلوا على أساس مبدأ المساواة (ذكوراً كانوا أم إناثاً) ولا يفضّل أحداً على الآخر في الحب والبغض بسبب جماله أو قبحه.

ونرىٰ في الأسر التي لها إبن واحد وعدد من البنات كيف إنّها تهتم به على حساب شقيقاته مما سيبرز بشكل لاإرادي شعوراً بالتمييز. وسوف يتألم الطفل كثيراً لهذا السلوك خاصة وانه غير مسؤول عن جنسه.

فالأولاد الذين يشعرون بالتمييز بسبب الجنس، أو الجمال والقبح أو اللسان الجميل لا يمكنهم أن يكونوا أفراداً نافعين ومواطنين صالحين في مجتمعاتهم، وسيكونون فاشلين في مستقبلهم. وسوف يحاولون عندما يكبرون ويمتلكون القوة المطلوبة، نقل بؤرة التمييز من الأسرة إلى مواضع أخرىٰ. فيصبحون معقدين ومتمردين على القانون وسيئي التصرف مع الآخرين خاصة مَنْ هم تحت أيديهم.

٤ ـ المماثلة: يتوقع جميع الأطفال تقريباً أنّهم سيتعرضون للعقاب في حال ارتكابهم لخطإٍ معين. وان ما يقلقهم ويؤلمهم هو عدم المماثلة في نيل العقاب بينهم وبين الآخرين.

نرىٰ أحياناً أن الطفل الصغير الذي تنازع مع شقيقه أو شقيقته وكان

مقصّراً، يحاول التقرب من والده متى ما عاد من عمله فيلقي بنفسه في أحضانه ويبث إليه شكواه. ويتخذ الأب قراراً متسرعاً دون أن يحقق في الموضوع فيعاقب المشتكىٰ عليه ظلماً. وتؤدي هذه العملية إلى تأجج الغضب عند الأخير فينال من الجميع ويردد كلمات الفحش. يجب على الأب أن يلتزم بقواعد متماثلة وضوابط متشابهة في المعاقبة. وأن يحدد العقاب للأخطاء والذنوب المتشابهة، فلا يتصرّف بشكلين ازاء خطإٍ واحد أو يعفو عن أحدهم بينما يعاقب الآخر بشدة.

مخاطر الظلم والتمييز:

يؤثر الظلم والتمييز بشدة على براءة الطفل فتتوهج في أعماقه نيران الغضب والحقد ويلجأ إلى الانتقام. وسوف تجرح أحاسيسه ومشاعره فينال ذلك من عقله وإيمانه أيضاً.

وقد يؤدي التمييز بالطفل لأن يكون عدوانياً إزاء مجتمعه أو أنْ تصدر منه ممارسات قبيحة، فيمتنع عن قبول الحقائق ويدفعه ذلك إلى اللجوء إلى الانتقام وكثرة الطلبات وتتبع عثرات الآخرين وعيوبهم.

كما يؤدي الظلم والتمييز أحياناً ببعض الأطفال للإصابة بالكآبة والانطواء على النفس والاستغراق في الذات، أو الإصابة ببعض العقد العويصة وظهور الغيرة والتمرّد والعصيان، أو يكون سيءَ الظن ولاإبالياً فاقداً للثقة بنفسه.

ويلجأ الطفل أحياناً بسبب هذه الحالة إلى ممارسة أعمال متطرفة وشرسة فنراه هجومياً وعدوانياً مثلاً لشعوره بأنّه تعرّض للإهانة والاحتقار ويقدم على أعمال قبيحة للتخلص من هذا الشعور.

الفصل الثامن والثلاثون

الود والتفاهم والاحترام

إحترام الطفل:

الطفل هو صنيعة الباري وأمانته التي سلّمها للآباء والأمهات والآخرين. وقد حدد القرآن الكريم منزلة الإنسان عندما قال: **﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾** وفضّله علىٰ الآخرين **﴿وفضلناهم علىٰ كثير من خلقنا﴾**.

لذا يجب على الآخرين أن يحترموا هذا المخلوق الذي كرّمه الباري جلّ وعلا ولا يحق لهم ولا للوالدين أن يهينوه، بل ينبغي أن يتبادل الأب الاحترام مع ولده.

وإسلامياً فإن هذا الاحترام، هو حق من حقوق الطفل ولا يعتبر تفضّلاً من الوالدين وانه يطالبهما باداء هذا الحق، ولا يمكن أن تقوم التربية والأخلاق إلاّ على الإحترام.

سيرة الرسول (ص):

يجب علينا أن نعتبر بسيرة الرسول (ص) في تصرفه مع أطفاله وأطفال الناس. وثمة روايات عديدة تشير إلى هذا المعنىٰ وكيف أن الرسول الأكرم (ص) كان يحترم الأطفال ويهتمّ بهم.

ولا بد إنّكم قرأتم عن حمله للأطفال على كتفه وتلبية طلباتهم، ولم نقرأ أو نسمع أبداً أنّه (ص) صفع طفلاً أو أبكاه بل أشارت بعض الروايات بأنّه كان يبكي للظلم الذي يصيب بعض الأطفال.

فقد جاء عنه (ص) إنّه كان يسمح لأحفاده أن يرتقوا ظهره أو انه كان

يطيل سجوده بسبب جلوس طفل على ظهره. وكان يسارع في صلاته (ص) أحياناً لكي يندفع لمساعدة طفل معين ويمنعه من البكاء. ولو كان هذا هو تصرّف الأنبياء وخاصة رسول الله (ص) فهل من عذر لآباء بعد هذا؟

حاجة الولد إلى الاحترام:

إنّه لسعيدٌ حقاً ذلك الطفل الذي يتربّىٰ على الاحترام والحب في أسرته، وسوف يشعر بالفخر والاعتزاز لأنّه تذوق هذا المعنىٰ وسيتقدم إلى الأمام.

فالطفل بحاجة إلى أبٍ عطوف ليلتذ بوجوده ويتعامل معه باحترام وتفاهم.

ويرغب أولادنا كثيراً في أن نستمع لوجهات نظرهم ويحبّون أن نقيم لهم وزناً وشأناً. وانّها لنعمة كبرىٰ أن يتحدث الطفل مع والده فيطرح عليه مشاكله بكل بساطة ويستلهم من صفائه ونزاهته.

ويؤثر هذا السلوك كثيراً على بناء شخصية الولد وتربيته ويجعله إنساناً ملتزماً ومنضبطاً ومطيعاً لوالده. وإنه لمن الضروري جداً أن ينشأ الطفل في محيط مناسب وجيد مفعم بالأخلاق الحسنة.

أثر أخلاق الأب ووده على الطفل:

قد لا تَسْمَحُ لكم ظروفكم المادية بتوفير كل ما يحتاج إليه الطفل لكنه يمكنكم التعويض عن ذلك من خلال إظهار حبّكم واحترامكم والتعامل معه بودٍ وتفاهم لكي تقضوا علىٰ الآثار السلبية للفقر المادي.

إنّ أشدّ ما تحتاج إليه التربية اليوم هو حنان الأسرة وحبّها حيث يساهم ذلك في تقوية الأواصر وتحقيق الانسجام بين الأفراد ومنع الانحراف والصدق في القول.

وفي ظل الحنان والحب يقبل بوظيفته ويمارس دوره وتنشأ روحيته وتظهر شجاعته في مواجهة المشاكل والصعاب.

ويتأثر الطفل بوالده ويلجأ إلى محاكاته متى ما شاهده إلى جانبه

ويتعامل معه بخلق واحترام. ولذا يمكن القول ان قبلات الأب وملاطفاته إنما هي وسائل لتحقيق التربية المطلوبة التي تدفع الطفل لنيل الهدف المقصود ومنعه من الانحراف والفساد.

ولو أدرك الآباء القيمة المعنوية للحب والحنان والاحترام لأكثروا من ذلك لكي يتمكنوا من النفوذ إلى قلب الطفل الذي سيستسلم لوجهات نظرهم القائمة على أسس تربوية صحيحة.

المزاح وأساليب الجذب الأخرىٰ:

ليس صحيحاً أنْ يستقبل الأب ولده بوجه عبوس، إذ ان هذا التصرف لا ينفع الأب أبداً بل سينظر إليه الطفل بأنّه كائن مخيف ومستبد مما يؤثر سلباً على مستقبل الطفل والأسرة.

فالبشاشة والمزاح وذكر اللطائف هي من الأمور التي تزيد من شأن الأب في نظر الطفل فتجعله يحبّه وينتظر لقاءَه كل يوم.

ويؤثر ذلك على نفسية الطفل أيضاً فينشأ إنساناً متزناً وسليماً. وقد تواجه الأب مشاكل جمة فلا يكون قادراً بسببها على الابتسامة، لكنّها ضرورية ومهمة، فضحكة الأب تجعل الطفل يشعر بالسعادة والانشراح، وقلما يلجأ إلى الانحراف والفساد.

مضار الانفصال:

ينبغي أن يوفر الأب المناخ الملائم للود والإلفة من خلال إقامة العلاقة مع ولده، ويمكن تحقيق هذه العلاقة من خلال عدة أساليب منها عقد جلسات للاستشارة في البيت وإشراك الطفل في اتخاذ القرارات فيشعر بأنّه قريب من والده.

وبخلاف ذلك فإن ترك مساعدة الطفل والتحدث معه ستدفعه إلى الابتعاد تدريجياً عن والده، وتعميق علاقته بأصدقائه ومعاشريه فيأتمنهم على أسراره، ويلجأ مثل هؤلاء الأطفال أحياناً إلى معلميهم أو من لهم مقام أعلىٰ وينفصلون عن آبائهم.

وقد يكون ذلك لصالح الطفل أحياناً، ولكن ينبغي عدم الغفلة عن مخاطره وأعراضه السيئة. فقيام الهوّة بين الأب وطفله ولجوء الأخير إلى رفقائه وأصدقائه تؤدي إلى فضيحة الولد في بعض الأحيان وانحرافه وانتقال عدوىٰ ذلك إلى الأسرة.

ضرورة تخصيص الوقت:

إنّ أولادكم بحاجة إلى أنْ تخصصوا لهم وقتاً من أجل أنْ يستفيدوا منكم ويتزوّدوا من مودتكم وإلفتكم ويتعلموا منكم الطريق الصحيح في الحياة لكي يسلكوه.

حاولوا أن تخصصوا ولو نصف ساعة في اليوم لأولادكم مهما كانت مشاغلكم لأن هذا في صلاحكم، حيث تتحدثون إليهم وتمازحونهم وترفهون عنهم. ويمكنكم من خلال ذلك أن تقيموا سلوكهم وتطلعوا على خلفيات ذلك. فتقوّموا السلوك السيء. كما يمكنكم أن تعلموا بميولهم ورغباتهم فتتخذوا القرارت المناسبة والصحيحة في ذلك.

وسوف يرتبط الطفل مستقبلاً مع ذلك الشخص الذي تربطه به علاقة تقوم على الود والإلفة، وسيستمع لكلامه أيضاً. ويتمكن الأب من خلال تخصيص الوقت أن يقوّي علاقته بولده وبباقي أفراد أسرته والأهم من ذلك كلّه بربّه وخالقه.

الحسم إضافة إلى الود:

لا يوجد شك في أن العلاقة مع الولد ينبغي أن تقوم على المودة ولكن بشرط أن لا يستغل الولد هذه العلاقة.

يجب على الأب أن يكون هادئاً وصابراً ووقوراً وعفوّاً وأن يكون حاسماً في الوقت نفسه من أجل أن يلتزم الولد بتطبيق قراراته وتعليماته.

ولا بدّ أن يكون إلى جانب هذا الحسم بالنسبة للأحداث والبالغين والشباب الدليل والبرهان. أما الطفل الصغير فلا يحتاج إلى أدلّة كثيرة غير أنّه لا بأس من ذكرها له بلغة واضحة وبسيطة فيما لو أمكنكم ذلك.

ولو قامت الأجواء على الحب والعطف والحنان والثقة والتفاهم لأطاع الولد أوامركم حتماً، وهذا هو المطلوب إذ ستنعدم الحاجة إلى تكرار الأوامر والنواهي.

حاولوا الاهتمام بشخصيته ورحّبوا به بحرارة وعاملوه باحترام لكي يندفع في السير على جادة الصواب.

الفصل التاسع والثلاثون

القدرة والملاطفة

الحاجة إلى أب مقتدر:

يحتاج الطفل إلى أبٍ يكون رجلاً بمعنى الكلمة وقوياً ومقتدراً، وأن يتمكن من إدارة شؤون حياته ودراسته ويشرف على برامجه ويهديه، إنه بحاجة إلى أب مسيطر ومقتدر كي يتمكن من امتداحه أمام الآخرين.

يرغب الطفل في أن يكون والده مشهوراً وقوياً حتىٰ لو كانت له مهنة متواضعة كالحمال مثلاً، وأن تشمل سلطته الآخرين أيضاً... إنه يطالب بأبٍ مقتدر يمكنه أن يحقق الأمن له ولأفراد أسرته ويحقق النظم في البيت.

ويشعر الطفل بالقلق والاضطراب فيما لو كان والده ضعيفاً، فهو يرىٰ أن أمنه معرض للخطر ولا يمكنه إنقاذ نفسه فيما لو واجهته الأخطار. وسوف يشعر بالفخر والاعتزاز في ظل أبٍ مقتدر.

ولا يوجد بالطبع أباً مثالياً، غير أنه يمكن للآباء أنْ يكسبوا رضىٰ الطفل فيما لو توفّرت فيهم بعضاً من هذه الصفات.

نوع الاقتدار:

لا بدّ أن يرافق العطف والحنان ذلك الاقتدار الذي يحتاج إليه الطفل، إضافة إلى المحبة والأخلاق الحسنة واستخدام الكلمات الطيبة والعبارات اللطيفة والاستقامة والصبر والحذر من إظهار أي ضعف أو عجز والشهامة والإيثار.

ويمكن للاقتدار أن يقوم على القمع والتكبر والابتعاد عن الأخلاق والمحبة واللين والاهتمام. وإن الأب هو المسؤول عن اتخاذ قراره بهذا الشأن. إلاّ ان الطفل يخشىٰ من لجوء والده إلى تفريغ عقده على رأسه أو نقل مشاكله الخارجية إلى داخل البيت.

يجب أن يقوم الاقتدار على المودة والرحمة إضافة إلى كونه جدّياً لكي ينشأ الطفل على هذه الأسس ويلتزم بأوامر الأب ويطيعها.

العناد والتربية:

ينبغي أن يكون الأب مقتدراً، لكن هذا لا يعني أن يكون عنيداً، لأن العناد لا يساهم في العملية التربوية وان الأطفال ليسوا مضطرين إلا الالتزام بنمط عيش آبائهم. حيث يسعىٰ بعض الآباء ـ حرصاً منهم للضغط على أولادهم واستخدام الشدّة والتضييق من أجل أن يخضعوا لنفوذهم في حين ان هذا الإجراء يؤدي إلى ظهور العديد من الاضطرابات. في حين يحتاج الأطفال إلى أجواء خاصة تمكنهم من النمو والتكامل.

وإنه من غير الصحيح أن يلجأ الأب إلى ممارسة اقتداره ليبدو متميزاً لا نظير له. فقد أظهرت التجارب أنّ هذه الممارسات تؤدي في بعض الأحيان إلى القضاء على مقاومة الإنسان وتوجد في بعض الأحيان مقدمات ابتعاده عن الآخرين.

الاقتدار وقابلية الانعطاف:

يجب أن يكون الأب مقتدراً ولكن بشرط امتلاكه لقابلية الانعطاف واستيعاب الأمور. عليه أنْ يدرك بأن الذي يقف أمامه إنما هو طفل يحتاج إلى الحركة واللعب فيتعامل معه على هذا الأساس.

جاء عن أمير المؤمنين علي (ع) قوله: «رأس الإيمان حسن الخلق والتحلّي بالصدق»، ولو كان هذا مهماً في التعامل مع الناس لكان أكثر أهمية في التعامل مع أفراد الأسرة وخاصة الأولاد.

ليس صحيحاً أن يصرّ الأب علىٰ كلامه ويطالب أطفاله بالالتزام به لأنه هو ربّ العائلة! أو يصدر تعليمات وأوامر جديدة في كل يوم وساعة.

عليه أن لا يعتبر ذلك إهانة له فيما لو لم يلتزم الطفل بأمره. ولا يظن بأن ولده يتعمد إلحاق الأذىٰ به.

كما أنّ من الخطأ أن تثور ثائرته ويغضب بسبب ضوضاء أطفاله ولعبهم فيطردهم من البيت أو يبعدهم عنه. فالضرورة الحياتية تفرض أن تكون العلاقة حميمة بين الولد ووالده، وأنْ تقوم على الرفق واللين والصبر والقبول وذلك من أجل نمو الطفل وتكامله. فقد يؤدي فقدان القابلية علىٰ الانعطاف والصبر إلى تأخير النمو النفسي للطفل فيتخذ في بعض الأحيان مواقف خاطئة.

الاقتدار والعدالة:

يتوقع الطفل من والده أن يكون عادلاً حتىٰ في تنفيذه للقانون. وعليه أن يعاقبه ـ مثلاً ـ بالمقدار الذي يشعر الطفل بأنه يستحقه.

ومن متطلبات العدالة أنْ يكون الأب حيادياً فلا يفرق بين أولاده، ولا يعمل بهواه أو أن يفضّل أحداً على الآخر لأسباب معينة.

وينبغي أن يشعر الطفل بأن والده يقضي بالعدل حتىٰ يحترم هذا الشعور ويقدسه.

وليس ضرورياً أن يكون عمل الأب مستدلاً لطفله ولكن بشرط أن يشعر الطفل بأنه حقّ ولا ظلم فيه، وانه يستهدف خيره وسعادته شخصياً وأفراد أسرته أيضاً.

إن السلوك العادل للأب يؤثر على بناء عواطف الطفل وأحاسيسه، ويدفعه نحو ممارسة الأعمال الصالحة، ويعصمه من ممارسة الأعمال القبيحة، علماً بأن الطفل يكون مستعداً لمساعدة والده العادل ويبدي إزاءه ردود فعل إيجابية ويطيع أوامره.

الاقتدار والحسم:

قلنا ان الطفل ـ وبسبب طبيعته الخاصة ـ ينتظر من والده أن يكون حاسماً، فنراه يشعر بالهدوء والاستقرار لهذا السلوك رغم ما يبديه من رفض

ومقاومة. واننا نريد التأكيد من خلال ذلك على عدم نسيان مبدأ السيطرة في الحياة إضافة إلى العطف والحب والحنان.

فصلابة الأب تؤدي إلى ثبات شخصية الطفل وتعديل سلوكه وينبغي عدم الخضوع أبداً لرأي الطفل وعناده وقطرات دمعه وتأوهه بحجة انه صغير ولا بدّ من كسب وده. فلو إرتأيتم أنه بحاجة إلى زرق إبرة في الحال، فعليكم أن تقوموا بذلك دون أي خوف أو تردد.

إننا لا نريد القول بأن يتم هذا العمل بخشونة وعنف فيقضي ذلك على جرأة الطفل وشجاعته، بل لا بدّ من مواساته فيما لو بكى؛ والقيام بالوقت نفسه بتهيئة الإبرة لرزقها في عضلته، وإفهامه بأسلوب بسيط بأن هذا العمل إنما هو من أجل خيره وصحته وصلاحه.

الحسم والمواساة:

قلنا انه لا بدّ من مواساة الطفل إضافة إلى استخدام القوة والحسم معه، فمثلاً، ينبغي أن نقول له: صحيح إنك تتألم ولكن ما العمل؟ إننا نتألم أيضاً لتألمك وعليك أن تصبر.

إن مواساة الأب لطفله تسعده وتسكّن آلامه وتهدىء من روعه وينبغي عدم الغفلة عن ذلك.

يحاول بعض الآباء أن لا يُظهروا حبّهم لأولادهم لكي لا يصبحوا مُدلَّلين، أو يشتدّ تعلّق الأولاد بهم؛ غير أن هذا التصوّر خاطىء، ويجب أن لا نحرم الطفل من الحب والحنان، كما انه من غير الصحيح أن يقوم الأب بوظيفة الانضباط والضبط للطفل والاقتدار عليه بينما يترك لأمّه مسؤولية الحب والحنان.

نعم، فقد تكون ثمة رغبات عند الطفل لا يمكن تحقيقها، لكن مواساتكم له تخلق عنده الأمل، وتمنع عنه الشعور بالإحباط والفشل.

إجعلوه يشعر بعدم التأثر فيما لو فشل، لأن الإنسان لا ينجح دائماً في أعماله.

الاقتدار والهداية:

يجب أن يستخدم الأب اقتداره من أجل هداية طفله وإرشاده لا أن يفرض عليه شخصيته ويُرضي تكبّره. فهو قطعة منكم، ولو أصابه شيء لأصابكم أيضاً. وقد ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) قوله: «وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي، حتىٰ كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي».

لا يمكنكم أن تنفذوا إلى الطفل إلا عندما يقوم اقتداركم على مساعدته وتوجيهه وهدايته وقبول أمره. ويمكن من خلال ذلك توفير مقدمات بنائه وتكامله لكي ينشأ في حالة متزنة ويتقدم إلى الإمام.

ليس صحيحاً أن يلجأ الأب إلى استخدام الأمر والنهي فقط للتنفيس عن عقده والتعويض عما يحصل له من مشاكل خارج البيت، فذلك سيدفع الطفل إلى الشعور باليأس منه والابتعاد عنه.

الاقتدار والوعي:

لا بدّ للاقتدار أن يكون مصحوباً بوعي لفنون التربية، وحتىٰ ما يرتبط بعلم النفس لكي يدرك الأب المواقف التي ينبغي اتخاذها في الحالات المختلفة. كما وعليه أن يعلم بشؤون أسرته وحال أولاده، وكيف ينظرون إليه، ويكتشف رغباتهم واحتياجاتهم واندفاعاتهم من أجل أن يتخذ الإجراءات المناسبة.

ولا يكفي أن يصادق الأب ولده لأنّه يمتلك الأصدقاء، بل عليه أن يحبه ويرحمه ويهتم به، فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «أحبّوا الصبيان وارحموهم».

حري بالأب أن يمتلك قدرة القيادة والإدارة فيكون مديراً ناجحاً، ويتخذ الإجراءات الصحيحة في المواقف المناسبة. وعليه أن يعتبر أن قيمته تكمن في سلوكه وفضائله لا في تفاخره وقوته ونيله من شخصية طفله. وبكلمة أخيرة نقول إنّ صلاح الطفل من صلاح والده وقد جاء عن الإمام الباقر (ع) قوله: «يحفظ الأطفال بصلاح آبائهم».

الباب الحادي عشر

أساليب الانضباط

يتناول هذا الباب موضوع أساليب الانضباط في خمسة فصول.

إذ يختص أولها بأسلوب المداراة والصفح، وهو مبدأ إسلامي التزم به المعصومون (عليهم السّلام). وسوف نشير إلى موارده وحدوده.

أما الفصل الثاني فيتناول موضوع ممارسة الأب للقدرة والحسم حيث تحدّثنا فيه عن موضوع القوة ومخاطر الإرهاب والتخويف الشديد وابتعاد الطفل عن الأب.

وفي الفصل الثالث تناولنا موضوع حدود هذه القوة، وهل يجب على الطفل أن يتبع القانون أم الأب، وما هو تصوّر الولد للأب المستبد ونتائج تدخلات الأب.

وتحدّثنا في الفصل الرابع عن موضوع العقاب وصوره ونتائجه وعواقبه وأعراضه، وحذّرنا فيه الآباء من تكرار العقاب أو اللجوء إلى العنف.

وجاء في الفصل الأخير ليتحدّث عن مبادىء الانضباط وأصوله حيث أشرنا فيه أولاً إلى ثلاثة أساليب في الانضباط ثم إلى الضوابط المطروحة في هذا الشأن.

الفصل الأربعون

أسلوب المداراة والصفح

الإسلام والصفح والمداراة:

إن الإسلام هو دين الصفح والمداراة، والعفو والتغاضي عن الأخطاء. فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: «عليكم بالعفو فإنّ العفو لا يزيد العبد إلاّ عِزّاً... فتعافوا يعزّكم الله».

كما أكّد الإسلام كثيراً على العفو حيث جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) قوله: «قلة العفو أقبح العيوب والتسرّع إلى الانتقام أعظم الذنوب». كما ورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: «إنْ شئت أنْ تكرم فَلِنْ، وإن شئت أن تُهان فأَخْشِنْ»، وقال رسول الله (ص) في هذا الشأن: «ليس منّا مَنْ لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كبيرنا».

الولد وصفح الأب:

ينبغي علينا أن ننتبه إلى ما نتوقعه من أولادنا وننتظره منهم؛ إننا نريدهم أن يكونوا صالحين وواعين وأصحاب رأي، يتعاملون بالصفح مع الآخرين، ويتمسكون بالعدل والإنصاف في علاقاتهم ويتحلّون بالصفات الإنسانية النبيلة.

فلو أردنا أن تكون عواطفهم إيجابية فما علينا إلاّ أن نهتَمّ بالصفات المكتسبة خاصة تلك التي يتعلمها الطفل من أسرته ووالده.

وعادة فإنّ العادات والخصال تُكتسب عملياً ـ وهو ما أكّدته التجارب أيضاً ـ منذ اليوم الأول والأشهر الأولىٰ من العيش في ظل الأسرة وتُبنىٰ العقائد على هذا الأساس.

وينبغي أن يكشف الطفل عن عقائده ووجهات نظره ويقبل في الوقت نفسه بعقائد الآخرين ويرتضيها. وأن يكون واعياً للمفردات واللغة التي يستخدمها، ويتّسم بغنىٰ النفس، ويتحلّىٰ بالصفح والشرف والصدق والأدب. وهذه من الأمور التي يجب أن يدركها من خلال أسرته ويمارسها في حياته اليومية.

أهمية الصفح:

لا يمكن للتربية أن تقوم إلاّ مع الصفح، وذلك لأن الطفل إنما هو إنسان يحمل فكراً ورأياً يتناسب وشأنه. فلو تعامل الآباء بصلابة مع أولادهم لأدىٰ ذلك إلى علاقات جافة وباردة ذات تأثيرات سلبية.

ويتمكن الأب من خلال الصفح والمداراة تدبير أمور ولده وكسب ودّه والنفوذ إليه وتعليمه الآداب والعادات والتقاليد وأن يكون متزناً ومحسناً وطالباً الخير للآخرين.

ويؤدي صفح الأب ومداراته إلى شعور الطفل بالجرأة فيطرح رأيه، ويتحدث عن مشاكله، ويكشف عن أسراره ولا يتوسل بالكذب والنفاق والحيلة. إذ ان أغلب تلك الحالات إنما هي بسبب خوف الطفل من قول الحقيقة والأذىٰ الذي سيتعرّض له من جرّاء ذلك، فنراه يستعين بالنفاق من أجل تحقيق هدفه.

موارد الصفح:

لا بدّ من بحث تلك الموارد التي ينبغي فيها لجوء الأب إلى التعامل بالصفح مع الطفل. وعادة فإن الصفح يأتي عندما يرتكب الطفل خطأً معيناً بعد أن يُحذّر ويُنبَّه قبل ارتكابه.

وتربوياً، ليس صحيحاً أن يلجأ الأب إلى معاقبة الطفل على خطئه قبل تحذيره.. وهنا يُطرح هذا السؤال، وهو هل ينبغي معاقبة الطفل بعد تحذيره؟ فالطفل كثير النسيان بطبيعته، وانه ينسىٰ في كل يوم أو أسبوع، أو لعلّه يوجد عامل آخر يدفعه لتكرار ذلك الخطأ.

وهنا تبرز ضرورة اللجوء إلى الصفح والمداراة خاصة عندما يدرك الأب تأثيرهما الإيجابي على الطفل. وإنه أصلح لنفسه وتنبّه إلى خطئه. أو

أنْ يستعين بالصفح إلى أن يكتشف الطفل خطأه بنفسه. لأن عدم الصفح ـ والحال هذه ـ يدفعه للكذب والنفاق والحيلة.

حدّ الصفح والمداراة:

إنّ حدَّ الصفح والمداراة هو موضوع مهم في التربية. وينبغي أن يكون بمقدار لئلاّ يلجأ الطفل إلى اللاإبالية ويفكر بأن والده سيتركه مهما صدر منه.

يجب أنْ يشعر الطفل بوجود حساب لكل عمل، وانه ليس حرّاً فيفعل ما يشاء. وأن الأب مسؤول عن حفظ توازن العائلة وانضباطها، لأنه العقل السليم في الأسرة. ولو تكرر إرتكاب الخطأ من الأولاد لفُقِد الأملُ في تربيتهم وتنشأتهم.

ينبغي أن يكون الصفح والمداراة بدرجة لا تدع الطفل يشعر بأنّه حرٌ في إرضاء مشاعره كيفما يرغب، أو يعتقد بأن والده لا يبالي به. فالآباء الذين لا يهتمون بشؤون أولادهم لا يؤدون وظائفهم أبداً. وإنّه لأمر طبيعي أنْ يسلك الأولاد طرقاً خاطئةً ومنحرفةً وغير إنسانية مما ستتعقد عملية الهداية والتوجيه.

إننا نؤكد على ضرورة أن يبقىٰ الطفل طفلاً، يلعب ويقفز ويمارس نشاطه الخاص، لكننا نحذر في الوقت نفسه من تلك الممارسات التي تجعله جسوراً.

ينبغي أن تُقدَّم له النصائح والمحاذير بمستوىٰ فهمه وإدراكه ومدىٰ نضجه. وسوف تنعكس آثار هذا السلوك على حياته فينشأ إنساناً بمعنىٰ الكلمة ويندفع نحو تحقيق تلك الأهداف أيضاً.

الأب واستعراض القوة:

ليس صحيحاً أن يطالب الأب الآخرين بطاعته بسبب موقعه، أو أن يفتخر على أولاده للسبب ذاته. حيث أنّ الطفل يشعر ذاتياً بقدرتكم ونفوذكم، ولا توجد أية حاجة لعرض العضلات أمامه، وإجباره إلى الشعور بذلك.

وعندما تشاهدون منه خطأً معيناً فلا تفكّروا بأنه ينوي اتخاذ موقف معارض لكم أو يرفض طلبكم.

إذ من الممكن أن يحاكي الطفل موقفاً معيناً يراه من الآخرين، وان استعراض القوة عمل خاطىء.

لا بدّ أن تصدروا أوامركم ولكن بشرط أن لا تقطعوا أنفاس الطفل، لأنه سيفتقد إلى الاتزان المطلوب في سلوكه. وسوف يقتصر تفكيره على أفضل طريقة لممارسة قدرته فيبتعد والحال هذه عن الأهداف الواقعية للتربية ويفرط بها، لأنكم طالبتموه بالطاعة العمياء فقط. وقد رفض الإسلام ذلك. فقد جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) قوله: «وارحم من أهلك الصغير ووقّر منهم الكبير».

أعراض الشدّة:

إن ممارسة القوة بهدف التشديد على الأطفال تؤدي إلى ظهور أعراض عديدة منها إصابتهم بالقلق والعديد من حالات الاضطراب. حيث يتصف أولاد الآباء القساة باللجاجة، وممارسة الانتقام والعصيان وتضخيم الأمور. وتعود أغلب حالات التمرد والعصيان إلى الشدة والقسوة خاصة في مرحلة الطفولة.

فعندما تكون التكاليف والمسؤوليات ثقيلة جداً فإن الأطفال سيقضون حياتهم بمرارة وحرمان وسوف تتوفر الأرضية ـ تدريجياً ـ للشعور بالذنب الذي يؤدي في المستقبل إلى الإصابة بالعديد من العقد.

وتصل قسوة الأب ـ أحياناً ـ إلى درجة يتمنىٰ فيها الطفل الصغير الموت بدلاً من الحياة أو إنّه يتمنّىٰ موت الأب أو يفكر ـ أحياناً ـ بالثورة عليه مهما كانت النتائج. وهذا هو سبب العديد من حالات الصراخ الانفعالي للأطفال ووقوفهم بوجه الأوامر والنواهي.

لذا فإن الأب الذي يستشعر وظيفته ومسؤوليته لا يلجأ إلى القهر والتهديد إلاّ في الحالات الضرورية، ولا يأمر أطفاله بالطاعة العمياء له لعلمه بأن ذلك يؤثر سلباً على عملية نموّهم فلا يمكنهم أن يتحلّوا بسلوك سوي ومتزن.

كما وينبغي في الوقت نفسه أنْ يواجه الطفل في مرحلة الطفولة بعض الصعوبات والتعقيدات لكي يكون حليماً في كبره. فقد جاء عن الإمام موسى بن جعفر (ع) قوله: «يستحب غرامة الغلام في صغره ليكون حليماً في كبره».

القضايا الجزئية:

يُنظر باهتمام للقضايا الجزئية والصغيرة في موضوع التربية، لا يوجد شك في أنه ينبغي الوقوف بوجه نقاط ضعف الطفل ومنع أخطائه. غير انه من الخطأ أن يكون الأب بالمرصاد لطفله فيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، فقد ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) قوله: «عظِّموا أقداركم بالتغافل عن الدني من الأمور». فليس صحيحاً أن يستعرض الأب عضلاته أمام طفله من خلال إلحاحه على القضايا الجزئية فيضطر الطفل للاستسلام له.

وبسبب استمرار هذه الحالة فإنّ الطفل سيشعر بالحقارة أمام والده، ويظن بأنّه غير كفوء وتتوقف مسيرة نموّه وتكامله، ويستصغر نفسه دائماً ويفكر بنواقصه باستمرار.

حاولوا أحياناً أن تجمعوا عدداً من الملاحظات فتنبهوه إليها مرة واحدة، واذكروا نقاط قوته إلى جانب عيوبه لكي يشعر بالأمل في الحياة.

الفصل الحادي والأربعون

أسلوب القوة والحسم

معنىٰ القوة والحسم:

نعني بالقوة والحسم مصدر القدرة في محيط الأسرة، والذي يحسب له الطفل حساباً فيلتزم برأيه القاطع ويأتمر بما يأمره وينتهي عما ينهاه ويؤدي تلك الأعمال التي يرتأيها الوالدان وتقتضي بذلك مصلحته أيضاً.

يحاول الطفل أحياناً القيام ببعض التصرفات خلافاً لرغبة الوالدين تعبيراً عن استقلاله. فهو يحاول أن يفسّر الأمور كما يفهمها ويرغب بها، ومن الطبيعي أن تكون قاصرة ومعارضة لمصلحته.

وهنا لا بد أن يبدي الأب حسمه واقتداره لكي يلتزم الطفل بأوامره ونواهيه ويطبّقها. وأن يعلم أيضاً فيما لو أخطأ متعمداً بوجود أبٍ يقف على رأسه لا يسمح له بارتكاب المعاصي.

وهذا الدور في الأسرة يعتبر ضرورياً لتحقيق حالة الانضباط ومنع الفوضىٰ. وما أكثر الانحرافات التي يمكن الوقوف بوجهها ومنعها إلاّ في ظل قدرة الأب وحسمه.

تصورنا للاقتدار:

إن ما نعنيه بالاقتدار هو أن يكون الأب قوياً ومقتدراً لا أن يمارس قوته، فالهدف هو أن يخشاه ولده وليس أن يُصفّي حسابه معه.

إننا ـ ومع الأسف ـ نشاهد بعض الآباء الذين يحملون تصوراً، بأنّه يجب على الأطفال أن يطيعوهم طاعة عمياء لكونهم آباءً ولا يحق لهم أن

يبدو أيّة وجهة نظر مخالفة. إلاّ أن هذا الأسلوب خاطىء لأنهم يعتقدون بأن القوة والحسم لا تعني سوىٰ استخدام العنف والغضب والصراخ.

إننا نعتقد بأنه ينبغي أن تتقدم الخطوات باتجاه الطفل لا لمعاقبته بل لتوجيهه وبنائه حتى وإن كان منحرفاً. فالأصل هو تأديب الطفل، غير أنّ هذا لا يعني أن نلحق به الأذىٰ دائماً ونستخدم معه القوة، بل لا بدّ من مدّ يد العون والمساعدة إليه مع الاحتفاظ بالاقتدار لئلاّ يلجأ الطفل إلى ممارسة أعماله في السر والخفاء وألاّ ينتهي به الأمر إلى العصيان والتمرّد بسبب ممارسة الضغوط عليه.

ضرورة التحكم:

ليس صحيحاً أنْ نصغي دائماً لرغبات الطفل وميوله ونحققها له لأن هذا في غير صالحه. كما إنّه من الخطأ في الوقت نفسه مطالبته بإطاعة أوامرنا فقط.

فهو يريد أن يكون صاحب رأي بالمستوىٰ الذي يفهم الأمور ويدركها. وان المربي الجيد يسعىٰ لتوفير الحد الوسط بين هذين الأمرين. فلا بد من بناء فكر الطفل وتوجيه سلوكه طبقاً لتوجيهات الأب الغير مباشرة لكي يندفع نحو الأمام.

وتظهر أحياناً بعض الحالات التي يرفض فيها الطفل الانصياع للكلمة الحق، مما يستوجب استخدام التحكم. فالأصل هو منع حدوث أية مفاسد، ولو أصرَّ الطفل على ذلك لاستدعت الضرورة أنْ نمنعه بالقوة.

وتقوم فلسفة هذه الفكرة على أن الطفل ستحيطه الذنوب والمعاصي تدريجياً فيما لو وجد نفسه طليقاً دون أية قيود، فتتعقد عملية إنقاذه. وسوف يصبح ولداً سيئاً يؤثر على شرف الأسرة وكرامتها. فقد ورد عن الإمام علي (ع) قوله: «ولد السوء يهدم الشرف ويشين السلف».

شروط التحكم واستخدام القوة:

لا بدّ أنْ يراعى في استخدام القوة مصلحة الطفل أولاً بأوّل. إننا نريد أن يكون الطفل مطيعاً للعادات والتقاليد الاجتماعية وملتزماً بالأهداف التي

يؤمن بها الوالدان. وينبغي عليهما أن يعيداه إلى جادة الصواب فيما لو انحرف عنها ويحفظاه من سيئات الأمور.

ثمة شروط أربعة لاستخدام القوة مع الولد وهي:

١ ـ أن يكون الهدف من القوة خدمة الطفل وإعانته حقاً.

٢ ـ أن تتناسب القوة مع طاقة الطفل واستيعابه لا أن يلجأ الأب إلى ممارستها كيفما يشاء ليشفي غليله ويُطفىء غضبه.

٣ ـ أن يكون القصد منها بناء شخصية الطفل.

٤ ـ أن لا تُمارس بصورة يشعر معها الطفل بأن الأب قطع خيط الحب والود بينهما. ويجب أن يوضح له السبب قدر الإمكان، أو أن يُمتدح ويُثنىٰ عليه بعد ممارستها لكسب قلبه وطمأنته.

مخاطر التخويف الشديد:

قلنا أنه ينبغي أنْ يتصرف الأب في البيت بصورة تجعل الطفل يحسب له حساباً ولكن بشرط أن يُبقي على علاقة الحب والمودة قائمة بينهما. فلا بدّ أن يقوم سلوكه على مبدأ الخوف والرجاء لكي يثق الطفل باهتمام الأب وعطفه ويحذر ـ من جانب آخر ـ اقتداره وحسمه فيما لو ارتكب أي خطأ أو معصية.

وثمة مخاطر عديدة للتخويف الشديد الذي يؤثر علىٰ الطفل وموقعه ضمن الأسرة منها:

١ ـ يؤدي التخويف الشديد إلى شعور جميع أفراد الأسرة بالقلق والاضطراب مما ستهبط الكفاءة إلى أدنى درجة لها أو قد تنعدم كلياً.

٢ ـ يؤثر التخويف البالغ على عملية نمو أفراد الأسرة وتكاملهم حيث يؤدي إلى إصابتهم بصدمات شديدة جرّاء الرعب الذي أوجده الأب.

٣ ـ يؤثر الاضطراب الشديد على أعصاب الطفل فيحطمها ويصبح كالطائر الذي يشعر بالخوار والضعف في أجنحته فلا يمكنه التحليق والارتفاع.

٤ ـ يؤدي التخويف الشّديد إلى إضعاف حالة الانضباط فيتشجّع الطفل ويتجرّأ مما يضطره أحياناً إلى دفع ثمن باهظ.

٥ ـ يعتبر التخويف الشديد للطفل في الحقيقة نوعاً من الدعوة لتكرار الخطأ والانحراف ولكن بشكل سري دون أن يعلم به حتى الأب أيضاً.

٦ ـ وأخيراً فإن الرعب الشديد يؤدي إلى إيجاد هوّة بين الولد ووالده فيشعر الولد بأن عليه أن يستعدّ للهرب متى ما يحضر الأب، مما يمثل ذلك خطراً على العملية التربوية ودوامها.

مشكلة الهُوّة:

سوف يفقد الأب دوره كمرشد عندما تحصل الهوّة بينه وبين ولده، بل وسيتحول إلى كائن مخيف، ويطيع الولد عادة الأوامر والنواهي الشديدة والقاسية، غير انه سيفرُّ منها متى ما توفّرت إمكانية الهروب فيبتعد عن والده.

ينبغي أن لا تحدث الهوّة بين الأب وولده لأنّه سيفقد ـ والحال هذه ـ قدرته الصالحة ويلجأ إلى البحث عن قدوة أخرىٰ لا يمكن الاطمئنان لها.

يعتقد بعض الآباء أنّهم يحافظون على شخصياتهم ومكانتهم من خلال ابتعادهم عن أولادهم. فمثلاً نراهم لا يأكلون معهم أو يقضون أوقات فراغهم بعيداً عنهم في غرفهم الخاصة مما يؤدي بالطفل إلىٰ أن يفقد ثقته بوالده، ويكون مستعداً للتأثّر بكلام الآخرين.

فليس صحيحاً أن نعتقد بإمكانية بناء أخلاق الطفل وسلوكه من خلال تخويفه وإرعابه، فالطفل ينتظر من والده حبّه ومودته، ومن الضروري أن يرىٰ خلقه الجميل لكي يقف إلى جانبه.

إيّاكم والتصادم:

نادراً ما نشاهد طفلاً صغيراً يلجأ إلى العصيان والانحراف بسبب كراهيته لوالده نتيجة للضغط الذي يمارسه.

وتشتدّ هذه الحالة عند الأحداث والبالغين، ويمكن أحياناً مشاهدة حالات يقف فيها الولد بوجه والده فيعصيه ويقاومه.

نعم، يزيد تعبكم اليومي من غضبكم فيؤثر على حياتكم وسلوككم بشكل غير مطلوب. أو قد تفقدون السيطرة على أعصابكم بسبب الضوضاء التي يثيرها الأطفال، لكن المهم في الأمر هو أن تحفظوا أنفسكم وتضبطوا أعصابكم لكي لا تزول أواصر المودة فيما بينكم.

فالمهم هو أنْ تجري الحياة بشكلها الطبيعي لكي يستأنس الولد بوالده ويعود إليه متى واجهته الصعاب والمشاكل ومُني بالفشل.

فإرعاب الأب وممارسته لاقتداره يوفر الأجواء الملائمة لتحقيق الهوّة، فيفشل الطفل بالنهاية في حل مشاكله.

نعم، فالأب هو مصدر جميع القدرات وعليه يجب أن تؤدي قدرته إلى فسح المجال لحل العديد من مشاكل الطفل وتوجيهه نحو الوجهة الصحيحة.

إن القسوة واستجواب الطفل عدة مرّات تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها.

يجب على الأب أن يستخدم قوته واقتداره من أجل تحقيق انضباط أولاده وإرشادهم وتوجيههم. ولو تعرّض الطفل للضغط الشديد لضاعت جميع جهودكم وفعالياتكم المفيدة والنافعة.

الفصل الثاني والأربعون

حدود القوة والحسم

الهدف من الاقتدار:

قلنا في الفصل السابق انه لا بدّ من الاقتدار، وان الهدف منه هو أن يهاب الطفل والده ويلتزم بالأمور التي تدخل في مصلحته.

فالغرض هو أن ينشأ الطفل منضبطاً من أجل أن يتمكن من الوقوف على قدميه في معترك الحياة. لذا فإن القوة لا تعني أن يشفي الإنسان غليله أو يطفئ غضبه.

ولا نستهدف من القوة، الطاعة العمياء إلاّ في حالات خاصة عند مداهمة الأخطار والمصائب، وهي رغم ذلك تصب في مصلحة الطفل ولا بدّ من القيام بتلك الخطوة. فالمهم هو الطاعة مع الإدراك والتمييز لكي لا يلجأ إلى العناد والعصيان.

أنواع الاقتدار:

يمكن للاقتدار المُمارس في الأسرة أن يكون على صورٍ عديدة منها:

١ ـ الاقتدار المصحوب بإشفاء الغليل والعنف والنوايا السيئة.

٢ ـ الاقتدار الكاذب الذي يصاحبه فراغ مفتعل.

٣ ـ الاقتدار العقلاني الذي يتناسب مع قابلية الطفل واستعداده وإدراكه وصبره.

وفي هذا النوع الثالث من الاقتدار لا يكون الأب قاسياً إلى الدرجة

التي يفرّ منه الطفل، ويتمنّىٰ موته، ولا يكون لاأبالياً إلى الحد الذي يترك كل شيء بحيث يرىٰ بأن له مطلق الحرية في القيام بأي عمل يشاءه.

إن الطفل بحاجة إلى ذلك الاقتدار الذي يزرع في قلبه الإيمان فيصدّق بأن حقّه هو ما يملكه، وما هذه الضغوط إلاّ لصالحه فيجب أنْ لا يقاومها.

إطاعة القانون لا الفرد:

سوف تبلغ العملية التربوية ذروتها لو تمكنا من دفع الطفل إلى إطاعة القانون لا الأشخاص؛ فالسبب في اطاعته لوالده هو أنه يمثّل القانون ويحقق العدل والانضباط. وهذا ما يحتاج إلى فترة زمنية لتحقيقه.

فالأب العاقل والخبير والمتزن لا يمارس الاستبداد مع أولاده ولا يلجأ إلى إظهار قوته والاعتداد بشخصيته أمامهم. فالمهم أن يكون هادياً وموجهاً لطفله، وأن يفهمه بأنّه مضطر لرعاية القانون من أجل تحقيق الأهداف وتوفير الحاجات. ولذا نراه يحمل في ذهنه مشروعاً للانضباط، ويعرف متىٰ تستوجب المؤاخذة ومتىٰ ينبغي ترك الطفل وشأنه.

ليس صحيحاً أن ينظر الأطفال إلى والدهم بأنّه كائن مخيف وخطير أو كما يرد في القصص بأنّه عفريت!. ففي هذه الحالة ستصاب قواهم الكامنة بالجمود فلا تنطلق ولا تنمو استعداداتهم بالشكل المطلوب.

جذور الاستبداد:

ثمة آباء يلجأون إلا الاستبداد داخل محيط الأسرة ويسعون لفرض سيطرتهم على أولادهم رغم علمهم بأن هذا الإجراء يضر الأولاد ولا ينفعهم. ويمكن الإشارة إلى جذور الإستبداد بالنقاط التالية:

١ ـ فقدان القدرة على إقامة علاقة صحيحة مع الأولاد وباقي أفراد الأسرة بسبب عدم الكفاءة.

٢ ـ رغبة الأب المفرطة بنمو أطفاله ووصولهم إلى مرحلة الكمال بأسرع ما يمكن.

٣ ـ حمل الأب لأفكار خلاصتها أنه كان محروماً ولا معيل له ويجب أن لا يكون أطفاله كذلك.

٤ ـ حمل الأب لعقد عديدة بسبب مشاكله خارج البيت فينقلها إلى داخله.

٥ ـ فقدان القابلية على الصبر والتحمّل بسبب الضعف العصبي أو لأسباب أخرىٰ.

وبشكلٍ عام، فالذي يتسم بهذه الصفات يكون ذليلاً ومقيداً وعبداً رغم تشبهه بالحر. فقد جاء عن الإمام الصادق (ع) قوله: «إن الحرَّ حرٌّ في جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تراكمت عليه المصائب لم تكسره... وكذلك الصبر يعقب خيراً فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا».

فالآباء الأحرار ينبغي أن يكونوا دواءً لداء أولادهم وأن يواسوهم في شعورهم بالألم ويبعدوا عنهم الصدمات النفسية.

تصوّر الولد لوالده المستبد:

لا ينظر الطفل إلى والده المستبد نظرة إيجابية، إذْ يعتبره كائناً مخيفاً وإنساناً ينبغي الفرار منه. ويلجأ إلى الكتمان والحيلة ازاءه، ويحذر كثيراً منه حتى لا يطّلع على أسراره.

ويصف هؤلاء الأولاد أباهم للآخرين بأنّه ظالم وعصبي المزاج ويستخدم الضرب دائماً. ويصورون الحياة التي يعيشونها بأنها عذاب وشقاء. ويرغبون بالتخلص من شرّه، بل ويتمنون أحياناً موته. أمّا الانضباط الذي يمارسه هؤلاء الآباء فلا فائدة فيه لأن الطفل سوف لا يستخدم عقله أبداً.

وبعبارة أخرىٰ فإنه يعتبر عقله وإرادته تابعين لعقل والده وإرادته، ويهمل كل ما يرتبط بإدراكه شخصياً.

إنّه ينظر إلى والده بأنّه ظالم ومستبد ويلتذ بممارسة الظلم ولا يهتم به أبداً.

تدخلات الأب:

ينبغي أن يتدخل الأب في شؤون أولاده من أجل أن يمارس وظيفته في الإشراف والمراقبة، وبغير ذلك ستتعثر العملية التربوية ولا يمكن تحقيق الهدف المطلوب بشكل كامل. لكن الشيء المهم في الموضوع هو حدود هذا التدخّل وكيفيته.

بشكل عام، يجب الإشارة إلى هذه الملاحظة، وهي أن التدخل الدائم للأب يكشف عن ضعفه لا قوته واقتداره لوجود إحتمال لجوء الأطفال إلى العصيان والانحراف، فلا يتم البناء والتكامل بالشكل المطلوب. فهو سيقضي على طفله من خلال الإفراط في التدخل ويحطم شخصيته.

ينظر الطفل لوالده الذي يتدخل في كلّ شيء بأنّه يزاحمه ويمنعه من القيام بفعالياته كما يجب، وإنّه كالأسير الذي يكون مقيداً في حركته. وسوف يصاب مثل هؤلاء الأولاد بمختلف أنواع العقد، فيلجأون إلى العنف والانحراف.

لذا يجب الاهتمام بالنقاط التالية:

١ - حاولوا التقليل من التدخل.

٢ - ليكن تدخلكم غير مباشر.

٣ - مارسوا التدخل عند الضرورة، ومتى ما انعدمت السبل الأخرىٰ.

٤ - لا يكن تدخلكم دائماً ومستمراً. فمثلاً لا تسمحوا للطفل بأن يشعر بوجود من يراقبه في لعبه.

٥ - ليكن الهدف من التدخل هو هداية الطفل وإرشاده.

فرض وجهات النظر:

يجب أنْ لا يشعر الطفل بالتعب والتثاقل بسبب الأوامر والتعليمات التي يصدرها الأب. وكذلك يجب أن لا يتصور الأب بأن أوامره واجبة التطبيق والتنفيذ.

إنه طفل وعنده رغبات عديدة، ويصاب بالنسيان ويحتاج إلى ميدان ليمارس عمله، وهذه كلّها أمور لا بدّ أن تؤخذ بنظر الاعتبار.

إن بعض الآباء يصرّون على أن يمارسوا نفوذهم، في الأسرة فيخضعونها لأوامرهم ونواهيهم. وهذا مطلب مشروع ولكن بشرط أن يدركوا بأن السيطرة على البيت لا تتحقق من خلال الأوامر والنواهي فقط. فما فائدة أن يفرض الأب وجهة نظره على أولاده من خلال القوة والعنف فتكون النتيجة جيلاً خائراً وضعيفاً.

إن تحميل الطفل فوق طاقته واستخدام الأب لاقتداره يدفع الطفل إلى تمنّي الموت لوالده، أو أن يقف بوجهه عندما يكون قادراً على ذلك. وحتىٰ لو نجح الأب في أمره ونهيه إلاّ أن ولده سيكون إنساناً مسلوب الإرادة وعديم الدور.

من جانب آخر فإن الاستسلام والطاعة الكاذبة تقضي علىٰ إمكانية أي ابتكار أو اجتهاد عند الطفل فيكون جاهزاً للانفجار في أية لحظة بسبب العصيان الكامن فيه. وسوف ينشأ هؤلاء الأولاد نشأة سيئة ويكونون مهيّئين لممارسة مختلف الجُنح. وقد أظهرت التجارب أيضاً بأنّهم سيكونون أذلاّء وضعفاء وقساة وتافهين في مستقبلهم.

نوع الأوامر والنواهي:

من الخطأ أن نطالب الولد بالطاعة العمياء أو نجعل طاعته وسيلة لإرضاء إحساسنا وشعورنا بالفخر. إنّه لم يولد ليطيعكم، بل يحتاج إلى توجيهاتكم وإرشاداتكم.

وثمة أصول ينبغي مراعاتها عند إصدار الأوامر والنواهي منها:

١ ـ استخدام المنطق والدليل إذا أمكنكم.

٢ ـ إفهام الطفل بأن الهدف هو سعادته فقط ولا يوجد أي غرض آخر.

٣ ـ أن تكون الأوامر والنواهي من النوع الذي تؤمنون به وتلتزمون به.

٤ ـ أن يدرك الطفل بأنّه سيتضرر فيما لو لم يلتزم بهذه الأوامر والنواهي.

٥ ـ لا تجعلوا الطفل يضيق ذرعاً بها فيلجأ إلى العصيان.

٦ ـ لا تكرروا الأوامر والنواهي. فالهدف هو أن تستمر الحياة بشكلها العادي ولا إكراه في الأمور.

٧ ـ إحذروا أن تكون الأوامر والنواهي فوق طاقة الطفل حتى وإن لم يلجأ إلى العصيان والتمرّد.

٨ ـ أن يتذوّق الطفل عقوبة عدم التزامه بالأوامر والنواهي المهمة ويدرك بأن الهدف من العقاب هو خيره وصلاحه.

وقد ورد عن الإمام الصادق (ع) في حديث له بهذا الشأن قوله: «... يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يخرق به».

الفصل الثالث والأربعون

أسلوب العقاب

العقاب والتربية:

يعتبر العقاب بمعناه اللغوي وحتى الاصطلاحي واحداً من وسائل التربية، حيث يستفاد منه في موارد عديدة.

ويفهم الناس بأن العقاب يعني الضرب في حين إنه يشتمل أموراً أخرىٰ كثيرة لها نفس المعنىٰ دون أن تترك آثاره وأعراضه.

يقوم العقاب على فكرة أن يشعر المرء بالعذاب والجزاء، فيتذوق آلامه ويعيشها ليفكر بالتخلص منها والابتعاد عن ارتكاب تلك الأعمال. ويُمارس العقاب بواسطة الوالدين وخاصة الأب وفي أحيان أخرىٰ بواسطة المعلم والمربي وحتىٰ إنّه يتم ذاتياً أيضاً. وبشكلٍ عام فإن الحرمان بسبب العقاب يدفع الإنسان إلى الإمتناع عن القيام بذلك العمل.

صور العقاب:

للعقاب صور مختلفة في التربية **أهمها**: اللوم والتوبيخ والحرمان من بعض الامتيازات واللذائذ التي يهواها الطفل كالسينما وأفلام التلفزيون والقصة. ومن صوره أيضاً الإشارة والكناية والنظر بلوم وقطع المصروف اليومي والمقاطعة والتهديد. ولو لم تنفع كل هذه الأساليب لأمكن اللجوء إلى العقاب بمعناه أي الضرب، وقرص الأذن بما له شروط معينة أيضاً.

فالأصل في التربية أن تقوم دون اللجوء إلى القوة والعنف وأن يدرك الطفل في وجدانه وضميره بأنّه قام بأعمال قبيحة ويجب عليه أن يراعي

المبادىء الأخلاقية والأصول الانضباطية وينبغي أن يربّىٰ الطفل بحيث لا يخرج عن الطريق الصحيح وليخطو نحو الكمال.

ويتمكن الوالدان من اتخاذ أسلوب الصمت لأجل تربية ولدهما فيكتفيا بنظرات طويلة ومعبّرة. وقد أظهرت التجارب بأن هذا الأسلوب يفوق في تأثيره الضرب بمئات المرات.

وتوجد صور أخرىٰ للعقاب كالاستهزاء مثلاً، لكنه من أساليب الجهّال.

ضرورة العقاب:

تبرز أهمية العقاب وضرورته عندما تنعدم السبل وتفشل جميع أساليب المربي الأخرىٰ. ولا بدّ من اللجوء إليه أيضاً عندما يهمل الوالدان موضوع التربية. فقد ورد عن الإمام علي (ع) قوله: «مَنْ لم يصلح حسن المداراة يصلح حسن المكافأة».

فينبغي أن يلتزم الأب بأسلوب المداراة أولاً، وفي حال عدم تأثيره عليه أن يستعين بالعقاب.

أمّا الإجراءات التي يجب اتخاذها قبل اللجوء إلى العقاب فعديدة منها تنبيه الطفل وتحذيره والتحكم به وتوبيخه ولومه ومقاطعته وتهديده وغير ذلك. وقد ورد عن الإمام علي بن موسىٰ الرضا (ع) بأنه طالب بهجر الطفل ومقاطعته بدلاً من ضربه. ولكن بشرط أن لا تطول تلك المقاطعة.

فالذين يلجأون إلى ضرب الطفل إمّا أن يكونوا معقدين ولديهم مشاكل عديدة، أو إنّهم يحملون اعتقاداً بأنّ كل الطرق قد سُدّت في وجوههم ولا سبيل لديهم إلاّ العقاب، أو يؤمنون بفكرة خلاصتها أن الطفل فاسد ومنحرف بطبيعته، ولا بدّ من معاقبته في حين أن هذه الفكرة خاطئة من أساسها.

أعراض العقاب ونتائجه:

عندما يعني العقاب مثلاً الضرب المبرح فإن له نتائج مؤلمة، فالضرب

لا ينفع الطفل في تحقيق نموّه وتكامله، بل يؤثّر عليه سلباً. ومن أعراضه السيئة يمكن الإشارة إلى ظاهرة الحقد والإحساس بالحقارة والهروب من البيت والمدرسة والوقوف بوجه من يمارسه، وفقدان الثقة بالمربي واللاإبالية في الحياة والشعور بالذنب والكذب واللجوء إلى الحيلة وممارسة العنف والانحراف الفكري والروحي والتمرّد والعصيان وغير ذلك من النتائج الخطيرة.

وقد تشتد ظاهرة الإحساس بالحقارة أحياناً فيصاب الطفل باليأس أو الشعور بالخجل الشديد أمام أصدقائه فيضطر لتركهم.

إننا لا نريد أن نلغي العقاب، ولكن نؤكّد ضرورة قيامه على ضوابط عادلة تتناسب مع مستوىٰ الطفل وظرفه، وأن يمارس باحترامٍ أيضاً.

شروط العقاب وحدوده:

للعقاب شروط معينة ينبغي أن يلتزم الأب أو المربي بها ويراعيها، منها:

١ ـ أن يقوم على سياسة واضحة وضوابط مدروسة.

٢ ـ ينبغي أن يؤدي العقاب دائماً إلى اعتبار الطفل فيدرك ماذا عليه أن يفعل.

٣ ـ لا يؤثر العقاب على الطفل إلاّ إذا قام على الثقة وأن لا يفرط بالعلاقات الاجتماعية ويهدمها.

٤ ـ لا بدّ من ضبط النفس قبل ممارسة العقاب، وعدم اللجوء إليه في حالات الغضب والقلق.

٥ ـ ينبغي أن يتوفر الوعي والكفاءة في ممارسة العقاب وإلاّ فإن الجهل يؤدي إلى ظهور عاهات عند الأطفال.

٦ ـ لا يحق لغير الأب وأحياناً الأم ممارسة العقاب كالشقيق الكبير والشقيقة الكبيرة.

٧ ـ لا بدّ أن يطبق العقاب مع الذنوب الكبيرة وليس مع أي أمر بسيط وصغير.

٨ ـ أن يكون العقاب متناسباً مع الذنب لكي يشعر الطفل بالعدالة.

٩ ـ فرّقوا بين العقاب والحد. فالعقاب إما ضربة يد واحدة أو ضربتان، وليس كما يُفعل مع الحيوان. فقد ورد في الحديث الشريف انه «لا حدّ على الأطفال، ولكن يؤدبون أدباً بليغاً».

١٠ ـحاولوا بعد فترة قصيرة من كل عقاب أن تكسبوا قلب الطفل وتظهروا حبّكم له.

إضافة إلى ما ذكرناه فإنّ الطفل يحاول في بعض الأحيان اللجوء إلى أمّه هرباً من العقاب. وهنا لا يحقّ لكم أن تأخذوه بقوة من أحضان أمّه لتضربوه وتعاقبوه إذ ان ذلك يعتبر خطأ كبيراً. وعليكم أن تقبلوا بوساطتها.

العقاب والعنف:

قلنا انه لا بدّ من ضبط النفس في معاقبة الطفل واحذروا أن يصاب بأذىٰ. وهذا تحذيرٌ لكم لكيلا تواجهكم المشاكل؛ فلو أصيب الطفل ـ لا سمح الله ـ بعاهة معينة فما عليكم إلاّ أنْ تدفعوا نفقات علاجه إضافة إلى شعوركم بالخجل أمام طفلكم طيلة فترة حياتكم.

وعليكم أن تحذروا العنف دائماً حتىٰ وإن لم يؤدِ إلى حدوث عاهة أو نقص عند الطفل. إذ ان الأخلاق الإسلامية ترفض إلحاق الأذىٰ بالطفل وتعذيبه من أجل أن يُشفي الوالدان غليلهما، ويطفآن غضبهما خاصة وانه مظلوم ولا ملجأ له.

ويتعلم الطفل دروساً سيئة من العنف والظلم تؤثر على مستقبله حيث يمارسها مع مجتمعه، وقد ورد عن الإمام علي (ع) قوله: «مَنْ لم يُرحم لا يرحم».

العقاب المكرر:

يلجأ الطفل أحياناً إلى ممارسة الخطأ فينال عقاباً مكرراً منكم، ومن الممكن أن لا يؤثر فيه عقابكم رغم شدّته. وينبغي أن تبحثوا في مثل هذه الحالات عن الأسباب المؤدية إلى ذلك. حيث يألف الطفل العقاب في مدة قصيرة خاصة لو تعرّض إليه بكثرة، وسوف لا يشعر الألم الجسدي أو الروحي جرّاء الضرب، بل سيعتاد عيه أيضاً حتى إنّه يلجأ عامداً إلى

ممارسة بعض الأمور التي تعرّضه للضرب. وفي مثل هذه الحالة يمكن القول انه لا فائدة من العقاب.

يجب عليكم أن تكتشفوا أسباب الاضطراب وعلله كي يمكنكم اتخاذ الأسلوب المناسب لحل المشكلة. وقد تنقصكم الحيلة في ذلك فعليكم أن تستفيدوا من أفكار الآخرين وتجاربهم خاصة أصحاب الخبرة في هذا الشأن.

وبشكل عام نقول، إنّ عدم ارتداع الطفل رغم عقابكم المكرر يشير إلى وجود علل أخرىٰ ينبغي الكشف عنها.

محاذير في العقاب:

أشرنا سابقاً في شروط العقاب وحدوده إلى بعض المحاذير وسوف نشير فيما يلي إلى موارد أخرىٰ استكمالاً للبحث:

١ ـ إياكم والعقاب المضاعف، فلو ضربتم الطفل فلا تحقّروه وتجعلونه يشعر بالخجل.

٢ ـ لا تمارسوا عقاباً من نوع واحد على الدوام، فمثلاً إضربوه في مرةٍ، ووجهوا إليه اللوم في مرة أخرى، وقاطعوه أحياناً وغير ذلك.

٣ ـ احذروا أن يكون للعقاب نتائج نفسية كالخوف مثلاً حيث تحبسوا الطفل، علىٰ سبيل المثال، في غرفة مظلمة.

٤ ـ يجب أنْ لا يؤدي العقاب إلى تعب الطفل جسدياً كالوقوف لفترة طويلة أو المكوث في غرفة شديدة الحرارة أو البرودة.

٥ ـ لا تصرّوا دائماً على تحطيم إرادة الطفل، لأن هذا سيدفعه إلى أن يكون إنساناً عاطلاً وتافهاً.

٦ ـ لا تجلسوا له بالمرصاد بانتظار أن يرتكب خطأً معيناً لكي تعاقبوه بل حاولوا أن تشوّقوه وترغّبوه.

٧ ـ لو عاقبتم الطفل بسبب ذنبه فما عليكم إلاّ أنْ تبذلوا جهدكم من أجل القضاء على شعوره بالذنب.

٨ ـ إجعلوا الطفل دائماً يثق بكم ويحبّكم، وأفهموه بأنكم تريدون خيره وصلاحه.

الفصل الرابع والأربعون

مبادىء تحقيق الانضباط

معنى الانضباط:

الانضباط كلمة مشتقة من الضبط، وتعني مسك الشيء والسيطرة عليه وإخضاعه أو القبول به. والمقصود بهذه الكلمة تربوياً الالتزام بالقرارات والضوابط التي يضعها المربي بشأن الطفل أو الشخص الكبير.

فالطفل يولد حرّاً بطبيعته ولا يقبل بالضوابط والقوانين، ويحاول الأب من خلال طرق مختلفة، وأساليب متنوعة أن يعرّف الطفل ببعض القواعد لاعتقاده بأنه لا يمكن الاستمرار في الحياة دون الالتزام ببعض الضوابط المستلهمة من المجتمع والدين.

فتلقين الطفل بالضوابط ومطالبته بها يعتبر أمراً ضرورياً خاصة وإنّه يمثل أمانة الباري جلّ وعلا عند والديه، وان الأب المؤمن مسؤول عنه ومحاسب بسببه **﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾**. وقد لا يطيق الطفل تلك الضوابط لكنها ضرورية لحياته وتنفعه أيضاً.

أساليب الانضباط:

ثمة وجهات نظر مختلفة بشأن الأساليب التي ينبغي للأب استخدامها لتحقيق الانضباط في البيت. واننا سوف نشير فيما يلي إلى ثلاثة أساليب رئيسية:

١ ـ **أسلوب الاستبداد**: ويلجأ إلى هذا الأسلوب فريقان من الآباء:

الفريق الأول، هم أولئك الآباء الذين يهتمون كثيراً بتربية أولادهم،

ويطمحون إلى تنشئتهم على مبادىء الآداب والقواعد ويريدون تحقيق ذلك بأفضل ما يكون وبأسرع وقت ممكن.

أما الفريق الثاني، فهم الآباء المرضىٰ وأولئك المصابون بانهيارات عصبية. وقد عانىٰ هؤلاء كثيراً في حياتهم السابقة أو أنّ لهم مشاكل عديدة تواجههم خارج البيت فيحاولون التخلص منها من خلال نقلها إلى محيط الأسرة.

ويرفض الدين الإسلامي أسلوب الاستبداد وخاصة مع الأطفال الأبرياء الذين لا ملاذ لهم. لأن هذا الأسلوب لا ينفع الطفل أبداً إضافة إلى تأثيراته السلبية. وقد أظهرت التجارب إنّه لا يمكن اللجوء إلى إصلاح الطفل في ظل الاستبداد، وما أكثر الذين لجأوا إلى العصيان والانحراف جرّاء ذلك.

٢ ـ أسلوب الحرية المطلقة: يلجأ بعض الآباء والأمهات إلى هذا الأسلوب في تربية أولادهم معتقدين انه ينبغي ترك الطفل وشأنه حتىٰ تنمو استعداداته وقابلياته. وان منع الطفل عن بعض الأعمال يؤدي به إلى الإصابة بعدد من العقد والاضطرابات.

إلاّ أن الدين الإسلامي يرفض أيضاً هذا الأسلوب، ويعتقد بأنّه ليس في صلاح الطفل ولا في صلاح أسرته. فالطفل قاصرٌ عن تشخيص ما يضرّه وما ينفعه، وما أكثر المضار التي تصيبه خطأً في حين انه كان ينوي تحقيق الخير والصلاح. حتى انه قد يُهلك نفسه أحياناً أو يتورط في مشاكل معقدة لا يمكن حلّها بسهولة.

كما ان هذا الأسلوب لا ينفع الأسرة أيضاً لأن الطفل سيتجرّأ على والديه مما لا يمكنهما في المستقبل الوقوف بوجهه. وسوف ينشأ مدلّلاً وحساساً ومغروراً ومنحرفاً.

٣ ـ أسلوب الحرية المقيدة (المشروطة): وهو الأسلوب الثالث المستخدم في تحقيق الانضباط ومبادئه. فالطفل حرٌّ في تصرفاته ولكن ضمن حدود معينة. إنّه حرٌّ متى ما لم تؤثر حريته سلباً عليه أو على الآخرين. وإلاّ لكانت مرفوضة من الشرع المقدس. ويجب أن تُسلب حريته متى ما تجاوز حدوده.

لا بدّ من مراقبة الطفل لكي لا يلحق ضرراً بنفسه أو بالآخرين وأنْ لا يخاطر بحياته الحالية والمستقبلية، وألاّ يلجأ إلى الظلم ولا إلى الكسل والتحلل، ولكن بشرط أن لا ندفعه لينفذ صبره وييأس من الحياة. فهذه الحرية بحاجة إلى حكمة الأب. فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاّ كان خراباً».

- من أجل تحقيق انضباط الطفل:

يستطيع الأب أن يستعين بعوامل ووسائل تعينه في تحقيق انضباط الطفل أو تمنعه من ارتكاب الخطأ.

أما العوامل الدافعة والمعينة فيمكن الإشارة إلى مصادقة الطفل ومراعاته، وطلب الخير له وحبّه، والتعامل معه بأدب وأخلاق، ورعاية أحواله، وتشويقه وتشجيعه، ومكافأته.

أمّا العوامل المانعة من ارتكاب الخطأ فيمكن أن نذكر منها التنبيه والتحذير والتوبيخ واللوم والتهديد والعقاب حيث يمكن التحدث عنها بشكل منفصل، وهذا ما تبنّته كتب التربية.

وبشكل عام نقول ان الحديث الودي والإجراءات التي تعبّر عن الحب والعطف والحنان أجدىٰ بكثير من القوة والعنف والضرب المبرح.

نعم يمكنكم أحياناً أن تمنعوا طفلكم من القيام بعمل معين بصفعة واحدة، ولكن عليكم أن لا تنسوا بأنه سيعتبر والده دكتاتوراً وقادراً على صفعه متى ما يشاء.

فالولد يستسلم لوالده ما دام طفلاً ضعيفاً، غير انه سيقف بوجهه متى ما أصبح قوياً ومقتدراً. لذا فإن هذا السلوك ليس في صالح الطفل والوالد أبداً.

اللوم والانضباط:

يلجأ بعض الآباء إلى اللوم من أجل تحقيق قواعد الانضباط. فنراه يؤنّب طفله باستمرار. ومن الطبيعي أن اللوم في الأصل مفيد للطفل من أجل أن يلتزم بالقواعد الضرورية، ولكن ينبغي الالتفات إلى الملاحظات التالية:

١ ـ يؤدي اللوم الشديد إلى شعور الطفل باليأس من نفسه والإحساس بعقدة الحقارة.

٢ ـ إذا تكرر اللوم فإنه يؤدي إلى ابتعاد الطفل عنكم بشكلٍ لاشعوري والإنجذاب إلى أمه، مما يعرض العملية التربوية للفشل.

٣ ـ قد يؤدي الإفراط في اللوم أحياناً إلى العصيان والتمرّد وفشل التربية.

٤ ـ يؤدي اللوم الكثير أحياناً إلى تحطيم القوىٰ الداخلية للطفل بحيث يفقد الجرأة على العمل وبذل الجهد.

وبشكلٍ عام ينبغي أن تكون موارد اللوم والتأنيب قليلة جداً، وفي حالات استثنائية. وأن يكون الهدف من ذلك طلب الخير والصلاح للطفل لا قمعه وإلحاق الأذىٰ به.

وحري بالأب أن ينوي إصلاح طفله وليس أن ينفّس عن عقده أو إضعاف موقع طفله من أجل دعم مكانته وموقعه. فقد ورد عن الإمام علي (ع) في هذا الشأن قوله: «تلويح زلة العاقل له أمضىٰ من عتابه». حيث يقضي هذا الأمر على التأثيرات المباشرة وغير المباشرة للدروس السيئة ويسارع في عودة الطفل إلى الطريق الصحيح.

تحقيق قواعد الانضباط:

ثمة أصول وأساليب معينة تحقق انضباط الطفل. وسوف نشير فيما يلي إليها من خلال مجموعتين، سلبية وأخرىٰ إيجابية:

أ ـ المجموعة الإيجابية: ينبغي للأب الذي يريد تحقيق انضباط طفله أن يهتم بالقواعد التالية:

- التحلّي بالخلق الإنساني والسلوك الجميل مع التسامح والصفح والمداراة.
- تعريف الطفل بأنواع السلوك الصحيح.
- تدريبه على الانضباط بشرط التزام الأب به.
- تلقين الطفل وتنبيهه باستمرار من أجل أن يعتاد على السلوك المطلوب.

- إصدار الأوامر المنطقية التي يتمكن الطفل من تنفيذها.
- الوحدة بين الأب والأم في إصدار الأوامر والنواهي لكي لا يشعر الطفل بالحيرة.
- السعي لتعريفه بمبادىء الحياة كاحترام الوقت وآداب الطعام والنوم واليقظة والذهاب والإياب وكيفية التحدث والاحترام ورعاية الأدب منذ مرحلة الطفولة.
- إيجاد الوحدة بين القول والعمل ومنع التضاد بين القول والسلوك.
- التعامل الإنساني مع الطفل لكي لا يصاب بالغرور.

ب ـ **المجموعة السلبية**: إذ ينبغي للأب أن يهتم بما يلي:

- الامتناع عن ممارسة الضغط الشديد في الحياة، وإصدار الأوامر والنواهي العديدة.
- الامتناع عن زرع الخوف في أعماق الطفل لاحتمال أن يؤدي ذلك إلى الاضطراب النفسي.
- الحذر من الإستهزاء أو الإهانة أو التأنيب الشديد لأنها تؤدي إلى الإصابة بمختلف العقد.
- الامتناع عن تحميل الطفل فوق طاقته.
- الامتناع عن الغضب والعصبية في تحقيق قواعد الانضباط، كما ينبغي الامتناع عن التوسل وإظهار العجز.
- التفريق بين التربية وبين الحب والبغض.
- عدم التفكير بالأمر الحاصل، والالتفات إلى الهدف المنشود في التربية (الهدفية).
- الامتناع عن ممارسة السلوك المنحرف، لأن الطفل سيكتسب ذلك من أبيه (الولد على سرّ أبيه).

الباب الثاني عشر

الأب والحالات المستجدة

قد يحدث الطلاق أحياناً في الحياة الأسرية، ولا يوجد شك في أن الوالدين فكرا في هذا الموضوع قبل وقوعه وحتى إنّهما حددا المكان الذي سيسكنان فيه لاحقاً. أما الشيء الذي لم يفكرا فيه بجدٍ فهو الطفل.

فأحياناً تنهار الأسرة وتتفكك أواصرها بسبب الطلاق. ويؤثر الانفصال بين الزوج وزوجته مهما كانت أسبابه على الحياة المستقبلية للطفل، ويترك عليها بصماته وآثاره السيئة، أو قد يلجأ الأب بعد وفاة الأم، أو بوجودها أيضاً، إلى الزواج الثاني مما يؤثر هذا الأمر على الطفل فينبغي الاهتمام بالطفل ورعايته.

ويمكن في أحيان أخرىٰ أن يلجأ الأب إلى الانحراف أو يعرّض شرف الأسرة وكرامتها إلى الخطر، أو ينقل الفساد من خارج البيت إلى داخله مما تكون عواقب ذلك خطيرة على الطفل.

وقد حاولنا في هذا الباب ذكر الموارد الثلاثة مع مراعاة الاختصار.

الفصل الخامس والأربعون

الأب والطلاق

الأسرة المنسجمة:

تكون الأسرة منسجمة عندما تقوم العلاقة بين الزوج وزوجته على أسس ومبادىء واحدة وتفاهم بشأن الحياة المشتركة خاصة في مجال تربية الأطفال. وتسير مثل هذه الأسرة على طريق واضح في الحياة وتلتزم بهديه. وليس مهماً أن تكون الأسس صحيحة وحقيقية، بل إن الانسجام بحاجة إلى اتفاق في الرأي وتفاهم، خاصة في موضوع تربية الأولاد.

وثمة ضرورة ملحة لهذا التفاهم الذي سيكون سبباً لتكامل الزوجين والأطفال أيضاً.

فلو تقرر أن يسلك كلٌ من الزوجين طريقاً خاصاً به ومواصلة الحياة بموجب ذلك لانعكس ذلك سلباً عليهما وعلى أطفالهما، بل يجب عليهما أن يكونا ككفتي الميزان لكي يمكنهما تحقيق الانسجام الذي يُعتبر مهماً من أجل تحقيق العملية التربوية وإلاّ لاختل التوازن وظهرت الصعوبات والمشاكل.

إنحلال الأسرة:

تظهر ـ مع الأسف ـ أحياناً في الحياة الأسرية بعض الموارد التي تؤدي إلى ظهور الصراعات والاختلافات والحوادث الأخرىٰ التي تدفع الأسرة إلى الانحلال، وتظهر هذه الأحداث بصورةٍ مُختلفة منها، موت الأب، وموت الأم، والزواج الثاني، وتعدد الزوجات دون توفير المقدمات

لقبول ذلك، وانحراف الأب وإجرامه، وغيابه ـ أو الأم ـ الطويل، والنقص العاطفي عند الأولاد، والانفصال بين الزوج وزوجته، والطلاق، وحدوث الفوضىٰ الاقتصادية أو عدم الانضباط، وفقدان قدرة السيطرة على الأولاد وغير ذلك.

ويمكن تحمّل هذه المشاكل والاضطرابات والصبر عليها متى ما كانت بمستوىٰ إدراك الإنسان وفهمه وسنه وقابليته واستعداده. ولكن ثمة حالات أخرىٰ تصل فيها الحياة إلى مرحلة الانفجار إذ تكون سبباً في انحراف أفراد الأسرة وخاصة الأولاد.

لذا ينبغي، إمّا عدم الزواج مطلقاً أو تحديد الأهداف والمقاصد مسبقاً قبل الإقدام عليه. ولا بدّ من التدقيق في الموضوع ودراسته بإمعان منذ مرحلة انتخاب الزوجة والامتناع علىٰ الأقل عن عملية الإنجاب حتىٰ الفترة التي يتم فيها تحقيق التفاهم والتوافق بشأن الحياة المشتركة.

أسباب انحلال الأسرة:

ثمة عوامل عديدة تؤدي إلى انحلال الأسرة وظهور حالات الاختلاف والصراع والاضطراب بين أفرادها.

وسوف نشير باختصار إلى بعض منها، علماً بأننا قد أشرنا بالتفصيل إلى هذا الموضوع في كتاب (الأسرة وقضايا الزواج والشباب) وكتاب (نظام الأسرة في الإسلام).

إنّ أساس جميع الاختلافات هو عدم اختيار الكفء، فيحدث التباين في الاعتقاد والإيمان، والاختلاف في الفكر والوعي والسن والإدراك والمستوىٰ الطبقي؛ وينبغي أن يفكر الزوجان منذ البداية بهذا الأمر لكي لا يصل أمرهما إلى النزاع والاختلاف أو يتمكنا على الأقل من تحجيم المشكلة.

ولا بدّ أن يتعرّف كلٌ من الرجل والمرأة على بعضهما قبل الزواج وأنْ يطّلعَ كلٌ منهما على أفكار الآخر وطبيعته، ويعي خلقه وإيمانه وشخصيته لكي يحذرا تلك النتائج المؤسفة. وبخلاف ذلك فإنّ المشاكل ستبدأ من

خلال ذرائع صغيرة وتافهة، وأوامرٍ ونواهٍ يصدرها أحد الطرفين لسلب حقوق الطرف الثاني وفرض سلطته عليه، وجعله عبداً مطيعاً للطرف الأول وتابعاً له.

الإسلام وموضوع انحلال الأسرة:

لم يحرّم الإسلام الطلاق، لكنه لم يبحه أيضاً، حيث يرىٰ كل إنسان أنه حرٌ في التخلص من أواصر هذه الرابطة المقدسة.

فالطلاق حلال ولكنه أبغض الحلال ولا يباح إلاّ في الحالات التي تنعدم فيها جميع الطرق والأساليب الأخرىٰ، ولا سبيل إلاّ اللجوء إلىٰ آخر الدواء. وقد جاء عن رسول الله (ص) قوله: «ما مِن شيءٍ أبغض إلى الله من الطلاق».

وإسلامياً، فإنه لأمرٌ قبيح أن يلجأ الزوجان إلى الطلاق والانفصال بعد أن ارتبطا برابطة الزواج المقدسة، وأصبحا مستودعاً لأسرار بعضهما. وإنهما بهذا العمل سيسحقان بأقدامهما كل ذلك الحب والود والإخلاص بينهما، ويكذبان على نفسيهما.

ويمكننا أن ننعت الطلاق بأنّه ذنب أخلاقي، ولهذا السبب لا تجيزه الأديان الأخرىٰ.

نعم فالإسلام يسمح بالطلاق متى ما تعرّض دين الإنسان واعتقاده إلى الخطر، وأشرفت الأسرة على الانهيار، وتعذرت الحياة بسبب الصعوبات والمشاكل التي لا يمكن الصبر عليها، وفشلت جميع السبل في إعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية.

الأولاد والنزاع:

يحصل الطلاق عادة بسبب النزاع، وتتعقد الأمور وتتضخم من خلال المجادلة، ويعود أساس ذلك إلى عوامل متجذرة ومتأصلة ولكنها خفية من خلال اتخاذ ذرائع واهية في الحياة. وعندما يظهر الاختلاف لا يعترف الزوجان بحقيقة أسباب هذا الاختلاف والمشاكل المترتبة عليه.

إن الأطفال هم أول الذين سيشعرون بفقدان الأمن والتضرر وذلك بسبب ظهور النزاع في الأسرة. إنهم سيشعرون بالقلق لجهلهم بعاقبة هذه الصراعات، ويتأثرون كثيراً لدىٰ رؤيتهم الشجار الدائر بين الطرفين.

وعندما يسود الأسرة جوٌ من التشتت فإن الأجواء الروحية للطفل سيصيبها التشتت أيضاً لإحساس الطفل بالخوف واللاأمن وفقدان الملاذ والملجأ، والبحث عن طريق للتخلص من هذا القلق.

ويشتد هذا الإحساس عند الطفل متى ما شاهد انه أصبح وسيلة لإطفاء غضب الوالدين، وانه تعرّض للضرب دون أي سبب.

أعراض الطلاق:

للطلاق ثلاث مجموعات من الأعراض، فهو يؤثر على الزوجة وعلى الزوج وعلى الأطفال أيضاً. ومن أعراضه المهمة على الأطفال، شعورهم بالحيرة، والإهمال والعبثية. فيسّد أمامهم طريق الخير والصلاح ويغيّر سلوكهم، ويدفعهم نحو القلق والاضطراب والانتقام. ويكون الطلاق أحياناً أخرىٰ سبباً في شعور الطفل باليأس من والده، فيبتعد عنه ويعتبره غريباً ولا يقبل به.

ويكون الابتعاد عن الأب عادة من أعقد التجارب في حياة الطفل مما يهدد رغباته وآماله ويدفعه إلى الشعور بالوحدة والفراغ، ويضطره إلى التمرّد والانزواء والهيجان.

ويجرّ الانفصال عن الأب ـ أحياناً ـ الطفل إلى شعور بالغم والحزن والعزاء، بل وحتىٰ إلى رقوده فوق سرير المرض في أحيان أخرىٰ.

وكلما كان الطفل صغيراً كلما اشتدّت نتائج الانفصال عن الأب عليه، إذ من الممكن أن يفقد حالة الانشراح والمرح، وسوف تشتد هذه الأعراض على ذلك الطفل الذي ذاق الآلام ولمسها مسبقاً مما ستدفعه للقلق الشديد والاضطراب الكبير والتأثير سلباً على سلوكه.

تأثيرات الطلاق على مستقبل الطفل:

للطلاق تأثيرات سلبية على حياة الطفل المستقبلية، وما أكثر المشاكل والعقد التي ستعتري الطفل في المستقبل بسببه مما يؤثر على حاله ويجعله أسوأ من اليتيم.

ومن الممكن أن يصاب الطفل باضطرابات سلوكية جرّاء الطلاق. وقد أظهرت التجارب أنّ ذلك يؤثر سلباً على نموّه وتكامله، ولو كان الطفل ذكراً فإنّه من العسير جداً أن ينمي في نفسه صفة الرجولة.

لا يؤثر الطلاق على نفسية الطفل وسلوكه فحسب، بل يطبع بصماته على شخصيته ومزاجه أيضاً، ويهدد أواصر الأسرة ويعرضها للخطر.

وثمة مخاطر كبرىٰ في هذا الطريق كاللجوء إلى الانحراف وممارسة الجُنح والجرائم المختلفة.

وقد كشفت تحقيقات علماء الاجتماع وخبراء الجرائم أنّ نسبة الانحرافات والجرائم هي أعلىٰ بكثير في تلك المناطق التي يكثر فيها الطلاق.

وانّ الأشخاص الذين واجهوا في صغرهم حالات طلاق الوالدين يلجأون عادة إلى ممارسة تلك الأساليب ولا يمكن الوقوف بوجه هذه الانحرافات بسبب اتساع مداها.

الحذر من الطلاق:

إنّ لسنّ الطفل في حال انفصال الوالدين تأثيراً كبيراً على سلوكه واضطرابه النفسي. وعادةً يتألم الطفل بشدة لهذا الموضوع في مراحل حياته الأولىٰ. ولا بدّ من توفير بعض المقدمات وتهيئة الأجواء لهؤلاء الأطفال.

ينبغي أن يفكر الزوجان بطفلهما ونموّه فيما لو أرادا الطلاق أو ترك أحدهما للبيت، فلا تُمارس الأعمال في الخفاء.

إسمحوا للطفل أن يرىٰ كل شيء ويطلع عليه ولا تلجأوا إلى الطلاق المفاجىء، وليحاول الزوج والزوجة الصبر على موضوع الطلاق وعدم

التعجيل به، وذلك من أجل الطفل، لكي يكون مستعداً نفسياً لتحمّل هذا الانفصال والقبول به.

فالطلاق المفاجىء يؤدي إلى إصابة الطفل بالانبهات والحيرة والكآبة والأذىٰ الشديد. ويمكن أحياناً أن تظهر عنده اضطرابات معينة فتقضي على معنوياته. فينبغي للآباء ـ على الخصوص ـ أن يكونوا أكثر حذراً فلا يضحّوا بأولادهم من أجل راحتهم.

تحديد مصير الطفل:

لا سبيل أمام الزوجين إلاّ أنْ يتفقا بشأن طفلهما، رغم جميع الاختلافات القائمة بينهما والتي تدفعهما إلى الطلاق.

إذ ينبغي أن يحافظا على حيادهما ويبذلان جهدهما من أجل سلامة الطفل ومصلحته.

وتقتضي المصلحة أن لا يبتعد الطفل عن أمّه ولا ينفصل عنها حتى الانتهاء من مرحلة الرضاعة لأنّه يودها ويحنّ إليها.

أما لو قرر الزوجان ترك طفلهما عند أشخاص آخرين فليختارا مكاناً محدداً ومستقراً كي يشعر الطفل بأنهما يفكران بأمره. وأنْ يكون أولئك الأشخاص ممن يحبّهم ويألفهم ويحترمهم ويأنس بهم.

ولو أردتم الزواج بعد الانفصال عن الزوجة الأولىٰ، فعليكم أن تفكروا بالطفل قبل أن تفكروا بأنفسكم. إذ أنّ نقل الطفل من مكان إلى آخر يمثل جُرماً كبيراً لا يمكن التسامح به. ويؤثر ذلك سلباً على معنوياته ويجعله قلقاً وسيء الظن بوالديه. اتركوه عند جدته أو خاله أو عمه أو... وأوصوهم به كثيراً.

تحذير بشأن اللقاء:

ليس من الإنسانية أنْ يتحول الطفل إلى رهينة بيد الأب أو الأم فلا يسمحان له أن يقابل الطرف الآخر بسبب الاختلاف والنزاع الموجود بينهما.

على الأب أن لا يمنع زوجته بعد الانفصال عنها من رؤية طفلها لأنّ ذلك يؤثّر على الطفل قبل أن يؤثر على الزوجة. اذهبوا إلى مقابلة ولدكم وزيارته وابذلوا جهدكم لكي يشتاق إلى اللقاء القادم. وقد يلجأ الطفل إلى البكاء عندم يراكم ـ خاصة الأطفال الذين هم دون سن السادسة ـ فعليكم أن تواسوه في هذه الحالة، وادخلوا السعادة إلى قلبه فقد ورد عن رسول الله (ص) قوله: «إذا نظر الوالد إلى ولده فسرّه فكان للوالد عتق رقبة».

أظهروا له أنكم تفكرون بأمره ولم تنسوه أبداً، ومن الطبيعي أن الأطفال مختلفون في التحمّل والقبول بكم، فكلما زاد سنّهم كلما زاد تحمّلهم.

الفصل السادس والاربعون

الأب والزواج الجديد

الطفل وموت الأم:

إنّ من أصعب الحالات التي يمرّ بها الطفل وأشدّها هي عندما تموت أمه، إذ ان هذا الغم كبير على الطفل الذي ستتأثر روحه بشدة لهذا المصاب. وقد يؤدي هذا الفقدان إلى ظهور اضطرابات عديدة بل وحتى عقلية تختلف باختلاف الأطفال.

فالطفل يصبر بصعوبة بالغة على هذا الفراق، ولو حدث موت الأم في سن دون السادسة فإنّه يؤدي إلى ظهور أعراض معينة كالكآبة والانزواء وظهور صفات مضادة للمجتمع في بعض الأحيان مما يهدد علاقاته الاجتماعية.

ومن الطبيعي أن يتأثر الأطفال الصغار بسرعة لهذا الحدث كما أنّهم ينسجمون بسرعة ـ تقريباً ـ مع الظروف الجديدة، في حين أن الأطفال الكبار ليسوا هكذا، لأنّهم يتحملون بصعوبة الآثار والنتائج المترتبة على موت الأم ولا يمكنهم أن ينسوا ذلك بسهولة.

دور الأب:

قلنا ان من الصعب جداً على الطفل أن يتحمّل الوحدة بسبب وفاة أمّه مما يضاعف ذلك من مسؤولية الأب. إذ يجب عليه أن يتعلم من الأم كيف يداري ولده حتى يتمكن من تربيته بعد فقدانها، وأن يزرع الأمل عنده في الحياة.

وفي الحقيقة إنه ينبغي أن يمارس الأب في الأيام الأولىٰ دور الأبوّة والأمومة معاً، وهذا عمل معقد تقريباً. وقلما نرىٰ آباءً قادرين على القيام بهذين الدورين لأن الرجال لا يملكون نفسية الأم وانهم يغضبون لأدنىٰ ضوضاء فيقفوا بوجه الولد.

إنّ السلوك المعقد والرجولي للأب وحتىٰ نوع العزاء الذي يقدمه بعد وفاة زوجته يمكن أن يؤثر سلباً في الطفل فيشعر بالقلق والاضطراب. وينبغي على الأب ـ خاصة بعد موت الأم ـ أن يدخل إلى قلب ولده عبر بوابة الحب والحنان والعاطفة، وأن يستعين بالصبر أمامه ويستسلم له.

ضرورة الزواج الجديد:

من الضروري لأولئك الرجال الذين توفيت زوجاتهم، ولديهم أطفال صغار، توفير مقدمات الزواج الجديد وارتباطهم بواحدة من القريبات والمعارف خاصة من اللواتي يستأنس بهن الطفل ويودهن، لكي تعود المياه إلى مجاريها الطبيعية.

ويمكن لهذا الأمر أن يعدّ نعمة للأطفال الصغار في حين انه قد يكون إهانة لغيرهم خاصة الأحداث والكبار، إذ انهم سيبدون حساسية وتعصّباً ازاء هذا الموضوع ولا يمكنهم تحمّل من تحتل مكان أمهم.

ويمكن تقريباً التعويض عن حرمان الولد من عاطفة الأم في العام الأول بعد موتها من خلال اختيار خلف لها، ولكن يجب القول أن موت الأم يؤثر على الطفل حتىٰ في الأشهر الثلاثة من عمره. لذا فلا يمكن لكل الجهود المبذولة والأساليب المستخدمة إلاّ أنْ تسدّ جانباً من هذا الفراغ.

والخلاصة فإن فقدان الأم والحرمان من حبّها وعطفها في السنوات الأولىٰ من عمر الطفل يؤثر على شخصيته ويغيرها رغم وجود زوجة جديدة للأب تمارس حبّها وعطفها. وقد تشتد هذه التأثيرات في السنوات القادمة حتى إنّه يصعب القضاء عليها أو التعويض عنها.

الحاجة إلى الإلفة مع زوجة الأب:

لا بدّ من توفير الأرضية ليتعرّف الأولاد على زوجة الأب الجديدة

والاستئناس بها خاصة بعد أن تدخل البيت بعد موت الزوجة الأولىٰ. فالطفل لا يقبل بسهولة أن تحتل امرأة أخرىٰ مكان أمّه خاصة في السنة الثالثة.

وكلما كان الطفل صغيراً كلما تسارعت عملية الانسجام مع الحالة الجديدة وزوجة الأب. وتكمن الصعوبة البالغة عندما يكون الطفل في مرحلة النشئ أو البلوغ.

وينبغي الإشارة إلى هذه الملاحظة وهي انه لا يمكن لأية امرأة أن تحتل موقع الأم بالنسبة للطفل فتجذبه نحوها. ولكنه يمكن أن تكسب قلبه وتنجح في ذلك إلى درجة كبيرة فيما لو كانت امرأة صالحة وكفوءة.

العلاقة مع زوجة الأب:

قلنا ان الطفل الصغير يقبل بسهولة بامّه الجديدة، وتسهل هذه العملية كلما اقترب عمر زوجة الأب من عمر الأم.

وينبغي أن يقبل الطفل بهذه الأم الجديدة بعد العام الأول من عمره وهذا ما لا يمكن أنْ يحدث مع أية امرأة. ومن الطبيعي أنه لا توجد أية مشكلة في أن يألف الطفل امرأة أخرىٰ ويجلس في أحضانها بحضور أمّه. إلاّ أن الصعوبة تكمن بعد موت الأم.

إن سلوك زوجة الأب يدفع الطفل إلى أنْ يرفضها ويبتعد عنها ولا ينسجم معها مما يكون سبباً لأن يعاديها. ومع الأسف إننا نشاهد كيف أن بعض التصرفات يؤدي إلى احتقار الأطفال الأبرياء وتعذيبهم وتوفير مقدمات عصيانهم وشعورهم بالاضطراب.

فيجب على اللواتي يحتلن موقع الأم أن يفهمن بأنّ إجبار الطفل علىٰ البكاء لا يخدمهن وليس في صالحهن أبداً. فقد جاء عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «إذا بكىٰ اليتيم اهتزّ لبكائه عرش الرحمن» فينبغي عليهن أن يدركن بأن الإشراف على الطفل وتربيته يمثل وظيفة إنسانية وأخلاقية، وأن يفهمن بأن المواقف القبيحة تؤدي إلى التفريط بحياة الطفل حالياً ومستقبلاً.

العلاقة مع الأولاد الجدد:

قد تلد هذه الزوجة الجديدة أطفالاً، وهذا أمر طبيعي غير أنّ الشيء المهم هو المساواة في العناية والعاطفة بل ثمة حاجة ماسة لأن تميل كفة الميزان لصالح الطفل اليتيم.

إنّه لخطأ كبير أن يسمح الأب لزوجته الثانية بمداراة أولادها بينما تتجاهل الطفل اليتيم ابن الزوجة السابقة. ولو أدرك الطفل هذا المعنىٰ ولمس تمييزاً في التعامل لنظر إلى زوجة أبيه كالأخطبوط الذي يقف بوجهه مما ، يتأثر كثيراً لموت أمّه، ويشعر بفقدانها أكثر من السابق. كما أن السلوك الظالم لزوجة الأب حيال الطفل أو تعامل الأب معه سيدفعه إلى الشقاء وممارسة الجريمة.

وقد دلّت الأبحاث التي أجريت علىٰ المجرمين أن العديد منهم حُرِمَ في صغره من العاطفة ولم يُشبَعْ منها، وانهم - أي المجرمين - لجأوا في حياتهم الحالية إلى الإجرام للتعويض عن ذلك النقص.

في حال تعدد الزوجات:

لا بد من القول أولاً انه ليس من الشهامة قيام الرجال الشهوانيين - رغم اكتفائهم بزوجاتهم - بالبحث عن مُتع جديدة وزوجات أخريات فيفرّطوا بحياتهم ويبتعدوا عن أسرهم.

فهؤلاء قد نسوا بأن تعدد الزوجات في الإسلام إنما أُريد منه خدمة المرأة وليس التمادي بالشهوات.

وبشكلٍ عام فلا يمكن للأطفال الصبر على هذه الحالة بوجود أمهم إلاّ أن يكونوا صغاراً جداً. وقد لا يكترث مَنْ هم في سن ٦ - ٨ سنوات بهذا الموضوع، ولكن الكبار وخاصة الأحداث يتخذون موقعاً معيناً ازاء هذا الأمر. فلو تم الزواج الجديد في حياة الأم فإنّه يضرّها وولدها إلاّ أن تكون الزوجة الثانية في بيت آخر. ولا بدّ من الحذر - والحال هذه - لكي لا يشاهد الطفل المشاكل الحاصلة والاختلافات والصراخ والعويل.

ويؤكد القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف أن على الرجل أن يهتم

بتحقيق العدالة بين زوجاته والأطفال لكي لا يؤثر ذلك سلباً على معنوياته - أي الأطفال - فيلجأوا إلى العناد والحقد. وان الطفل سيكون بمنأى عن ذلك كلّه فيما لو كان الأب عادلاً.

تعدد الزوجات والصراعات:

تؤدي الصراعات والنزاعات بين الزيجات إلى الإضرار بحياة الأطفال وجميع أفراد الأسرة، خاصة عندما يتدخل الزوج ويقف إلى جانب إحداهن دون الأخريات.

فالطفل بحاجة إلى جوٍّ هادىءٍ وآمن بعيد عن المشاكل حتىٰ لا يتعرض أمنه إلى الخطر ولا يتلقىٰ تلك الدروس السيئة التي تؤثر على حياته الحالية والمستقبلية.

إن العديد من مشاكل الأطفال وحتى الكبار في المجتمعات ترتبط بالمشاكل الموجودة في الأسرة والصراعات المتفشية فيها.

ولا سبيل أمام الطفل إلاّ الوقوف إلى جانب أمه متى ما شاهدها في صراع مع زوجة الأب. وسوف يسيء الظن بوالده ويحمل عنه تصوراً قبيحاً فيما لو شاهده يقف معارضاً لأمه. وتخلق هذه الحالة عُقداً عند الطفل وتؤثر على مستقبله.

لذا ينبغي للأب الذي يريد التزوج من زوجة جديدة أن يراعي العدل والإنصاف فلا يؤدي عمله، الذي نوىٰ به الخير والإصلاح، بالطفل وبقية أفراد أسرته إلى ممارسة الشر والفساد.

الفصل السابع والأربعون

الطفل والأب المنحرف

ضرورة نضج الأب:

يعتبر البلوغ شرطاً للزواج، لكن الكفاءة والنضج هما من شروط الأبوة. والسبب في ذلك أن الأب يقوم بعملية بناء شخصية الطفل ومعنوياته وأخلاقه، وعليه أن يكون سليماً لكي ينشأ الطفل سليماً ولو كان فاسداً لنشأ الطفل فاسداً أيضاً.

ولتحقيق عملية النضج لا بدّ من معرفة النفس والوظيفة الملقاة على عاتقه وبذل الجهد من أجل تحقيق بناء النفس، واكتساب الوعي والإيمان والتحلي بالصفات الإنسانية والأخلاق الجميلة. وينبغي أن يعرف الإنسان قدر نفسه ومكانته فلا يتجاوز حدّه. فقد ورد عن الرسول الأكرم (ص) قوله: «هلك امرؤ لم يعرف قدره وتعدى طوره».

وقد يكون البعض ضعيفاً من الناحية الاقتصادية فلا يملك مالاً كثيراً، لكنّه في مستوى جيد من النضج والخلق، لذا فإننا نعتقد بأن هذه الصفة تدعم صلاحية الأب وتؤهله ليكون موفقاً في عمله التربوي.

على طريق النّضج والبناء:

لا سبيل أمام الأب وهو يسير في طريق البناء والنضج إلاّ أن يراقب ميوله ورغباته ويكبح شهواته. فما أكثر الشهوات والمشوّقات التي تجرّ الإنسان إلى الفضيحة والفساد. فقد جاء عن الإمام الصادق (ع) قوله: «لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها». كما ورد عنه (ع) أيضاً: «احذروا

أهواءَكم كما تحذرون أعداءَكم، فليس شيءٌ أعدىٰ للرجال من أتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم».

فليس صحيحاً أن يستصغر الأب شأنه ويحتقر نفسه من خلال إرتكابه للذنوب، إذ ان التصرفات القبيحة للأطفال وقبولهم للعقائد المنحرفة والتزامهم بالعادات والتقاليد السيئة وتخلّقهم بالأخلاق الفاسدة إنما تنشأ بأجمعها من الجهل والغفلة. وستكون سبباً للتفريط بالأطفال وبأفراد الأسرة. وهذا يُعتبر بذاته من الذنوب الكبيرة للإنسان، فقد جاء عن الإمام الصادق (ع) قوله: «كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيع مَنْ يعوله».

ويا حبذا لو يستغل الأب وقته في بناء طفله وتنميته بدلاً من صرفه في أهوائه وشهواته. إذ ان من وظائفه ومن حق ولده أيضاً أنْ يُحدّد له وقتاً، ويمكنه من خلال هذا بناء طفله وهدايته إلى الطريق المستقيم.

الطفل والأب المنحرف:

إنه لعمل قبيح أن يلجأ الأب إلى الفساد والإدمان بدلاً من البناء وتنمية الأخلاق. فنراه - والحال هذه - يوفّر الأجواء لفساد أولاده وانحرافهم. فالأب هو القدوة لطفله ويؤثر شرفه أو انحرافه في شخصية الأولاد ويطبع بذلك حياتهم الحالية والمستقبلية.

إنّ مفاسد الأب ولجوءه إلى لعب القمار وشرب الخمر وغيرها من الممارسات المنحرفة لا تؤثر على النطفة فحسب، بل إن لها تأثيرات محيطية في أغلب الأحيان، لأنّها تلقن الأولاد دروساً سيئة. وان الاستمرار بهذه المفاسد يقضي على الحب والصفات الإيجابية عند الأشخاص ويولد الكدر والضجر بدلاً عن ذلك.

ويعتبر مثل هذا الأب مجرماً، وان مواصلته للفساد تعادل إثم عبادة الأوثان، وخاصة شرب الخمر الذي يقضي على المروءة ويجرّىء الشخص على ممارسة الفساد مع المحارم إضافة إلى أضراره الجسمية والعقلية الأخرى. فقد ورد عن الإمام الباقر (ع) قول: «إنّ مدمن الخمر كعابد وثن، يورثه الارتعاش، ويهدم مروءته، ويحمله التجسر على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا».

فالإدمان يؤدي إلى إصابة الطفل بالمرض والانحراف، ويؤثر سلباً على خُلُق الأب وتصرفاته، وبالنتيجة على أولاده فينشأوا فاسدين ومنحرفين. وهذه من أعقد المشاكل التي تواجه الطفل وتربيته.

الطفل والأب المجرم:

إنها لمشكلة كبيرة وخطيرة أنْ يلجأ الأب إلى ممارسة الإجرام فيقف خلف قضبان السجن بسبب ذلك.

ماذا سيدور في خلد الطفل عندما يشاهد والده المسجون خاصة عندما يذهب لمقابلته في السجن؟ وما هي الأسئلة والاستفسارات التي ستثار في ذهنه، والأجوبة التي سيحصل عليها من أبيه أو أمّه أو الآخرين؟

ألا يُعتبر هذا الطفل يتيماً؟ ألا يبرز عنده شعور بالذلة والحقارة؟ وهل سيتمكن من رفع رأسه أمام الآخرين؟

إنّه سيشاهد والده مسجوناً ومستحقراً، فمن الطبيعي أن يتولد عنده شعور بالفشل والألم.

إن الأب السجين يقدم درساً سيئاً لولده الصغير الذي ستُجرح مشاعره حتماً، أما لو كان كبيراً فإنه سيشعر بالحقارة أو سيكون صورة طبق الأصل لهذا الأب.

الانحراف في البيت:

تقع على الآباء وظيفة بذل الجهد والسعي من أجل تحقيق نزاهة الأسرة والمحافظة على قدسيتها. وينبغي أن يخلق الأب عند طفله في محيطه التربوي شعوراً بالفخر والاعتزاز وأن يوصله في الوقت نفسه إلى أعلى درجة من النمو والكمال.

إنّه لتصرّف قبيح للغاية أن يدفع الأب هذا البناء المقدس إلى الفساد والرذيلة ويكون سبباً لانحراف الجيل وتلقيه دروساً سيئة.

فالأب الذي يفسح المجال لارتكاب الذنوب في البيت أو يتسلّى

بالغيبة والنميمة والاستهزاء بالآخرين، إنما يُلقِّن أطفاله دروساً سيئة فيكون مثالاً للأب الفاسد لأولاده.

كما أن الشيء نفسه يقال عن ذلك الأب الذي يتصف بالغضب والعداء أو ينطق بكلمات غير موزونة وعبارات الفُحش والسب والشتم فنراه بعمله هذا يخلق محيطاً سيئاً لتربية أولاده. وينطبق الأمر كذلك على الأب الذي يدعو أناساً فاسدين ومنحرفين إلى بيته وينصب لهم موائد الخمر والقمار واللهو واللعب.

الانحراف خارج البيت:

يصاب بعض الآباء بانحراف خارج البيت، فنراهم مثلاً يقضون أوقاتهم حتى ساعات متأخرة من الليل في أماكن الفساد وبيوت أشخاص منحرفين ثم يعودون بعد ذلك إلى البيت فيثيرون ضجة وصراخاً ويخلقون حالة من الرعب والاضطراب داخل البيت.

ماذا ينتظر هذا الأب من طفله وهو يعود متأخراً إلى البيت؟ ألا يقدم مثل هذا الأب المدمن درساً عملياً في الانحراف لأولاده فيشجعهم على ممارسة الجريمة وأن يكونوا مواطنين عدوانيين في مجتمعهم؟

لذا ينبغي أنْ يترك الآباء مجالس اللهو واللعب، وذلك من أجل أولادهم ولكي يكونوا إلى جانبهم. ويجب عليهم أن يشعروا بمسؤوليتهم ازاء أطفالهم، وأن يؤدوا حق هذه الوديعة الإلهية ويوصلوها بسلام إلى شاطىء الأمان. فأي انحراف للأب يُعتبر نوعاً من التضييع والتفريط بهذه الأمانة الإلهية.

تأثيرات الانحراف على الطفل:

عندما يكون الأب منحرفاً فإنه يمهد الأجواء لظهور أخلاق متذبذبة وغير مستقرة عند الطفل ولجوئه إلى الغضب والتزامه بسلوك سيء. وإن المتضرر الأول هم الأولاد الذين سيكونون ضحايا هذا الاضطراب بسبب فقدهم للملاذ والملجأ ولا يملكون أي طريق لإنقاذ أنفسهم.

نرى من الضروري أن نشير هنا إلى هذه الملاحظة، وهي أن أغلب

العوائل والأسر تبذل جهدها وسعيها من أجل تربية أولادها ولكن رغم ذلك فإن بعض الأولاد ينشأون منحرفين. فلو كان الأمر هكذا فكيف سيكون حال تلك الأسر التي لا تبذل أي جهد في هذا المجال بل على العكس من ذلك نراها تبذل جهوداً معاكسة ومخالفة.

فالطفل الذي يشاهد تحلل والده وعدم التزامه سيقترف الذنب ويفرط بنموه وتكامله. علماً أن أغلب أسباب الانحراف في الأطفال تعود إلى أسرهم الفاسدة وآبائهم المنحرفين، لأن الآباء المنحرفين يفتقدون إلى الإتزان في الفكر والسلوك ولا يمكنهم ـ والحال هذه ـ أن يكونوا قدوة صالحة لأولادهم.

وثمة مخاطر عديدة تهدد حياتهم الخاصة وحياة أولادهم أيضاً.

لو كانت الأم ملتزمة:

كشفت التجارب العملية أنه ثمة أمل فيما لو كانت الأم ملتزمة، وذلك رغم انحراف الأب وفساده. فالأمهات الشريفات والعفيفات والملتزمات يمكنهن أن يساعدن أولادهن فيرسمن طريقاً سليماً يؤدي بهم إلى حياة سعيدة وشريفة.

فما أكثر الأطفال الذين ابتلوا بآباء منحرفين لكنهم تمكنوا من مواصلة نموّهم وتكاملهم بسبب امتلاكهم لأمهات ذكيات وملتزمات ومحترمات.

إننا نعتقد بأن الطفل الذي يملك أُمّاً لا يُعتَبر يتيماً، وانّه سوف لا يلجأ إلى الانحراف والفساد بفضل مراقبتها وتربيتها (وهذا أمر نسبي بالطبع) وذلك رغم انحراف الأب وفساده.

لذا ينبغي أن يتحلّى الأب المنحرف بالحدّ الأدنىٰ من الإنسانية والأخلاق وأنْ يفسح المجال لزوجته لتمارس دورها في تربية الأولاد. أو أن لا يضطرها إلى الانحراف أيضاً لأنّه أمل الطفل وملاذه الأخير وإلاّ لكان الدمار الشامل هو النهاية الحتمية للأسرة.

الباب الثالث عشر

الطفل وانفصاله عن الأب

يجب أن يتواجد الأب في بيته بما يكفي لأن يمارس تربية طفله بشكل صحيح. ونشاهد في بعض الأحيان ـ مع الأسف ـ غياب الأب عن طفله فتؤدي هذه الغيبة إلى تقليل نفوذه. وان الغياب الطويل يحرم الطفل من تربية والده.

ويمكن ـ أحياناً ـ للآباء أن يتواجدوا في البيت ولكنهم لا يمارسون دورهم ووظيفتهم. فنراهم يتركون الطفل وشأنه أو يسلّمون زمام أمره للآخرين كالأم مثلاً. ولا يمكن للطفل ـ والحال هذه ـ أن ينتفع بتربية والده ليكون إنساناً صالحاً وكفوءاً، مما ستكون عاقبته التحلل واللاإبالية والعمل بما يهوىٰ ويشاء.

وأخيراً فإن لموت الأب في بعض الأحيان تأثيرات حياتية وذهنية ونفسية وعاطفية وسلوكية وغيرها من الأعراض على الطفل وسوف نشير إليها في هذا الباب أيضاً.

وبشكل عام فإن انفصال الولد عن والده وابتعاده عن تربيته له أعراض وتأثيرات عديدة سوف نبحثها في هذا الباب مع الاختصار.

الفصل الثامن الأربعون

غياب الأب

ضرورة حضور الأب في الأسرة:

تحدثنا في فصول سابقة وقلنا بأن تقويم الأسرة وانسجامها يقوم على ركنين أساسيين هما تواجد الأب والأم وحضورهما في محيط الأسرة لأنهما يمثلان كفتي الميزان فلا يمكن تحقيق التوازن إلاّ بهما.

ولو انعدم التوازن في محيط الأسرة لأثر ذلك سلباً على تربية الطفل ونشأته. لذا لا بدّ من تواجدهما معاً في البيت.

إن للأم حضوراً دائماً في البيت وينبغي أن يشعر الطفل بأن الأب يمكنه الحضور متى يشاء أو إنّه موجود في البيت بشكلٍ فعلي في الصباح أو المساء أو بعد الظهر، ويقوم بالمراقبة المطلوبة وينفذ القوانين والضوابط.

فمن الخطأ أن يفكر الأب بأن الأم تتمكن لوحدها من الإشراف على الأولاد ورعايتهم بسبب تواجدها في البيت وحضورها الدائم فيها، ولا توجد أية ضرورة لحضوره شخصياً.

إنّ وظيفة الأم تختلف عن وظيفة الأب، وإن حضوره أو غيابه مؤثران حتماً. ويسعى الآباء الملتزمون للحضور في البيت والتواجد فيه رغم تأثير ذلك على عملهم والتقليل من أرباحهم، وذلك من أجل توفير أكبر اهتمام بالأولاد وتربيتهم وبناء أخلاقهم وعقائدهم.

تأثيرات الحضور:

ثمة تأثيرات عديدة لحضور الأب وعدم غيابه عن البيت. ولكي نلم بها لا بدّ أن نعلم كيف ينظر الطفل إلى ولده. إنه يعتبره مسؤولاً عن البيت وتحقيق الأمن والنظم فيه ومنفذاً للقانون وهو الذي يقوم بتوفير الأمور المعيشية.

فالأب يمثل سر بقاء الأسرة والنور الذي تهتدي به، ولولاه لعمّت الظلمات كل أرجاء البيت.

كما أنّ حضوره بين أعضاء أسرته يُعتبر عاملاً لتكاملها وسبباً لدوران عجلة الاقتصاد وفق نظام معين. وبحضوره تتوزع الوظائف والمسؤوليات، ويقوم كل فرد بأداء واجباته. ولا يحق لأي شخص أن يتجاوز الحدود المرسومة له، بل يسير الجميع ضمن الإطار المخصص لهم.

والأب هو الرفيق لأطفاله والذي يشاركهم في لعبهم فيستأنسون به. ويغتنم الطفل فرصة تواجد الأب فيشعر بالفخر والاعتزاز إلى جانبه، ويبتسم له عندما يتحدث ويكتسب منه الأعراف والتقاليد ويتعلم منه نمط العيش في الحياة بفضل تعامله مع زوجته. وتتقوّم شخصية الطفل بسبب حضور الأب وتزول جميع اضطراباته السلوكية. ويسلك الطفل الطريق المستقيم في الحياة من خلال توجيهات الأب، ويبني نفسه ويتكامل، ويشعر بالأمن والأمل في الحياة.

يقول أحد خبراء الجرائم ان حضور الأب في أسرته يعتبر من أفضل عوامل الوقاية من الانحرافات، ويذكر بأنه ينبغي جمع الآباء من الشوارع والمراكز العامة وإعادتهم إلى منازلهم وذلك من أجل منع انحرافات الأحداث وفسادهم.

الأب واجتماع الأسرة:

يؤدي حضور الأب إلى اجتماع الأسرة وطرحها لمواضيع تخصّ شؤونها المختلفة. فمثلاً تقع على الأب مسؤولية تقديم دروس مباشرة أو

غير مباشرة في العقيدة والأخلاق إلى أولاده؛ ويجب أن يتم هذا ضمن محيط البيت بحيث يختلف عن برنامج المدرسة.

ينبغي أن يجمع الأب أولاده حوله في ساعة معينة فيطرح عليهم المواضيع الأخلاقية ويعظهم ويعلمهم قضايا الدين والحياة.

عليه أن يجتمع بهم، ويتحدّث إليهم ليألفونه ويتعلمون منه. كما ينبغي أن يفسح لهم الطريق من أجل المشاركة في شؤون الأسرة واتخاذ القرارات. فمثلاً عليه أن يطالبهم برأيهم في تلك الأمور التي يتمكنون منها كتنظيم برامج لأوقات فراغهم والتجول والسفر، وشراء بعض الأطعمة والفواكه في الفصول المختلفة، وإيجاد تغييرات في ديكور البيت وغرفه وغير ذلك من الأمور الأخرىٰ. وبشكل عام نقول إنه لا بأس من استشارتهم لأنّها مفيدة ونافعة.

الطفل في غياب الأب:

ثمة آباء ـ مع الأسف ـ لا يهتمون بموضوع الحضور المنظّم في الأسرة فيمهدون الأجواء بعدم اهتمامهم هذا لإصابة الأولاد وباقي أفراد الأسرة بالاضطراب خلال فترة غيابهم. ولا يملك الطفل وضعاً جيداً ازاء غياب الأب، فيشعر بأنّه فقد سلوته ومستودع أسراره وحُرِمَ من الجليس والأنيس.

وقد يكون قاسياً جداً على الطفل أنْ يتحمل غياب الأب في البداية، لكنه سرعان ما يعتاد على هذا الوضع الجديد، وعندها سيفقد الأب قابلية التأثير على الولد والنفوذ إليه، وسوف يعمل الولد بما يرتأيه حتى انه لا يكترث أحياناً بأمّه ونفوذها.

ويمكن للطفل أن يكتسب من غياب الأب تلك الدروس السيئة والمؤلمة. إذ سيحاول أن يكون حرّاً طليقاً دون أية قيود، ويلجأ إلى ممارسات لا يتوقعها الوالدان أبداً مما سيكون لهذا السلوك نتائج سيئة على الأسرة والمجتمع.

كما ان الأب الذي يترك أسرته بانتظاره حتىٰ منتصف الليل إنما يقدّم درساً سيئاً لطفله، وسوف يوجهه بشكلٍ لاشعوري نحو الإباحية والتحلل من كل قيد.

صحيح أن الطفل بحاجة إلى حبّكم وعطفكم، وانه سيفرح كثيراً فيما لو اشتريتم له حاجة معينة لكنه بحاجة ماسة إلى حضوركم في البيت ووقوفكم إلى جانبه حتىٰ يتحدث معكم ويناقشكم ويتعلم منكم؛ وإنّ غيابكم من أكبر المصائب التي تواجهه، فالطفل لا يصبر علىٰ هذا الحرمان إلاّ بصعوبة بالغة، ولو أنّه افتقد حضوركم المنظم في البيت لأدىٰ به ذلك - في بعض الأحيان - إلى الاستهانة بقدسية الأسرة والهروب من البيت.

الغياب وتقليل النفوذ:

قلنا ان غياب الأب عن أسرته يقلل من نفوذه مما يخلق شعوراً عند الأولاد بأنّه لا داعي للالتزام بقوانين الأسرة أو إطاعة الأوامر والنواهي. إذ ستنخفض تأثيرات الأب الأخلاقية علىٰ الطفل، ويتعرّض بناؤه الأخلاقي والاجتماعي إلى صدمة.

ولو كان الأب في غياب دائم عن البيت لغفل عن مراقبة أولاده ولما تمكن من تربيتهم تلك التربية الصحيحة بسبب انخفاض مستوىٰ نفوذه. وسوف يلجأ الطفل - والحال هذه - إلى التحلل من الضوابط الأخلاقية ويشتد ميله إلى نظرائه في السن فينعدم الاتزان في عملية البناء.

توجد حالات أخرىٰ نرىٰ فيها آباءً لا يحضرون بشكل كافٍ ومطلوب في البيت بسبب مشاغل الحياة والمشاكل التي تواجههم، فيكون السقوط هو مصير أبنائهم بل وحتىٰ بناتهم.

أسباب الغياب:

ثمة أسباب عديدة لغياب بعض الآباء عن البيت وسوف نشير فيما يلي إلى أهمها وهي:

١ - كثرة المشاغل واللهو، بل وحتىٰ تقديم خدمات واسعة للناس فتكون النتيجة غفلة عن الحياة الأسرية والأولاد.

٢ - عدم الرغبة في الحياة الزوجية بسبب الاختلاف مع الزوجة وظهور مشاكل عديدة في هذا الإطار.

٣ ـ التسامح بشأن الأولاد وعدم إدراك النتائج الخطيرة لهذا التساهل.

٤ ـ معاشرة أهل السوء والاستئناس بهم والمشاركة في محافلهم.

٥ ـ الإنشغال بأمور المطالعة والدراسة والبحوث. حيث يمكن لهذه الأمور أحياناً أن تورّط الأسرة في مشاكل أخرىٰ.

٦ ـ نوع العمل الذي يمارسه الأب فيكون مضطراً أحياناً لقضاء بعض الوقت في مدينة أخرىٰ أو العيش فيها أو تركه باستمرار لبلدته بسبب مهمات وظيفية وإدراية.

٧ ـ وأخيراً فإن من أسباب غياب الأب هي اللاإبالية والتي تكشف عن ضيق أفقه وتفكيره.

ومهما يكن من أمر فإن غياب الأب يمهد الأجواء لظهور مشاكل واضطرابات عديدة، وفقدان السيطرة على زمام أمور الأطفال مما سيدفعهم نحو مستقبل مجهول.

أعراض الغياب الطويل:

لو كان الغياب قصيراً فإن له أعراضاً محدودة، أمّا لو تكرر الغياب أو كان لفترة طويلة فإن له نتائج سلبية مضاعفة.

ولا فرق في بعض الأحيان بين الغياب الطويل للأب وموته لأنهما يؤديان في النهاية إلى نتيجة واحدة وهي انحلال الأسرة وتبعثرها.

ومهما كانت أسباب الغياب الطويل إلاّ أنها ستدفع الطفل إلى الشعور بالحرمان من دعم الأب ورعايته، وأن يكون في النهاية قاسياً وفوضوياً وفاقداً للأدب.

ومن نتائج الغياب الطويل أيضاً لجوء الطفل إلى ممارسة السرقة والتشرد والبحث عن الأصدقاء والقيام بجنح وانحرافات مختلفة. ويؤثر غياب الأب على خلق الطفل ودراسته وسلوكه وإنّه مقدمة للقضاء على الأجيال.

كما إنه السبب في ظهور بعض المشاكل السلوكية وامتناع الطفل عن القيام بممارسات شريفة. ويتوقف عن محاكاة والده ويبحث عن قدرات أخرىٰ وأشخاص آخرين يسببون له المتاعب أحياناً.

ذكر أحد المفكرين أنّ غياب الأب عن أولاده يشبه غياب الزوج عن زوجته مما يؤثر في العاطفة والنفسية. وقد كشفت التجارب أن هؤلاء الأطفال قلّما يشعرون بالاتزان النفسي، وتخفت في الأبناء صفات الرجولة وفي البنات صفات الأنوثة بل ويتظاهرون بالقوة والعنف في حين انهم جبناء.

ويخرج الطفل أحياناً عن حالة الاعتدال بسبب غياب الأب فنراه يناديه في منامه أو يصاب بالخوف والاضطراب دون مبرر أو يتعلّق بأمّه تعلقاً شديداً. ويحاكي النساء في سلوكهن رغم أنه من الذكور.

ويرتبط كل هذا بسنّ الطفل ومستوى ذكائه والتزامه الخلقي.

ضرورة الحل:

لو لم يتمكن الأب من متابعة شؤون أولاده وكان في غياب دائم تقريباً لتوجب عليه أن يكون جذّاباً في تلك الأوقات التي يتواجد فيها في بيته، وخاصة عندما يعود من سفره مثلاً حتىٰ يعوّض عن النقص والحرمان.

خصصوا الفترات القصيرة من تواجدكم في البيت لأطفالكم واتركوا كل شيء حتىٰ قراءة الصحف.

ينبغي أن يبذل الأب، الذي يعود لبيته بعد سفر وغياب طويل، جهده وسعيه كي ينسى الطفل فترة الغياب ويستثمر حضور والده.

كما يجب على الأب أن يواسي طفله ويؤمله في الحياة، فيما لو اشتكىٰ من حياته السابقة أو من مشكلة واجهته، وأن يُصبّره على المشاكل ويزيل عنه القلق والاضطراب ويجعله مستأنساً به ويشبعه حبّاً وعطفاً.

وحريّ بالأب المضطر لغياب طويل عن البيت أن يدعم مكانة الأم ويقوّي موقعها ويحث الأطفال على طاعتها، وذلك للتقليل من أعراض الغيبة، أو أن يساهم في حل المشكلة التي قد تعترض لها الأم ويُلزم ولده بإطاعة أوامرها والانتهاء عن نواهيها.

الفصل التاسع والأربعون

الأب وعدم الشعور بالمسؤولية

إدارة الأب:

قلنا في مواضيع سابقة ان الأب هو المسؤول عن تحقيق النظم في الأسرة، وإنّ هذه المسؤولية هي من واجبه ومن حق الطفل أيضاً.

وتقع عليه وظيفة هداية الأولاد وإرشادهم وتأمين موجبات نموّهم في جميع الجوانب مما يحتاج إلى اهتمامٍ واسع وحذرٍ كبير.

إن نجابة الأب مهمة وضرورية في نفس الوقت ولكن بشرط أن يكون ليناً ومتسامحاً لا إلى الدرجة التي يستغلها الطفل، أي إنّه ينبغي أن يكون الأب جاداً مع ولده، إضافة إلى علاقته الوثيقة والحميمة معه. لكنّ هذا الكلام لا يعني أن يكون عبوساً دائماً وغاضباً فيمارس سطوته وعنجهيته في البيت.

فالتربية تكون مؤثرة ونافذة متى ما استخدمت القوة إلى جانب اللين في المواقع المناسبة. وان مَثَلَ الأب كالطبيب الجراح الذي يستخدم مبضعه ولكنه يداوي الجرح أيضاً ويضع عليه الدواء ليشفىٰ. فنرىٰ الأب يعاقب طفله لكنه يعطف عليه ويحبه في الوقت نفسه، وهذا من ضروريات التربية في الأسرة.

إننا لا نشاهد مثل هذا التعامل في المجتمع أوقلما نشاهده في المدرسة، لأن أساس تعامل الناس معنا يقوم على قاعدة الأخذ والعطاء، فلا يوجد مجال للعاطفة والمداراة لذا سيبقىٰ الناسُ ناساً والأب أباً.

ترك الأب لمسؤوليته:

يحصل أحياناً أن بعض الآباء يفرطون في وظيفتهم الأصلية والأساسية ألا وهي تربية الأولاد وتوجيههم فيتركون عملية الإشراف على الطفل. ويبدو للمراقب أنهم لا يمارسون أي دور يذكر مع أولادهم، فلا يأمرونهم مثلاً ولا ينهونهم ولا يهتمون بهم، ويمكننا أن نصفهم بأنّهم لا يشعرون بمسؤوليتهم.

إنهم في وضع فقدوا فيه سلطتهم فأصبح الطفل طليقاً لا توجد أي قوة تقف في وجهه، وطبيعي أن يعمل ما يشاء.

أو قد يصدر الآباء تعليماتهم وأوامرهم غير انهم لا يطالبون الأولاد بتنفيذها والالتزام بها فيرىٰ الطفل نفسه في حلٍّ منها. أو نراهم يصدرون القرارات لكنهم يعتبرون أنفسهم غير مسؤولين عن متابعة تطبيقها.

ويلجأ هؤلاء الآباء إلى قضاء معظم أوقاتهم خارج البيت أو إنهم لا يكترثون بأي شيء ولا يبالون بما يحدث فيما لو تواجدوا في البيت. فمثلاً لا يهمهم سواء كان الطفلُ متطاولاً أو ملتزماً، محسناً أم مسيئاً.

مظاهر عدم الشعور بالمسؤولية:

ثمة مظاهر عديدة لعدم شعور الآباء بمسؤولياتهم التربوية، منها انعدام أي دور لهم في الأسرة حيث إنهم يأكلون وينامون ولا يهمهم أي شيء، ولا يفكرون إلا بأنفسهم، فهم قدوة في الخمول والكسل، وانهم كالنساء في إظهار حبّهم وعطفهم لأولادهم، وإن أوامرهم ونواهيهم غير نافعة.

ويمتاز هؤلاء الآباء بالتلوّن في أخلاقهم، إذْ لهم في كل ساعة قرارٌ وعمل معين، فنراهم يصفعون الطفل أحياناً لارتكابه خطأً معيناً ولا يبالون في أحيان أخرى لارتكابه نفس الخطأ بل يتعاملون معه برفق وحنان فينسىٰ الطفل نفسه والوظائف الملقاة على عاتقه.

ويمتاز هؤلاء أيضاً بضعف المزاج ورقة الحال. فنراهم يخسرون أنفسهم في أوّل فشل يواجهونه، ويلجأون أحياناً إلى البكاء وندب الحظ. حيث لا يهمهم أن تظهر نقاط ضعفهم أمام أولادهم، ويتوسلون بالكذب والحيلة لإنقاذ أنفسهم فيما لو تعرّضوا لأدنىٰ مشكلة.

وعندما يعودوا من العمل، نراهم يجلسون في زاوية من البيت للاستراحة ولا يملكون أية أوامر ونواهٍ أو أنها غير نافذة ولا تؤثر في الأولاد فهم حاضرون في البيت ظاهرياً لكنهم غائبون عنه عملياً لعدم اهتمامهم بأولادهم كما هو مطلوب.

ويمكننا أن نصف الأب الذي يشاهد ولده إلاّ أنه يُشغِل نفسه بقراءة الجريدة أو الكتاب بأنّه لا يشعر بمسؤوليته. فالأب الذي لا يهتم إلاّ بطعامه فيما لو حانت ساعة تناول الطعام ولا يكلّم ولده ولا يتحدث معه فإنه تارك لمسؤوليته ووظيفته. وينطبق هذا الكلام أيضاً على ذلك الأب الذي لا ينبس ببنتٍ شفة رغم مشاهدته لولده، وهو يتصرف بسلوك لا يليق أو يتحدث بكلام بعيد عن الأدب.

أسباب ترك الأب لمسؤوليته:

توجد علل عديدة لعدم شعور بعض الآباء بمسؤولياتهم وتركهم إيّاها إلاّ اننا سنشير فيما يلي إلى بعض منها:

١ ـ الضعف النفسي الذي لا يسمح باتخاذ القرارات فيكون سبباً في تفكير الأب براحته فقط.

٢ ـ الإدمان على المخدرات. حيث يقضي هذا الإدمان على الإرادة، ويدفع الإنسان نحو الموبقات.

٣ ـ الشعور بفقدان الحرية في جانب المسؤولية الذاتية.

٤ ـ الشعور بعقدة الذنب لأنه أصبح أباً، ويرىٰ أن مسؤوليته تافهة ولا داعي لها.

٥ ـ الإصابة بمرض السيكوباتي (إضطراب العقل)، أو بحالة من اللاإبالية ازاء شؤون الأسرة، أو بمرض الكآبة.

٦ ـ ممارسة أعمال شاقة ومعقدة والشعور بالتعب الشديد ازاء ذلك فيفقد الأب طاقته وصبره.

٧ ـ الإفراط في الترحم على الطفل فيكون سبباً في امتناع الأب عن إصدار أية أوامرٍ أو نواهٍ.

٨ ـ السيطرة الكبيرة للأم فلا يبقىٰ للأب أي دورٍ يُذكر.

٩ ـ ثمة عوامل أخرىٰ مثل عدم قبول الطفل ورفضه، والتكبر وسوء الظن، والضعف في الإرادة، والقصور، والسذاجة، وتقديم الوعود الكاذبة، والفوضىٰ وغير ذلك.

تأثيرات هذه الحالة على الطفل:

يترك الآباء تأثيرات عديدة على أولادهم بسبب عدم شعورهم بالمسؤولية وتركهم لوظيفتهم في الهداية والتربية.

ومن هذه الأعراض أن الأولاد سيصبحون متحللين دون أية قيود، فيعملون ما يشاؤون. ولا يخدم ذلك الطفل أبداً. وإنّ مثل هؤلاء الآباء يفرطون بمستقبل أولادهم ويقومون بدور الأم الثانية لهم.

صحيح ان الطفل بحاجة إلى العاطفة لكنه يحتاج إلى الانضباط أيضاً. ولو قصر الوالدان في ذلك لاضطرهم الطفل إلى الاستسلام إليه، فيضيقوا به ذرعاً بسبب عناده وتمرّده.

كما ان فقدان الأب لاقتداره يُعتبر من أهم عوامل انحراف الطفل خاصة فيما لو كانت الأوضاع متأزمة داخل الأسرة أو المجتمع لأنها تعتبر من العوامل المساعدة في هذا المجال.

ويرىٰ الطفل بأنه حُرٌّ في تحقيق ميوله ورغباته وأداء ممارسات تؤدي إلى الحرمان والإذلال وإيجاد مشاكل عديدة أخرىٰ.

مخاطر الآباء الضعاف:

ينبغي أن لا يترك الأب مسؤوليته أبداً بل ولا يكون ضعيفاً. وأنّ الآثار السلبية للآباء الضعاف هي أكثر بمراتٍ من الآثار السلبية للأمهات الضعيفات لاحتمال أن يصبح الطفل لاإبالياً.

إنّ خطر الأم الضعيفة لا يمثّل شيئاً، خاصة وانّها مسؤولة عن تقديم الحب والحنان لطفلها، وان هذه الصفات قلما تأثر عليه سلباً.

في حين ان ضعف الأب يهدد انضباط الطفل فلا يمكنه مواصلة حياته دون مراقبة واهتمام.

وقد يُفاجأ الأب الضعيف ذات يوم عندما يشاهد أنه لا يملك شيئاً من زمام ولده، فيفرض الولد سلطته عليه دون أية معاناة ويمنع والده من طي طريق النمو والكمال. ولا يتمكن الأب ـ والحال هذه ـ أن ينفذ إلى ولده.

تظهر عند هؤلاء الأطفال بعض نقاط الضعف في التربية والأخلاق فمثلاً لا يمتازون باتزان في العاطفة بل يصبحوا أشراراً وجناةً وعصاة إضافة إلى تكبّرهم وضعفهم في تحقيق البرامج الانضباطية وخضوعهم لتوجيهات الآخرين ورفضهم للأوامر والنواهي والاستهانة بها.

ضرورة حضور الأب وحسمه:

لذا ينبغي أن يتمرّن الآباء على ممارسة الاقتدار والحسم، وأن يوثقوا علاقة الحب والإلفة مع الطفل منذ الأشهر الأولىٰ من ولادته، ويلقنوا أنفسهم ضرورة قبول مسؤولية التربية وأدائها بأفضل وجه.

إننا لا نستهدف أن يقوم الأب بإصدار الأوامر والنواهي لطفله الصغير فيكون قاسياً معه. بل نريد أن نؤكّد على ضرورة قيام الأب باستخدام قاطعيته وحسمه متىٰ ما دعت الحاجة لذلك، وأنْ يعمل بوظيفته لا أن يتهرب منها. فليس صحيحاً أن يخضع الأب لمشاعره ويتأثّر بعواطفه.

كما أنّ من الخطأ أن يتناول الأب طعامه بمفرده، ويعيش وحده، وينام بعيداً عن الآخرين، ويطالب أولاده بالسكوت، ويتجوّل لوحده، ولا يطالب أولاده بأداءِ مسؤولياتهم وذلك من أجل راحته. ينبغي عليه أن يعاشر أولاده ويتحدّث معهم ويكلّفهم بأداء بعض المهام والمسؤوليات.

مسؤولية الأم:

تقع في هذه الحالة ـ أي عندما يترك الآباء وظائفهم ـ مسؤولية مضاعفة على الأمهات. وينبغي بهن الاهتمام بتربية أولادهن، ويجب عليهن في الواقع قيامهن بوظيفة الأب والأم معاً.

حري بالأم أن تتصرف بطريقة يحسب لها الولد حساباً، وأن يكون الأب عاقلاً فيلجأ إلى دعم الأم لتحقيق الانضباط، ويطالب أولاده بإطاعتها والالتزام بأوامرها.

ولو تقرر قيام الأم بهذه المسؤولية فما عليها إلاّ الإسراع بها، فكلما زاد سن الطفل زادت مقاومته، ويجب عليها أن تقدم لطفلها حبّها وحنانها إضافة إلى الانضباط. إذْ ليس صحيحاً الفصل بينهما مما له تأثيرات سيئة على أخلاق الطفل في المستقبل.

الفصل الخمسون

موت الأب وتأثيراته

تصوّر الطفل لأبيه:

يمكن القول باختصار شديد ان الطفل ينظر إلى والده من خلال إنّه:

١ ـ رب الأسرة والمسؤول عنها والآمر الناهي فيها.

٢ ـ القدوة الصالحة والبطل الذي يجب محاكاته.

٣ ـ الرازق الذي يقوم بتوفير مستلزمات الأسرة.

٤ ـ المسؤول عن تحقيق الأمن والذي يصون جميع أفراد الأسرة.

٥ ـ أساس الاقتدار والانضباط فلا يحق لأحد أن يتجاهل شأنه.

٦ ـ مصدر الثواب فيكافىء ويثيب على الأعمال الحسنة.

٧ ـ الصديق والرفيق والجليس والأنيس.

٨ ـ وأخيراً فإن الأب هو البطل والرب ومصدر إعجاب الطفل وشعوره بالفخر والاعتزاز. فنراه يهتم لهذه الأمور كثيراً ويحسب لها حساباً.

نظرة الطفل للموت:

ينبغي أن نعرف كيف ينظر الطفل إلى الموت وما هو إحساسه في هذا الخصوص.

في الحقيقة إنّ الطفل قاصر عن إدراك معنىٰ الموت حتى العام الثالث من عمره، لكنه سيعي ذلك بعد هذه المرحلة من خلال مشاهداته للأموات

وتشييع الجنائز فيكون قادراً في العام الرابع تقريباً على التمييز بين الحي والميت.

ينظر الطفل في عمر ٣ ـ ٥ سنوات للموت على أنه نوع من النوم، فيتصوّر بأنّ الميت يمكنه الاستيقاظ فينتظر عودته، لكنه سيكون أكثر واقعية منذ العام السابع لإدراكه بأن الموت هو العاقبة الحتمية لكل الكائنات.

وفي السنوات ٨ ـ ١٠ يتولد شعور سلبي مؤسف عند الطفل عن ظاهرة الموت لاعتقاده قبل هذه السن بأن الموت لا يصيبه بل يصيب الآخرين. وقد وصفوا السن الثامنة بأنّها سن الخوف من الموت حيث يمكن أن يظهر هذا الإحساس في كلّ لحظة.

وفي هذه السنوات يؤثر موت الأعزّة على الطفل بشدّة فيشعر بالأسىٰ والحزن، ويصل به الأمر إلى الشعور باليأس والحيرة، أو يعتريه الغضب ورغبة في الانتقام. علماً بأن حزنه يكون بمستوىٰ سنّه واعتقاده، ومدىٰ ارتباطه بوالديه إذْ قد يؤثر عليه سلباً.

- الأعراض الناشئة بسبب الموت:

يمثل موت الأب خسارة للطفل، ويختلف حجم هذه الخسارة باختلاف السنّ والإدراك والفهم والذكاء والجنس. وسوف نشير باختصار إلى الأعراض التالية:

١ ـ **الأعراض الحياتية**: ويمكن الإشارة إلى عدة أمور منها:

- فقدان الشهية للطعام حتى انه لا يبالي بالجوع والعطش.
- اختلال في عملية هضم الطعام وتمثيله.
- ظهور بعض التغيرات والمشاكل في حركة الأرجل والركض والقفز، فيفقد الطفل النشاط.
- سوء التغذية، والذي يؤدي إلى اختلال في نمو العظام فيصاب الجسم بالذبول.
- حصول توتر في حركة اليد والعين والأذن والأجفان.

- حدوث تغيرات في شكل البشرة واصفرارها وهو ما ينتج عادة عن لوم النفس والشعور بالحزن والكآبة.
- حدوث اختلال في برنامج النوم والاستراحة، فيضطرب النظم في هذا المجال، ويؤدي بنفسه إلى الإصابة بأمراض أخرى.
- التعرّض للإصابة بالأمراض، وهي لا تكون كثيرة عادة، ولكن من الممكن أنْ يغلبه المرض.

٢ ـ الأعراض الذهنية والنفسية: ويمكن أن نشير إلى بعض منها من خلال ما يلي:

- التأثير على ذهن الطفل وذكائه وإمكانية حدوث انخفاض مستوىٰ ذكائه.
- ظهور اختلالات في مجال الدراسة وهبوط المستوىٰ الدراسي بل وحتىٰ ظهور اختلال في عملية التعلم.
- حصول تغيّر في الرؤية والأهداف بحيث تتهاوىٰ بعض الأهداف السامية والمقاصد العليا.
- حدوث خلل في التوقعات فنراه لا يطلب ماءً ولا طعاماً رغم انه يشعر بالجوع والعطش.
- ظهور خلل في الشخصية والسلوك بحيث تضطرب عملية النضج ويصاب الطفل بسلوك غير متزن.
- الاختلال النفسي، إذ يكون من أشدّ الأعراض المذكورة أعلاه.
- وأخيراً ظهور أعراض أخرىٰ كقضم الأظافر ومصّ الإبهام والعبث بالأعضاء التناسلية والتبول الليلي والحسد والخوف والخجل والشعور بعقدة الحقارة والكذب والإحساس بالقلق وغير ذلك.

٣ ـ الأعراض العاطفية: وهي عديدة أما أهمها فهي:

- الاضطراب والشعور بانعدام الأمن.
- الهيجان الشديد وعدم الاهتمام عاطفياً أحياناً، والحساسية وسرعة التأثر في أحيان أخرىٰ.
- القلق، حيث لا يهدأ ولا يستقر ولا يدري كيف يهدأ.

- الخوف، لشعوره بأنّه فقد ملاذه.
- الحساسية وسرعة الغضب دون مبرر بحيث يتنازع مع أصدقائه أحياناً.
- الانطواء على النفس والشعور بالكآبة.
- العنف والعدوان بحيث يكون على شكل هجوم في بعض الأحيان.
- الرجوع إلى الوراء لمرحلة الطفولة، وظهور سماتها كالتحجج والتبول الليلي ومصّ الإبهام وغيره.
- ظهور حالة الاستياء والتنفر من البيت بل وحتىٰ الخوف من العيش في ذلك الوسط.

٤ ـ **أعراض سلوكية**: يمكن لموت الأب أنْ يؤثر أحياناً على السلوك وأهم تلك التأثيرات هي:

- عدم الانسجام مع المحيطين به وأفراد أسرته وشقيقه وشقيقته وحتى أصدقائه المقربين.
- العصيان والتمرّد اللذان لا يظهران كثيراً عند الأطفال لكنهما شديدان عند المراهقين والأحداث.
- اضطراب في التعامل والعلاقات، فيصاب بحالة من اللاإبالية ازاء الآخرين.
- التكبّر والرياء لكي يلفت أنظار الآخرين ويكسب دعمهم.
- لجوءه في بعض الأحيان إلى التزوير والاحتيال وممارسة الجريمة في حياته اليومية ودراسته حيث يعتبر ذلك نوعاً من التنفيس عن عقده.
- اللجوء إلى تصرفات غير مناسبة كإهمال النظافة وعدم الاهتمام بالشكل والمظهر.
- مجالسة المجموعة ومرافقتها، وخاصة بالنسبة للأحداث مما يكون سبباً لانحرافهم فيٰ بعض الأحيان.

مخاطر ذلك على الأطفال:

ثمة أمران خطيران بالنسبة للأطفال الذين فقدوا آباءَهم ينبغي الحذر منهما:

أولاً: خطر الشعور بالنقص ووجود قصور في توفير الحاجات.

ثانياً: خطر الإفراط في الحب والذي يمهّد الأجواء للدلال وكثرة التوقعات.

وبالنسبة للنقطة الأولىٰ فقد يكون هذا الأمر سبباً لسعي الطفل للارتباط بالجماعة والانضمام إليها مما يكون بذاته سبباً في تلقي الدروس السيئة وحدوث الانحراف الخلقي والفساد أحياناً، إذ يوجد العديد من المتعطشين ممن ينتظرون مثل هذه الفرص لاصطياد الأطفال فيها.

أما بشأن النقطة الثانية، فإن الدلال وكثرة التوقع بسبب الإفراط في الحب يدمّر حياة الطفل ويحرمه من تلك الحياة العادية والطبيعية. فالعديد من ذوي الموتىٰ يُخطئون عندما يلجأون بواسطة الإطعام والإفراط في الدلال إلى كسب ودّ الطفل في حين ان هذا الأسلوب يؤدي إلى انحرافه.

أعراض أخرى:

ما أكثر الأعراض في الحياة المادية والمعنوية والتي تهدد هؤلاء الأطفال وتؤثر على نموّهم. فموت الأب يساعد علىٰ ظهور أعراض أخرىٰ كالإصابة بالأمراض العصبية والاستسلام للجرائم والانحرافات واختلال الوضع النفسي وفقدان العاطفة في بعض الأحيان.

وعندما يموت الأب يحدث عند الولد تحوّل روحي عميق لا يمكن للبعض أن يتحمله أحياناً. وسوف يفقد الطفل مكانته بسبب ذلك فيصاب بالذهول والحيرة. وقد يشعر في بعض الأحيان ان تلك الحادثة تمت بسبب ذنبٍ معين أو أنْ يشعر بالظلم فيعمد إلى الانتقام.

ويؤدي موت الأب أحياناً إلى اضطراب الطفل وظهور اختلال في وضعه النفسي، وتتوتر علاقته مع الآخرين وتضعف قابليته نحو العمل والدارسة والتخطيط.

وأخيراً، فقد يضطرب وضعه وينتقل تأثير ذلك إلى الآخرين أيضاً.

المواقف الضرورية:

إتركوا الطفل وشأنه في البرامج المتعارف عليها في الأحزان ولا تطالبوه بالكف عن البكاء أو عدم التأثر.

انظروا إليه نظرة عادية، وأوضحوا له حقيقة الأمر والوظائف التي ينبغي أن يقوم بها في المستقبل.

حاولوا أن يفهم بأن الموت حق فلا يتمكن أي إنسان من الفرار منه، ويجب أن تواسوه أيضاً وتساعدوه وتظهروا حبكم له وتزرعوا الأمل في قلبه. وابذلوا جهدكم في أنْ يحافظ على سلامته النفسية والجسمية وامتدحوا إيجابياته كثيراً.

وتقع على الأمهات مسؤولية ثقيلة بهذا الشأن. فلو تمكنت الأم أن تدير الأمور بشكلٍ جيد وتضبط نفسها لكانت أباً وأمّاً لولدها. وينبغي أن توجهه نحو الخيرِ والصلاح وتكشف له عن العديد من الألغاز. ويمكننا أن نقول عن هذه الأم بأنّها فنانة في عملها.

الباب الرابع عشر

أخطاء الأب

ما أكثر الأخطاء التي تظهر سواء عن عمد أو بدون قصد في العملية التربوية، مما يكون لزاماً على الآباء الملتزمين والذين يشعرون بالمسؤولية الحذر كثيراً، وعدم السماح لظهور مثل تلك الأخطاء.

ويمكننا أن نشير من بين تلك الأخطاء إلى الغفلة والدروس السيئة وممارسة العنف والإفراط والتفريط والنزاع بين الزوج والزوجة وغير ذلك.

بل وحتى ان بعض الممارسات الإيجابية يمكنها أن تكون سلبية بسبب الإفراط فيها كالحب والحنان مما ينبغي الحذر والانتباه إلى ذلك.

- ويمكن للغفلة أن تكون في موضوع قبول الطفل، وتعليمه والتعامل معه، وممارسة الانضباط وغير ذلك.
- ويمكن للدروس السيئة أن تكون في مجال الدين والأخلاق، والقول والعمل، والعهد والوعد والنظم والانضباط والعلاقة الزوجية وغيرها.
- والعنف يكون بسبب الشعور بالفشل، والبحث عن الملاذ، والهروب والاستسلام، والتجرؤ على الأب، والإجرام وغير ذلك.
- ويمكن للنزاع بين الزوجين أن يكون سبباً لظهور الفوضىٰ وسوء الظن بالوالدين وتوقّف عملية النمو وظهور سلوك مضاد للمجتمع وغيره.
- وأمّا الإفراط والتفريط فقد يكون في الحب والحنان، والدعم والارتباط والتدخّل، وممارسة الاقتدار، والتهديد والعقاب.

وقد حاولنا كما هي العادة أن نطرح هذه المواضيع مع مراعاة الاختصار.

الفصل الحادي والخمسون

الأب والغفلة

ضرورة الحذر:

يمكن أن نصف التربية بأنها عملية إرادية ولا تتم إلاّ من خلال حذر المربي ووعيه.

فما أكثر العوامل التي تؤثر على العملية التربوية فتفسدها، وتكمن في طريقها مخاطر عديدة تهددنا وتنفذ إلى نفوسنا وتستقر فيها فيما لو لم نهتمّ بهذا الموضوع.

ويمكن لهذه الأعراض والمخاطر أن تهدد أطفالنا أيضاً، مما ينبغي أن يحذرها الآباء والأولاد دائماً. ولا يقتصر هذا الحذر على مرحلة الطفولة فحسب بل إنه يهدد الأحداث والبالغين والشباب أيضاً مع اختلاف واحد هو أن لكل مرحلة خصوصيات معينة واهتمامات خاصة بها.

ولو كان الأساس متيناً في مرحلة الطفولة لكانت مشاكلنا قليلة جداً مع الأحداث والبالغين. وقد وصف علماء النفس التربويون السنوات الأولىٰ من حياة الطفل بأنّها مهمة ومصيرية ويعتقدون بأن ما يقدَّم للطفل في سنوات طفولته المبكرة سينعكس على طول حياته تقريباً.

القصور والتقصير:

تكمن صعوبة التربية في القصور والتقصير الذي يواجهنا مما يضطرنا لتحمل أعباءه دون أن نتوقّع ذلك. ويمكننا أن نشير في هذا المجال إلى عدم وعي الأب بفنون التربية وجهله وضيق أفقه أو إفراطه في التفاؤل.

فهو لا يريد الإضرار بولده لكن مشكلته تكمن في جهله وكسله واهتمامه بالمظاهر من الأمور فقط. إنه لا يدرك الزمن الذي يعيشه والمشاكل التي تواجهه، والوظائف التربوية التي تقع على عاتقه والمحاذير التي ينبغي الالتفات إليها.

وفي مجال التقصير فإن بعض الآباء يلجأون أحياناً إلى التشاغل المتعمّد فيغفلون عن تربية أولادهم أو يتركون ذلك إلى الأم أو الخادم أو الخادمة مما له آثار ونتائج سلبية.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أولئك الآباء الذين يتركون أولادهم ليمارسوا حريتهم المطلقة فلا يراقبونهم أبداً. أو أنّهم يضيّقون عليهم بشدةٍ مما يكون سبباً لفسادهم وانحرافهم.

حدود الغفلة:

لا بدّ أن ندرك ما هي حدود غفلة الأب وجوانبها المختلفة إلاّ أننا سنشير فيما يلي إلى بعض النماذج بهذا الخصوص.

١ ـ **في التربية**: يمكن أن نشاهد في وجوه بعض الأطفال آثاراً لعدم كفاءة الأب في التربية أو الإفراط في التسامح. وثمة آثار عديدة وأعراض مؤلمة تبدو على الطفل وتصيب أسرته أيضاً بسبب الغفلة في التربية، فتؤدي إلى شعور الوالدين ـ وخاصة الآباء ـ بالندم والخجل في آن واحد.

ويمكننا أن نصفَ الذين يغفلون عن تربية أولادهم بأنّهم أناس مذنبون. وسوف تنعكس نتائج تصرفهم هذا، ويشاهدون آثاره في كبرهم وشيخوختهم فيندبون حظهم لما ألمّ بهم وبأولادهم.

كما يجب الإشارة إلى ذلك الأب الذي يتماهل في تربية أولاده، فنراه مثلاً يهتم بملبسهم ومأكلهم لكنه لا يكترث بمعنوياتهم وأخلاقهم مما يؤدي إلى ظهور العديد من الانحرافات.

٢ ـ **في التعليم**: إذ تؤدي الغفلة في التعليم إلى ظهور عدة مشاكل وسوف يواجه الأب مشاكل جمة خاصة لو غفل عن تعليم ولده الدين والأخلاق.

ولا بدّ أن يتعرّف الطفل منذ صغره على مواضيع الدين والأخلاق لكي لا يلجأ إلى الانحراف الفكري أو العملي. فكلنا يعرف أشخاصاً ابتلوا بالغفلة في صغرهم ولم يحصلوا على الوعي المطلوب فظلّوا مصابين بأعراض تلك الغفلة في كبرهم.

إن هؤلاء لم يحصلوا على المعرفة الضرورية من الأسرة فانحرفوا فكرياً أو انهم سقطوا في وادي الانحراف والضلال. ثم حملوا أفكاراً لا يتوقعها الوالدان أبداً، ومارسوا ميولاً لم يرغب بها الوالدن مطلقاً.

٣ ـ **في القبول والحب**: إنّ من الخطأ أنْ لا يقبل بعض الآباء بأولادهم ولا يهتمّوا بهم كما يليق بشأنهم فيقصرون في حبّهم وإبداء عطفهم.

وقد يرتبط سبب عدم القبول بجنس المولود أو جماله وقبحه أو بعاهة في جسمه أحياناً أو أخلاقه وأدبه.

إذْ أنّ عدم قبول الطفل يمهّد الأجواء لظهور العديد من الاضطرابات والشعور بفقدان الملاذ والملجأ. وسوف يندفع ذاتياً فيما بعد لممارسة مختلف أنواع المفاسد، والبحث عن ملاذ آخر ورفيق وأنيس جديد.

وثمة مشاكل في الحب أيضاً، إذْ أنّ الطفل الذي لا ينال حبّاً كافياً سيبحث عن المحبة ويكون مؤهلاً للانحراف، وقد أظهرت التجارب أنّ الحرمان من الحب يؤثر على النمو الأخلاقي والاجتماعي والنفسي للطفل بل وحتىٰ على نموّه الجسمي ونطقه ودراسته.

٤ ـ **في التعامل ووضع الفروق**: قلنا ان الأب يعتبر مثالاً للعدل والقانون والانضباط. ويتوقع الطفل منه العطف والمداراة والإنصاف.

وإنّه لمن غير الصحيح أن لا يهتمّ الأب بالعدالة في تصرفاته، فيضع فروقاً بين أولاده.

إنّ الولد سواء كان ذكراً أو أنثىٰ لا يمكنه أن يرضىٰ بعدم اهتمامكم به ورفضكم له وإهانته وتحقيره بسبب جنسه. وثمة عواقب وخيمة ونتائج خطيرة لهذا الإجراء تنعكس على الطفل الذي سيتعلم منكم دروساً سيئة إضافة إلى ابتعاده عنكم.

قد يشعر الطفل الذي يتعرّض إلى التمييز بالخوف من الحياة، ويتعرّض إلى مشاكل عديدة من أجل أن ينال احترامه ويشعر بالأمن. أو أنْ تواجهه صعوبات جمة في المستقبل عندما يقوم بدوره كأبٍ أو أم.

٥ ـ **في ممارسة الانضباط**: يتساهل بعض الآباء جداً بموضوع الانضباط ويتشدد البعض الآخر بنفس الموضوع. لكنّ هاتين الحالتين تؤديان إلى ظهور العديد من الاضطرابات السلوكية والخلقية عند الأولاد.

فالنمط الأول من الأولاد نراهم متحللين من كل شيء فهم يمارسون الانحراف ويفضحون أسرَهم. أما النمط الثاني والذي يعيش تحت رحمة استبداد الأب وسطوته فنراه يهرب من والده ويسعىٰ للاختفاء مما يكون بحدّ ذاته سبباً للابتعاد عنه.

لا بدّ للبيت أن يكون مركزاً للأمن ومركزاً للانضباط أيضاً. وسوف يلجأ الأطفال إلى ممارسة أعمالهم بسريّة إذا ازدادت الضغوط عليهم مما يجعل عاقبة هذا الأمر هو المزيد من الانحرافات والمفاسد التي تكون خافية عنكم وأنتم في غفلة عنها.

أما لو لم يُمارس الانضباط بالمقدار الكافي لأدّىٰ ذلك إلى ظهور العديد من الاضطرابات الأخرىٰ.

٦ ـ **في الاهتمامات**: لا بدّ من مراقبة الطفل والاهتمام به لكي لا يمارس سلوكاً سيئاً يؤثر عليه أولاً وعلى الآخرين ثانياً. وهذا الاهتمام هو من حق الطفل ومسؤولية الوالدين أيضاً وخاصة الطفل.

وثمة اهتمامات عديدة يمكن أن نشير إلى بعضٍ منها كالاهتمام بذهاب الطفل وإيابه ومأكله وكلامه وآرائه ونومه واستراحته ومعاشرته وعلاقاته وغير ذلك. وإنّه لتصوّرٌ خاطىءٌ أن يُترك الطفل وشأنه في جميع هذه الأمور.

فالطفل كالنبتة الصغيرة التي يجب الاعتناء بها وإزالة الأعشاب الضارة من حولها وقطع الأغصان الزائدة منها لكي تنمو بسهولة، وإلاّ لتضرر الطفل ووصلت أضراره إلى الآخرين أيضاً لأنه لا يعي مصلحته ولا يمكنه أن يُفرّق بين ما ينفعه وما يضرّه.

أسباب الغفلة:

لماذا لا يهتم بعض الآباء بتربية أولادهم؟ ولماذا لا يستيقظون من نوم الغفلة إزاء هذا الأمر المهم والخطير؟

لقد ذكروا أسباباً عديدة لذلك لكننا سنشير فيما يلي إلى بعضٍ منها:

* قد يكون الأب ضعيف الإرادة أو مصاباً بمرضٍ أخلاقي أو جسدي.
* لا يَعتَبِرُ الأب موضوع التربية مهماً، بل يفكّر بأنّه سيقدم على هذا العمل في المستقبل.
* قد يحمل الأب ـ بنفسه ـ أخلاقاً فاسدة، ويتصف بالتحلل مما لا يؤثر على كلامه في طفله.
* أن تكون له مشاغل كثيرة فلا يتمكن من تربية أولاده.
* يغيب كثيراً عن البيت فلا يستطيع الاهتمام بهذا الموضوع.
* قد يكون كسولاً فيفتقر إلى الهمّة في هذا المجال.

تأثيرات الغفلة:

مهما كانت أسباب غفلة الأب عن تربية أولاده، إلاّ أنّها تؤدي إلى ظهور العديد من المفاسد والانحرافات فتتعقد العملية التربوية.

وقد تكون لهذه الغفلة أحياناً من الأضرار ما ينعكس على الولد والعباد والبلاد فلا يمكن إزالتها.

ومن آثارها أيضاً التيه والتشرد والانحراف حيث يسقط الأولاد في مستنقع الإجرام والرذيلة.

ماذا تنتظرون من ذلك الطفل الذي لا يضع حدوداً لذهابه وإيابه؟ وكيف ستكون عاقبة ذلك الحدث الذي يعاشر من يشاء؟

لو قرر الأب أن لا يمارس أبوّته بشأن ولده لبقي الولد طفلاً دون أن يكبر. إذ سيهدد ذلك بناءه العقلي والفكري وشرفه الخلقي.

وثمة تحذير أخير إلى الآباء الملتزمين وهو أنّ هذا الإجراء قد يجرُّ أولادكم أحياناً إلى دور التأديب.

الفصل الثاني والخمسون

الأب والدروس السيئة

الأب والقدوة:

قلنا ان الأب يكون قدوة في أسرته وحتىٰ بين أفراد مجتمعه والوسط الذي يعيشه، وإنه مسؤول عن المحافظة على هذه الظاهرة والدفاع عنها. وما أكثر المصائب والصعوبات التي تعترض الطفل بسبب الدروس السيئة التي يتعلمها ويكتسبها سواء عن وعي أو بلا وعي. وإن وجود الأب يمثل درساً للولد في الأخلاق والتربية.

والآن لنرَ ما هي الدروس التي ينبغي أن يقدمها الأب لولده علماً بأنّه ثابتٌ تربوياً بأن الدروس السيئة لها تأثيرات سيئة أيضاً تبقىٰ مدىٰ العمر.

يجب على الأب أن يكون ذكياً وناضجاً وسائراً في طريق المحافظة على المبادىء الأخلاقية والتربوية ولا يهتم إلاّ بالعادات والتقاليد الإنسانية لكي يكتسب منه الطفل دروساً في الأخلاق والإنسانية ويقتدي بمنهجه وأسلوبه في الحياة.

ما هي الدروس السيئة:

نشاهد ـ مع الأسف ـ أن بعض الآباء يلجأون عن قصد أو بدون قصد إلى تقديم دروسٍ سيئة لأولادهم، ولا تقف هذه الدروس عند حدود معينة، لكننا سنشير إلى بعضٍ منها وهي عبارة عن:

١ ـ **في الدين والأخلاق:** يجب أن يكون الأب ملتزماً بدينه وبأوامره ونواهيه، ويُظهِر ذلك لولده ويطالبه به أيضاً.

ماذا يتوقع ذلك الأب من ولده وهو ذاته غير ملتزم بتعاليم دينه كالصلاة مثلاً؟

كما إن الأب الذي يتعامل مع أسرته بأخلاق سيئة ويكلمهم بمنطق بذيء فإنه يرسّخ في أذهانهم تلك الدروس السيئة التي تكون سبباً لشعور الطفل بالتشاؤم دوماً وعدم الاهتمام بالمعايير الخلقية.

وتؤدي وساوس الأب وعناده بوجه الحق وتذرعه الكثير في حياته وحياة أفراد أسرته، إلى أن يكون الطفل مستبداً ومعانداً للحق مما يولّد ذلك أخطاراً عديدة في حياته الحالية والمستقبلية وكذلك المجتمع الذي يعيشه.

٢ ـ في السلوك: عندنا آباء مذنبون لأنهم يمارسون سلوكاً منحرفاً بل ويحاولون نقل الانحراف إلى أولادهم. ونرىٰ أن بعضهم يصحب معه ولده إلى مجالس الانحراف والإثم، ولا يهمهم عاقبة حياته وما سيؤول إليه مصيره.

فسلوكهم هذا يكون مثالاً للولد، لأنهم يمارسون أعمالهم القبيحة تلك على مرأىٰ ومسمع منه، غافلين عن أنه سيكتسب منهم تلك الممارسات، ويلجأ إلى تطبيقها في المستقبل خاصة وإن الطفل يمتاز بغريزة حب المحاكاة.

يجب على الأب أن يعلم بأنّ سلوكه القبيح والمنحرف لا يخدم بناء ولده وتكامله أبداً بل يكون سبباً لانحرافه في كلّ المجالات.

٣ ـ في القول والكلام: ومن الدروس السيئة التي يقدمها الأب لولده هي استخدامه لكلمات بذيئة، فنراه مثلاً، يذكر عبارات نابية تستقر في ذهن الطفل ونفسيته وتؤثر عليه.

ويتسم بعض الآباء بالغضب فلا يقدر أن يتمالك نفسه فيستخدم كلمات مشينة وقبيحة يكتسبها الطفل.

كما يتصف بعض الآباء بالسخرية وتقصّي عيوب الآخرين فنراه يسخر من ولده وينال من معنوياته، فيدفعه بعمله هذا إلى سلوك طريق الانحراف.

وينطبق هذا الكلام أيضاً على ذلك الأب الذي يتحدث بكلمات

متضادة، ويلجأ إلى الكذب، فيدرك حتىٰ الطفل الاختلاف الحاصل في كلامه. وتكون النتيجة أنْ لا تؤثر كلمات الأب في ولده ولا تنفذ إليه فتفشل العملية التربوية.

٤ ـ **في العهد والوعد**: من الدروس السيئة التي يقدمها الأب لولده هي عدم وفائه بعهده ووعده فيلمس الطفل ذلك رغم أنه لا يتوقعه. فمثلاً يعدُ الأب ولده باصطحابه معه في سفره أو تجوّله في اليوم الفلاني أو أن يشتري له حاجة معينة ولكنّه لا يفي بوعده.

وقد يتعهد له بشيء ما لكنه ينسىٰ عهده، فيتألم الطفل كثيراً خاصة فيما لو ارتبط ذلك العهد بمصلحته الخاصة.

وسوف تتضاءل مكانة هؤلاء الآباء في أعين أولادهم إضافة إلى أنهم سيقدمون لهم دروساً سيئة لها نتائج خطيرة في حياتهم المستقبلية.

٥ ـ **في النظم والانضباط**: لا يوجد شك في أن من وظائف الآباء المهمة هو تعليم أولادهم على النظم والانضباط والالتزام بالمبادىء والأصول.

وهذا الأمر ضروري لأن يشمل جميع مرافق الحياة بل وحتىٰ تناول الطفل لطعامه ونظافته وعمله ونومه واستراحته وغير ذلك.

فالأب الفوْضوي الذي لا يلتزم بأي ضوابط في ذهابه وإيابه وراحته وعمله إنما يقدّم دروساً سيئة لأولاده تكون لها نتائج وخيمة في حياتهم القادمة. ثم ماذا يتوقع مثل هذا الأب من أولاده؟ وهل ستؤثر فيهم أوامره ونواهيه ومطالبته لهم برعاية النظم والانضباط؟

٦ ـ **في التعامل**: لا بدّ أن يتم التعامل في الحياة الاجتماعية والأخلاقية للناس وفق معايير إنسانية ومبادىء منبثقة من الأخلاق السامية وتعاليم الدين الحنيف. أمّا لو كان التعامل خاطئاً لتأثر به الطفل واكتسب منه تلك الدروس السيئة.

فالأب المحتال والمنافق والشرير والشقي والمتكبر والعنيف والمرائي إنما يقدّم دروساً سيئة لأطفاله، فيعرّض حياتهم المستقبلية للخطر.

وإن اللجوء إلى ممارسة الاقتدار والعنف يدفع الأطفال إلى التفكير بالانتقام دائماً، واستخدام العنف مع كل مَنْ يقف أمامهم.

وكذا بالنسبة للأب الذي يلجأ إلى الجدل كثيراً والسخرية بالآخرين ولمزهم، إذ تقضي هذه الممارسات على معنويات الطفل بشكل لاإرادي فيضطر إلى اتخاذ أساليب مشابهة.

٧ ـ **في العلاقة الزوجية**: من الدروس السيئة التي يكتسبها الطفل هي أن تكون العلاقة بين الزوج وزوجته على مرأى منه حتىٰ ولو كان صغيراً، فالذي يضاجع زوجته على مشهدٍ من طفله إنما يرتكب خطأً كبيراً لأنّه يمهّد الأجواء لانحراف الطفل ولا يمكنه أنْ يفلح أبداً.

فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: «لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريته وفي البيت صبي، فإن ذلك يورث الزنا». وجاء عن الإمام الباقر (ع) قوله: «إيّاك والجماع حيث يراك صبي يحسن أن يصف حالك». وثمة أطفال قد انحرفوا بسبب هذا الأمر.

٨ ـ **في المعاشرة**: ينبغي أن يقدّم الأب دروساً في الأدب والأخلاق لأولاده من خلال أسلوب معاشرته لهم، ويجب أن تشمل هذه المعاشرة جميع أفراد الأسرة بما في ذلك الزوجة. وإنّ نزاع الكبار يقف بوجه نشوء الأطفال بل ويدفعهم إلى الشعور بالأذىٰ.

كما ليس صحيحاً أن ينعدم التوافق بين الوالدين في حياتهم فيعتبرا الطفل هو السبب الوحيد الذي تستمر من أجله حياتهما. فنراهما مثلاً يتجادلان كثيراً ويتنازعان باستمرار ويشتكيان إلى الطفل ضد بعضهما ويلجآن إلى تحطيم شخصية كلٍ منهما.

فلو كان الأب مهتماً بتربية ولده فما عليه إلاّ أنْ يقضي على الاختلاف الدائر بينه وبين زوجته ويمتنع عن النفاق والسلوك السيء.

ولو حصل هذا ـ لا سمح الله ـ فما على الأب إلاّ أن يحفظ طفله من التأثيرات السيئة لذلك بل يزيلها من قلبه لكي لا تكبر وتستفحل.

٩ ـ **في المساعدة والتعاون**: حري بالأب أن يُساعد الآخرين من أفراد

أسرته بمرأى من الطفل وبشكل يفهمه ويدركه لكي يخلق الأجواء الملائمة لنموّه إجتماعياً.

فثمة أشخاص في المجتمع ليسوا سوىٰ عالةٍ عليه، وما على الآخرين إلاّ أن يتحمّلوا أعباءَهم ويتبنوا شؤونهم.

ولو قرر كل إنسان أن يفكر بنفسه ويتحرك في إطار مصلحته الخاصة لتعذرتْ الحياة الاجتماعية ولاضطربت الأمور وظهرت المشاكل والصعوبات العديدة.

لذا، لا بدّ من قيام التعاون في المجتمع وحتىٰ التكافل الاجتماعي، ويجب أن يقدم الأب الدروس المفيدة في هذا المجال لأولاده طيلة فترة حياتهم. وإنّه لذنب كبير أن يقف الأب موقف المتفرّج إزاء مشاكل مجتمعه وآلامه.

١٠ ـ **في التفكير**: وأخيراً، يجب على الآباء أن يؤمنوا بفلسفة واضحة ومنهج صريح في الحياة.

عليهم أن يُبعدوا سوء الظن والحقد من حياتهم. فالذي ينظر إلى الأمور من زاوية ضيقة ويتعامل مع الأحداث نظرة سلبية إنما يقدم درساً سيئاً لأولاده ويعرّض حياتهم المستقبلية إلى الخطر.

وينبغي أن يجتهد الآباء في زرع الأمل في قلوب أولادهم وتنمية اعتقادهم بالعمل والجزاء لكي يتمكنوا من المضي في طريق خيرهم وصلاح أنفسهم ومجتمعهم.

الفصل الثالث والخمسون

الأب والعنف

موضوع العنف:

يتناول علماء التربية والنفس والأخلاق كثيراً، موضوعي اللين والعنف في بحوثهم. وإن ما يمكننا أن نطرحه في موضوع التربية هو قدرة المربين في القضاء على الانحرافات والاضطرابات وبناء الأطفال الفوضويين والسيئين من خلال تعاملهم اللّين وتحليهم بالصفح في نفس الوقت. فالعنف حتى لو كان مؤثراً فإن نتائجه لا تكون جذرية ودائمية أبداً.

وتظهر ـ مع الأسف ـ بعض الحالات في موضوع تربية الأولاد التي يلجأ فيها الآباء والأمهات إلى استخدام العنف مما يؤدي إلى ظهور نتائج لا تحمد عقباها. فقد يستهدفون من العنف أحياناً ـ ولو ظاهرياً ـ أن يقوم بعملية البناء وتربية الولد، لكنهم غافلون عن تأثيراته السيئة التي تهدد أحياناً النتائج الإيجابية للتربية السابقة.

فلو كانت القسوة هي الأساس لما كانت هناك أية حاجة لهذه الوصايا العديدة والنصائح التي أطلقها الأنبياء الالهيون والمربون وتوبيخهم المستمر لاستخدام العنف.

أسباب العنف وعلله:

لماذا يلجأ بعض الآباء إلى العنف في العملية التربوية؟ ومن الطبيعي إنّه توجد أجوبة عديدة، لكننا سنشير فيما يلي إلى بعض منها:

١ ـ الأمراض الجسمية والنفسية التي يصاب بها الآباء فتكون سبباً لظهور

العديد من الانحرافات والاضطرابات. فنراهم يملكون أعصاباً ضعيفة ونفوساً مريضة تدفعهم لممارسة العنف.

٢ ـ الإلحاح الشديد على موضوع تربية الطفل لينشأ مؤدباً، فيعتقد الأب بأن العنف هو أفضل طريق لتحقيق هذا الهدف.

٣ ـ قد يمثلّ العنف إنعكاساً لمرحلة الطفولة التي مرّ بها الأب، وخاصة بالنسبة لأولئك الآباء الذين عانوا كثيراً في طفولتهم وعاشوا حياة قاسية ولم يتلقوا ذلك الحب والحنان الكافي من آبائهم.

٤ ـ بذل الجهد من أجل القضاء حالاً وفوراً على عناد الطفل أو ما تعتريه من مشاكل أخرىٰ، مما يؤدي هذا العمل إلى تجاهل الأساليب الصحيحة في التربية.

٥ ـ قيام الأب بنقل المشاكل الخارجية التي تواجهه إلى داخل البيت بسبب عدم امتلاكه القدرة على حلّها، فنراه ينتقم من أولاده ويُشفي غليله فيهم.

٦ ـ السخط علىٰ الحياة الأسرية وعدم الرضا بها، خاصة عند ظهور الاختلافات مع الزوجة، فتؤثر على الأولاد أيضاً.

وثمة أساليب أخرىٰ عديدة، إلاّ أننا نؤكّد وبشكلٍ عام على أنّه ليس صحيحاً أن يفرّط الأب بحياته وأولاده ويقف بوجه نموّهم وتكاملهم من أجل أن يمارس سلطته أو بسبب عناده وما عاناه في صغره، بل عليه أن يمتنع عن هذه الأساليب ويفكّر بطرق نافعة ومفيدة.

تأثيرات العنف على الطفل:

يمثّل استخدام الأب للعنف مع ولده خطأً كبيراً بسبب الأعراض السيئة التي يتركها على الطفل؛ وسوف نشير فيما يلي إلى بعضٍ منها:

١ ـ الفشل والاستسلام: إنكم ومن خلال استخدامكم للعنف تضطرون الطفل إلى الشعور بالفشل والاستسلام. فهو سيفقد شعوره بالفخر وإحساسه بالاقتدار مما يضطره ذلك للاستسلام لكم كالأعمىٰ.

وفي النتيجة إنه سوف لا يكون قادراً على الدفاع عن نفسه أبداً.

فالآثار السيئة للعنف هي أكثر بدرجات من تلك التأثيرات السلبية التي يتركها الآباء الذين لا يشعرون بمسؤولياتهم ولا يلتزمون بوظائفهم. لأن الطفل يلجأ، وبسبب العنف، إلى ممارسة نشاطاته بسريّة ولا يطلب العون من والده أبداً ولا يلجأ إليه لشعوره بأنّ والده قادر على الانتقام منه متى ما يشاء. وتكون النتيجة أن يصبح معقداً في حال ضعفه وعنيفاً ومستبداً فيما لو تمكّن من ممارسة نفوذه.

- **البحث عن الملاذ**: يبحث الأطفال الهاربون من عنف الأب عن ملاذ لهم يحميهم ويقيهم من الأخطار. وقد يؤدي بهم الأمر أحياناً إلى التشرد ومرافقة الفاسدين والمنحرفين، مما يكون بدوره سبباً لظهور العديد من المفاسد الأخرىٰ.

أمّا لو لم تظهر هذه الحالة لواجهتهم مشكلة أخرىٰ وهي لجوؤهم بشكل لاإرادي إلى الأم بسبب عنف الأب وقسوته، إذ إنّ الأب سيخسر أطفاله في هذه الحالة، وستظهر عندهم بعض الاضطرابات السلوكية، فيرتبط الأطفال بأُمّهم بشدّة ويشعرون بحاجة ماسّة إلى حبّها.

وتكون النتيجة أن تظهر عليهم بعض العادات الأنثوية فنراهم يحاكون أمّهم ويسيئون الظن بأبيهم ولا يهتمون بسلوكه.

٣ - **الهروب**: هل فكرتم لماذا يهرب الطفل من البيت؟

لقد أظهرت البحوث العلمية أن سبب هروب الأحداث والأطفال الصغار أحياناً من البيت، إنما يرتبط بقسوة الأب أو زوج الأم أو زوج الأب، والضغوطات التي يمارسونها والعقاب الشديد الذي يستخدمونه والانتقاد المستمر للطفل والاتهامات المتعددة التي يوجهونها إليه، وعدم الاكتراث به وبأعماله وترك مراقبته وشعوره (أي الطفل) بالإحباط والخوف والحرمان وغير ذلك من الأسباب الأخرىٰ.

لذا فإن الآباء يوفرون الأجواء الملائمة لظهور هذه الحالات عند الطفل من خلال استخدامهم للقسوة والعنف فيتسببون في انحرافه وفساده.

فهل تدرون أيها الآباء، مَنْ هم الذين سيلجأ إليهم الطفل فيما لو هرب منكم وابتعد عنكم؟ وهل تثقون بهم وتعتمدون عليهم؟

٤ ـ **تجرؤ الطفل على والده**: عندما ينفذ صبر الطفل بسبب عنف أبيه وقسوته فإنّه سيتجرّأ عليه، وقد تبرز هذه الجرأة في مرحلة الطفولة فتقفون بوجهها ـ أي الجرأة ـ من خلال عدة صفعات، غير أنّ الموضوع لا ينتهي عند هذا الحد.

ولو افترضنا إنكم نجحتم في إسلوبكم هذا مع الطفل الصغير، فهل يمكنكم استخدامه مع الحدث والشاب أيضاً؟

لقد أثبتت التجارب أن الغالبية منهم يقفون بوجه آبائهم ويقاومونهم مما سيكون سبباً لأن تفقد قدرة الأب معناها الحقيقي.

ويبرز الخطر عندما يتمكن الولد لمرّة واحدة النيل منكم وتحطيم شخصيتكم إذ سيضعف موقفكم كثيراً.

ولو إفترضنا إنكم تمكنتم من الانتصار عليه وتحطيم كبريائه، ولم يقف بوجهكم، أو يقاومكم إلاّ أن العاقبة ستكون إمتلاء الولد بالحقد والغضب وسوء الظن بكم، إضافة إلى صفات سلبية أخرىٰ.

٥ ـ **التوغل في الشرّ**: من أعراض استخدام العنف مع الطفل أو الحدث هو أنه سيندفع لممارسة الشر والتوغل فيه والاعتداء على الآخرين، وأن يكون مستبداً وسيئاً في حياته المستقبلية.

إذ لا يمكن أن نعتبر الضرب والآلام التي يتعرّض لها الطفل بأنها أمر عادي فلا نعترض عليه، بل سيكون لها تأثيرات عميقة تهدد حياته الفردية والاجتماعية في الحال والمستقبل.

نعم، لقد أثبتت الدراسات إن استخدام القسوة والعنف يؤدي إلى إيجاد ردود فعل اجتماعية حيث تظهر المشاكل والصعوبات لأبناء المجتمع. وإن مثل هؤلاء الآباء إنما يظلمون مجتمعاتهم أيضاً ويعرّضون أمنها للخطر، إضافة إلى ظلمهم وأولادهم.

٦ ـ **التأثير على السلوك**: يؤثر العنف على السلوك أيضاً، ولا يعلم أحدٌ إلاّ الخالق جلّ وعلا بتلك التصورات التي سيحملها الطفل عنكم في ذهنه ونفسه ومخيلته بسبب قسوتكم وعنفكم.

ومن عادة الأولاد إنهم يلجأون إلى القياس كثيراً خاصة وان الأب هو أحد موارده، فنراهم يقيسون بينه وبين الآباء الآخرين، ويحددون مكانته وسلوكه وفق هذا القياس، ويشعرون ـ لاإرادياً ـ بالحقد عليه ويلجأون إلى الانتقام منه.

ولأنهم لا يتمكنون من عملية الانتقام فهم يتخذون سلوكاً مختلفاً يمثّل بحد ذاته خطراً كبيراً يهدد حياتهم المستقبلية.

ويطغى السلوك الانفعالي على الحياة العادية لهؤلاء الاشخاص، إذْ نراهم يغضبون لأدنىٰ مواجهة ويلجأون إلى أسلوب الإهانة والتحقير والعنف والمواجهة الشديدة في تصرفاتهم.

وقد أظهرت التجارب والدراسات انهم يصابون بظاهرة الانفصام في الشخصية أو السلوك عادة.

٧ ـ **حدوث الهُوّة**: يعتقد الأطفال الذي يشملهم عنف الأب بنتيجة مفادها أنه ينبغي عدم الاقتراب من هذا الأب والابتعاد عنه قدر الإمكان لاتقاء شرّه. ولا يشعرون بأية عاطفة نحوه ويتمنون أن لا يعود إلى البيت أو يكونوا نياماً عندما يعود، وإنّه لمخجل جداً أن يحمل الطفل مثل هذه الرغبات والأمنيات في ذهنه.

نتيجة عامة: والخلاصة، لا بدَّ أن نصل إلى هذه النتيجة، وهي أنّ العنف عمل مرفوض ولا يمكنه أن يحقق شيئاً من الناحية التربوية خاصة علىٰ المدىٰ البعيد. وسوف تزداد الهُوّة كلما ازداد العنف.

ويؤدي العنف الشديد إلى حدوث انفجار يسعىٰ الطفل للابتعاد عنه لشعوره بأنّه يهدد حياته.

ولو كان الأب عنيفاً وذا سلوك اجتماعي منحرف، أو لايقدر على

ضبط نفسه وكبح جماحه فإنه سيلقن أولاده درساً سيئاً حيث يدفعهم ليكونوا منحطين وأشراراً.

وإضافة إلى ما ذكرناه فإن سلوك الأب هذا يؤدي بالولد إلى أن يعصيه ويتجرّأ عليه ويمارس أعمالاً قبيحة أخرىٰ. ولو كانت الأم خبيرة وواعية لدورها ووظيفتها لتمكّنت من الوقوف إلى حدٍّ كبيرٍ أمام انحراف الطفل وإلاّ لكان الدمار والخراب هو المستقبل الذي ينتظر هذا الطفل.

الفصل الرابع والخمسون

الأب والنزاع مع الزوجة

الاستقرار في الأسرة:

أشرنا سابقاً وضمن فصول هذا الكتاب إلى عوامل الاختلاف والنزاع بين الزوجين، ونظراً لأهمية الموضوع فإننا سنتناوله مرة أخرىٰ من زاوية انه يمثّل خطأً كبيراً يرتكبه الأب في عمله التربوي، لتأثيراته السيئة على الأولاد وبقية أفراد الأسرة.

لا بدّ أن تقوم وظيفة الأب في تربية الولد وحمايته وبنائه وتنمية أبعاده الوجودية على التفاهم والاتزان والتقويم من أجل أن يتحقق أمن الأسرة واستقرارها لكي يمكن الوصول إلى تربية مناسبة.

وإنّ الأب هو المسؤول عن توفير هذه الأجواء والإمكانات المطلوبة لأسرته وأهل بيته.

فما أكثر الأمور التي تحصل في محيط الأسرة فتعرّض أمنها واستقرارها إلى الخطر وتؤدي بها إلى الاضطراب. ولو أدرك الآباء نتائج هذه الاضطرابات لامتنعوا حتماً عن أساليبه الخاطئة، إلاّ أن يكونوا من الذين لا يشعرون بمسؤولياتهم ولا يهمهم صلاح أولادهم وخيرهم.

الإفراط في النزاعات:

قد يكون مستحيلاً أن نقول بأنّه لا تحدث أية مشكلة في الأسرة وخاصة في تلك المجتمعات التي لا يقوم فيها الزواج على ركائز صحيحة بل يتدخل فيها الإكراه والمصلحة. فلا بدّ أن يحصل الجدال ـ قليله أو كثيره

ـ في محيط الأسرة ولكن باختلاف واحد وهو إنّه سيكون سبباً إلى المزيد من التوافق في الأسر المسلمة والملتزمة بينما نراه يكون سبباً للحقد وتصفية الحسابات التي لها امتدادات خارج البيت غالباً في الأسر الأخرىٰ.

فلا بأس من الجدال لو كان ضمن الحدود المتعارف عليها، غير أنّ الخطر يبرز عندما يؤدي إلى حدوث نزاعات وترديد كلمات الفحش والضرب. وفي هذه الحالة كيف سينظر الطفل إلى والديه؟

كيف يمكن للمرأة التي تعرّضت للضرب من زوجها وأمام طفلها أن تكون أمّاً له؟ أو كيف يمكن لذلك الأب الذي تعرّض للإهانة والاحتقار من زوجته أمام طفله أن يكون أباً له؟

ألا يُعتبرُ هذا واحداً من العوامل التي تؤدي بالطفل إلى أنْ يكون لاإبالياً فيمارس سلوكاً سيئاً؟

الإسلام والمداراة:

يخطىء بعض الآباء عندما يجعلون من محيط الأسرة ساحة للمبارزة فيقف فيها الطرفان وجهاً لوجه. ولا يمكن للحياة أن تقوم إلاّ على أساس الصفح والمداراة والاحترام وضبط النفس من أجل أن تتحقق سعادة الأولاد. فقد ورد عن رسول الله (ص) قوله: «عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد إلى الله عزّ وجل أحسنهم صنيعاً إلى إسرائه».

وجاء عن أمير المؤمنين علي (ع) قوله: «إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركته انتفعت به وإن أقمته كسرته».

ونُقل عن الإمام الصادق (ع) قوله: «إتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة».

تأثير النزاع على الزوجين:

إنّ النزاع بين الزوجين يؤثر عليهما أيضاً، فقد يحقق الأب هدفه ـ ظاهرياً ـ من خلال النزاع مع زوجته أو ينفّس عن قلقه وآلامه، لكن الحقيقة أنّ هذا العمل يضره.

فالاختلاف والنزاع بين الزوجين يهدد العلاقة الحميمة بينهما ويجرّها إلى الخطر، وإن البيت سيتحوّل والحال هذه إلى بؤرة للمشاكل فلن يكون مرغوباً به. وسوف ينشأ أفراده عصاةٍ ولاإباليين.

لا بدّ أن تقوم العلاقة بين الزوجين على الحب والتفاهم والاحترام المتبادل بينهما وبين أولادهما لكي ينشأ الأولاد مطيعين سويين في سلوكهم. أما النزاعات فإنها تجعل الحياة مظلمة وكذلك بالنسبة للأولاد. إذْ ستفقد الزوجة ثقتها بزوجها وتسوء العلاقة بينهما.

عقوبة إلحاق الأذىٰ:

لا يمكن التغاضي عن ذريعة إلحاق الأذىٰ بالزوجة، فمن حق المرأة أولاً أن تكون محترمة، وإن الرجل الذي لا يبالي بذلك فقد عصىٰ خالقه، ولا بدّ أن ينال عقابه المناسب.

جاء عن رسول الله (ص) قوله: «مَنْ اتخذ زوجة فليكرمها»، وقال أيضاً: «فإن الله ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان».

نعم، فقد تكون المرأة ضعيفة، وإن الرجل قادر على إلحاق الأذىٰ بها بسبب قوته، ولكن عليه أن لا ينسىٰ بأنّ الخالق جلّ وعلا يقف له بالمرصاد. وإنّه جلّت قدرته هو المدافع عن الضعفاء. ويصدق هذا الكلام بشأن الطفل أيضاً لعدم امتلاكه قدرة الدفاع عن نفسه.

تأثيرات ذلك على الأولاد:

للنزاع بين الوالدين أعراض خطيرة تؤثر على الأولاد ولا يمكن لنا أن نشير إلى جميعها لكننا سنذكر فيما يلي بعضها:

١ ـ **اختلال عملية الانضباط**: عندما يحصل النزاع بين الوالدين فإنّه يؤثر على انضباط الأطفال وعدم اكتراثهم بأوامر الوالدين، وتعتبر هذه إساءة كبيرة للزوجين.

وثمة خطر آخر يهدد الأسرة أيضاً ألا وهو إنقسامها إلى معسكرين أو صَفَّين حيث سيتبنّىٰ كل طفل موقفاً معيناً فيكون إلى جانب أمّه أو أبيه، ويدافع عنه. وهذا ليس في صالح أيٍّ من الوالدين.

٢ ـ إساءة الظن بالوالدين: قد يكون أحد الوالدين محقاً في هذا النزاع ولديه أدلّة قوية وكثيرة، إلاّ أنّ الطفل يحمل تصوراً مختلفاً عن هذا الموضوع.

إنّه ينظر نظرة خاصة بعوم على إدراكه وتفكيره فيدين مثلاً طرفاً معيناً.

وقد يلجأ الأب للإساءة إلى الأم ويحاول إقناع الطفل بأنّه على حق في ذلك النزاع، لكن هذا لا يعني أن الطفل سيقبل بوجهة نظر أبيه رغم سكوته الظاهري، بل سيعتبر الأب مذنباً فيسيء الظن به بمجرد أن يشاهد بكاء أمّه وتوددها إليه.

٣ ـ توقف عملية النمو: أشارت بعض الدراسات في المجتمعات الغربية ان نزاع الوالدين في محيط الأسرة يؤدي إلى توقف عملية نمو الطفل وظهور مشاكل جدية في هذا المجال.

وقد تقلّ شهية الطفل للطعام أو يحصل تباطؤ في عملية الهضم بسبب حدوث خلل في إفرازات بعض الغدد. وهذا كلّه بسبب شعور الطفل بالغم والحزن.

ويؤي نزاع الوالدين أيضاً في حال مرض الطفل إلى تباطؤ عملية شفائه واستعادته لصحته وسلامته، أو قد يؤدي إلى مضاعفة المرض بسبب ازدياد غمّه.

٤ ـ السلوك الاجتماعي المنحرف: يؤدّي نزاع الوالدين وعدم توافقهما، بل وحتىٰ سلوكُهما الغير متزن وكلامُهما الغير منسجم، إلى تمهيد الأجواء لأن يسلك الطفل سلوكاً إجتماعياً منحرفاً فيلجأ إلى الجريمة مثلاً، ويمكن أن تشاهدوا آثار ذلك في سّلوك الطفل وعمله.

فالجحيم الذي يؤجحه بعض الآباء لأولادهم في الاسرة يكون سبباً للعديد من حالات الاضطراب التي تؤثر بشدّة على حياة الأفراد الحالية والمستقبلية. وعندنا نماذج كثيرة لجأ فيها الأولاد إلى الفساد والانحراف والإجرام.

٥ ـ تحطيم المعنويات: وأخيراً، يؤدي النزاع إلى تحطيم معنويات الأولاد ويُجذّر في نفوسهم حالات القلق والاضطراب.

فما أكثر الأولاد الذين يشعرون بالقلق بسبب ذلك، أو انّهم يشعرون بالاثم جرّاء نزاع الوالدين.

وسبب شعورهم بالقلق هو إحساسهم بأنّ أمنهم في خطر، ويتوقعون بأن عواقب سيئة تنتظرهم. أما سبب شعورهم بالإثم فهو خوفهم من أن تكون أخطاؤهم هي السبب في ظهور هذه الحوادث.

إذ سيتعرّض نموّه الجسمي للخطر وتضعف معنويات ذلك الطفل الذي يشاهد باستمرار حدوث نزاع بين والديه، ويرتجف دائماً بسبب خوفه، وانه سيكون قاصراً عن التعامل مع شؤون الحياة المختلفة مما يزيد الطين بلّة.

وأخيراً:

فإن السلوك الخاطىء للوالدين واضطراب الأسرة، وضعف الأواصر بين الزوجين يدفع الطفل إلى الشعور بفقدان الأمن، وينظر إلى الحياة نظرة متشائمة. ويتصف الأطفال الذين ينمون ويترعرعون في ظل هذه الأسر بالهزال، واصفرار البشرة وانهيار المعنويات والإصابة بتخلّف دراسي، والتخلّف بسلوك سيء في التعامل مع الآخرين.

وانهم لا يشعرون بالحيوية أبداً، ولا ينامون نوماً مريحاً، وتنعدم رغبتهم في الكلام، بل سيصابون بتأخر في النطق لمَنْ هم دون الثالثة من العمر كما أشارت إلى ذلك التجارب العلمية...

الفصل الخامس والخمسون

الأب والإفراط والتفريط

الإعتدال في الأمور:

الإسلام هو دين الاعتدال ومراعاة حدّ الوسط في جميع الأمور ويرفض الإفراط والتفريط. وينطبق هذا المفهوم على جميع مرافق الحياة وحتىٰ العبادة إذ ينبغي مراعاة حدّ الوسط والاعتدال فيها لكيْ يتحقق البناء.

فالإفراط والتفريط في العملية التربوية يؤديان إلى إيجاد العديد من المشاكل للأجيال في حياتهم الحالية والمستقبلية. فلو أصاب الجفاف ـ مثلاً ـ نبتة معينة لذبلت وماتت تدريجياً، ولو سُقيت بكمية كبيرة من الماء لماتت أيضاً. ويصدق هذا المفهوم على الأطفال أيضاً، فلو تركتم الطفل وشأنه في موضوع معين كالحرية ـ مثلاً ـ لشكّل ذلك خطراً عليه وعليكم في نفس الوقت. أما لو تعرّض لضغوطٍ شديدة في المجال المذكور لفرّ منكم وابتعد عنكم. لذا ينبغي مراعاة الاعتدال وحدّ الوسط في جميع الأمور.

مجالات الإفراط والتفريط:

ثمة مواضيع عديدة يمكن الإشارة إليها ضمن هذا العنوان، وهناك عدة أعراض سيئة تصيب الأطفال خاصة عندما يغفل الآباء عنها. وسوف نشير فيما يلي إلى بعض الموارد كنماذج في هذا المجال:

١ ـ **المحبة**: لو تعمقتم في المعنىٰ الصحيح للمحبّة لأدركتم حتماً تلك المضار الناشئة بسبب الإفراط أو التفريط التي تصيب الأطفال عادة. فالإفراط في المحبة يمهد الأجواء لدلال الطفل وزيادة توقعاتهم منكم، فنراه

يستغل المحبة لتحقيق العديد من أهدافه اللامشروعة، بل إن بعض التجارب أثبتت بأن الطفل سيشعر بالحقارة في حياته المستقبلية بسبب الإفراط في المحبة لأنّه سيفتقدها في تعامله مع الآخرين.

أما التفريط بالمحبة وعدم حصول حالة الإشباع فإنه يمهد الأجواء لظهور العديد من الجرائم والانحرافات المختلفة. فقد يسلك الطفل الذي لا يحصل على الحب الكافي من أمّه وأبيه سلوكاً انفعالياً يؤدي به إلى الاستسلام للآخرين، أو اللجوء إلى ممارسة العنف والانتقام من المجتمع.

٢ ـ **الاهتمامات**: لا بدّ من الاهتمام بالطفل، وهذا أحد حقوقه إذ يجب أن يهتمّ الأب بسلامته الجسمية والنفسية لكي لا تهدده الأخطار. غير أن الملاحظة المهمة هي حالة الأفراط والتفريط التي يلجأ إليها الوالدان أحياناً.

فالإفراط في الاهتمام بالطفل يؤدي إلى ارتباطه الشديد بوالده واتكاله عليه وفقدانه للاستقلالية في الحياة. أما التفريط في الاهتمام فإنه يدفع الطفل لممارسات خاطئة ومنحرفة أو أن يعرّض سلامته للخطر.

٣ ـ **الدعم**: كما ويحتاج الطفل إلى الدعم أيضاً، وينبغي أن يواصل طريقه في الحياة معتمداً على دعم أبيه أو أمه، وأن يطمئن بأنّه سينال دعمهما فيما لو تعرض لأية مشكلة في طريقه.

إننا نشاهد ـ مع الأسف ـ بعض الآباء الذين يتوقفون عن دعم الطفل من أجل أن يحقق أولادهم استقلالهم السريع، أوإنهم يمارسون الدعم بشكلٍ مفرط فينشأ الطفل مُتكلاً عليهم بشكلٍ كامل ويفقد استقلاله مما يشكل خطأً كبيراً ومضراً في الوقت نفسه.

٤ ـ **الإرتباط**: إن من أخطاء الأب أن يدفع أولاده إلى الارتباط به بشدة فلا يتمكنوا من التحرك بملء إرادتهم وعندما يبعدهم عنه يشعروا بالغربة.

إنّ من غير الصحيح أن يطرد الأب ولده بسبب إثارته للضوضاء أو شيطنته، وكذا ليس صحيحاً أن يرتبط به بشدة بسبب حبّه المفرط. فقد تبرز في الحياة اليومية صعوبات عديدة ومشاكل جّمة لا يمكن التنبؤ بها مما تؤثر

بقوة على الأطفال المرتبطين بآبائهم. كما إنه سيشعر بالغربة والوحدة بسبب تلك المشاكل مما يؤثر عليه سلباً ما لم تمتد إليه يد العون والدعم.

ولا بدّ أن يستعين الأب بخبرته وكفاءته فيلجأ إلى مراعاة حدّ الاعتدال في هذا الأمر.

٥ ـ **توقعاتنا من الطفل**: ينسىٰ بعض الآباء من خلال عملهم أنّ لهم أطفالاً صغاراً وقاصرين، فلا يتمكنون مثلاً من رفع حاجات ثقيلة بأيديهم الصغيرة، ولا يملكون القدرة على اتقان بعض الأعمال، لكننا نرىٰ أن أولئك الآباء يشددون علىٰ أطفالهم ويحمّلونهم فوق طاقاتهم مما يدفعهم ذلك إلى التشرد والهروب أو انهيار معنوياتهم وتحطيم شخصياتهم.

كما إنّه من غير الصحيح أيضاً أن لا نتوقع من الأطفال شيئاً فنتركهم بذريعة صغر سنّهم. فالمهم هو أنْ نكلفهم بمستوىٰ ذكائهم واستطاعتهم وقدرتهم. أما توقعاتنا المفرطة فتؤدي إلى ظهور حالة الهيجان عندهم فيحتقروا أنفسهم فيما لو لم يحققوا ذلك الأمر. وإنّ عدم تكليفهم بأي شيءٍ يضرهم في الوقت نفسه ويؤثر سلباً علىٰ حياتهم المستقبلية.

٦ ـ **التدخّل**: ينبغي أنْ يراقب الأب طفله في عمله، بل أنْ يراقبه في لعبه أيضاً لكي لا يُصاب بمشكلة معينة غير انه من غير الصحيح التدخل في جميع أموره وشؤونه.

فالتدخل في جميع أمور الطفل وإبداء وجهات النظر بشأن لعبه ونوعه يؤدي إلى عدم تحقق نمو الإرادة عند الطفل وتؤثّر علىٰ قابلية اتخاذه للقرار وتجعله لا يطوّر عمله أبداً.

كما يؤدي هذا الأمر أحياناً إلىٰ نفاذ صبر الطفل والعمل في الخفاء.

يخضع الأطفال عادة لضعاف النفوس ممن لا إرادة لهم، لذا يجب الاهتمام بهم ومراقبتهم دون التدخل بشؤونهم إلاّ عند الضرورة وفي حالة وجود أخطار تهدد أجسامهم أو نفوسهم.

٧ ـ **الخضوع للقانون**: يحتاج الطفل في نموّه وتكامله إلى النظم

والقانون، وإنّه مضطر للالتزام ببعض الضوابط. وإنّ عدم تطبيق القانون بشأن الطفل يؤدي إلى ظهور حالة الإهمال عنده، وإن القسوة في ذلك تُبعده عنكم.

ومن أخطاء الأب أن ينادي باستمرار بتطبيق القانون في البيت ويطالب بالالتزام بالنظم فنراه يضغط بشدة على أولاده غافلاً عن أن هذا الإجراء يؤدي إلى توقف عملية النمو في جميع أبعادها.

فحاكمية الأب ضرورية ولكن بشرط أن لا تكون مطلقة لأنّها تؤدي إلى تبعية عمياء من قبل الطفل فيستسلم لوالده دون إرادة منه، وهذا ليس صحيحاً من الناحية التربوية.

٨ ـ **الغضب وممارسة الاقتدار**: ليس صعباً أن نفرض على الطفل شيئاً ما أو أن نغضب عليه، ولكن علينا أن نحذر ذلك كثيراً، فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: «الغضب مفتاح كلّ شر».

وثمة آثار سيئة أخرىٰ للغضب كما وردت في الحديث الشريف: «شدّة الغضب تغير المنطق وتقطع مادة الحجة وتفرّق الفهم».

وعادة، فإنه من غير الصحيح أن يكون الأب كائناً مخيفاً ويجب على الطفل أن يخشاه ويحذره، بل عليه أن يكون مثالاً للاقتدار، وفي الوقت نفسه قدوة في الحب والاعتدال والعطف، وهذا يحتاج إلى فن خاص. فقد جاء عن الإمام علي (ع) قوله: «سوء الخُلق يوحش القريب وينفّر البعيد».

٩ ـ **التهديدات**: ينبغي أن يخشى الطفل أباه، ويقيم له وزناً غير أن هذا لا يعني أن يرتجف أمامه باستمرار فلا يرغب بلقائه أبداً.

وليس صحيحاً أن يكون الأب ليناً في الوقت نفسه فيفقد شأنه عند الطفل، أو أن يهدده باستمرار ويخوّفه.

إن حالة الاعتدال معرضة للاهتزاز في البيت فيما لوأقدم الوالدان على استخدام الصراخ مع أولادهما وخلقا وضعاً إرهابياً في الأسرة. مع العلم أنّ الصراخ لا ينفع دوماً لتطبّع الأولاد عليه أولاً لأنّه مجرّد صراخ، وإنّهم سوف لا يكترثون به ثانياً عندما يصبحوا أحداثاً ومراهقين.

١٠ ـ العقاب: ليس صحيحاً أنْ لا نعاقب الطفل أبداً، أو أن نعرّضه لعقابٍ مستمرٍ دائماً.

يعتقد بعض الآباء أنّ قدرتهم نازلة من السماء، وعليهم أن يمارسوا قوتهم مع أولادهم، غافلين بأنّهم مكلّفون بهداية أطفالهم وبنائهم، لا أنْ يمارسوا معهم القوة والاقتدار.

والمهم في الموضوع هو أن نعي موارد العقاب وحدوده، فمتىٰ يحق لنا أن نعاقب الطفل، ومتىٰ لا يحق لنا ذلك؟ ثم هل إنّ العقاب هو من أجل أن نشفي غليلنا أم من أجل بناء الطفل؟ وهل إنّ المطلوب من العقاب هو تنبيه الطفل أم جعله يشعر بالأذىٰ والألم؟

ينبغي أن يفكّر الأب بهذه الأمور جيداً.

وإسلامياً، فإن العقاب هو كالدواء الذي يجب أنّ لا يُستخدم إلاّ عند الضرورة وبمقدار محدّد أيضاً.

كلام حول الطرد والإبعاد:

تحدثنا في السطور الماضية عن الارتباط والابعاد، وقلنا انه لا الارتباط الشديد صحيحاً ولا الطرد والإبعاد. ومن حق الطفل أن ينشأ في البيت بين أحضان والديه، وأن يكون الوسط الذي يعيشه آمناً ومريحاً، وعليه أن يشعر بأنّه ينبغي اللجوء إلى هذا الوسط الآمن ليكون ملاذاً له وذلك عندما تواجهه المشاكل والصعوبات.

إن للإبعاد أعراضاً سيئةً تصيب الطفل، أقلّها إنّه سيبحث عن أشخاص آخرين ليكونوا ملاذاً له. وعندها لا ندري هل سيكون هؤلاء الآخرون أفضلَ منكم، ويعيشون في أوساطٍ أفضل من أوساطكم؟

كما يؤدي الإبعاد أيضاً إلى توقف عملية نضج الطفل، وتبدد أحلامه وحرمانه من السعادة حيث يهدد ذلك مكانة الأسرة وشأنها.

ويشعر الأولاد المطرودون بالقلق أيضاً ويلجأون إلى العنف والاضطرابات السلوكية والحقد في أغلب الأحيان. ومن ثمّ يصبحون عدوانيين وعصاة مشردين منحرفين حيث يلجأون إلى المكر والخداع أحياناً والانتقام في أحيان أخرىٰ فيما لو تمكنوا من ذلك.

وبشكلٍ عام يمكن القول بأن الطرد والإبعاد هو بمثابة السم لإصابته

بأمراضٍ نفسية عديدة، وسوف تتحول حياته إلى جحيم لا يطاق فيتمنّىٰ الخلاص منها. وينبغي أن يدرك الطفل، رغم استخدام القوة معه، بأن عليه أن يبقىٰ في هذا البيت وينشأ فيه.

الفهرس



